سلسلة الأعمال المترجمة (6)

ترجمة آلية

مهمة إلى التوارق
رحلتي الصحراويتين

مِنْ أَكْتُوبِر 1894 إِلَى مَايُو 1895

تأليف

فرناند فوريو

ترجمة آلية للعربية

توفيق عيّاد الشقروني

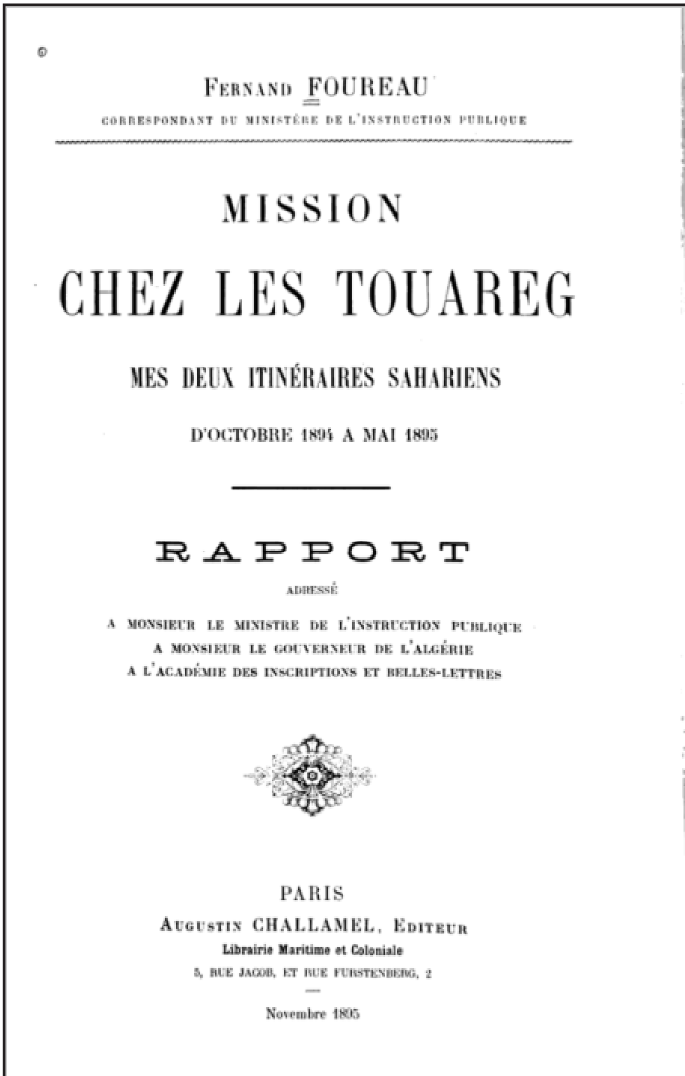
LIBYAN WORD BRIDGE Translation

الجمعية الليبية للدراسات الأمازيغية

عنوان الكتاب: مهمة إلى الطوارق رحلتي الصحراويتين مِنْ أَكْتُوبَر 1894 إِلَى مَايُو 1895
تأليف: فرناند فوريو
ترجمة الية: توفيق عيّاد الشقروني
الناشر:الجمعية الليبية للدراسات الأمازيغية/ مؤسسة Libyan Word Bridge
السنة 2025م
سلسلة الأعمال المترجمة (6)
التصميم والإخراج: الناشر

LIBYAN WORD BRIDGE Translation

الجمعية الليبية للدراسات الأمازيغية


Fernand FOUREAU

Correspondant du Ministère de l'Instruction publique

MISSION

CHEZ LES TOUAREG

MES DEUX ITINÉRAIRES SAHARIENS

D'OCTOBRE 1894 A MAI 1895

RAPPORT

ADRESSÉ

A MONSIEUR LE MINISTRE DE L'INSTRUCTION PUBLIQUE
A MONSIEUR LE GOUVERNEUR DE L'ALGÉRIE
A L'ACADÉMIE DES INSCRIPTIONS ET BELLES-LETTRES

PARIS

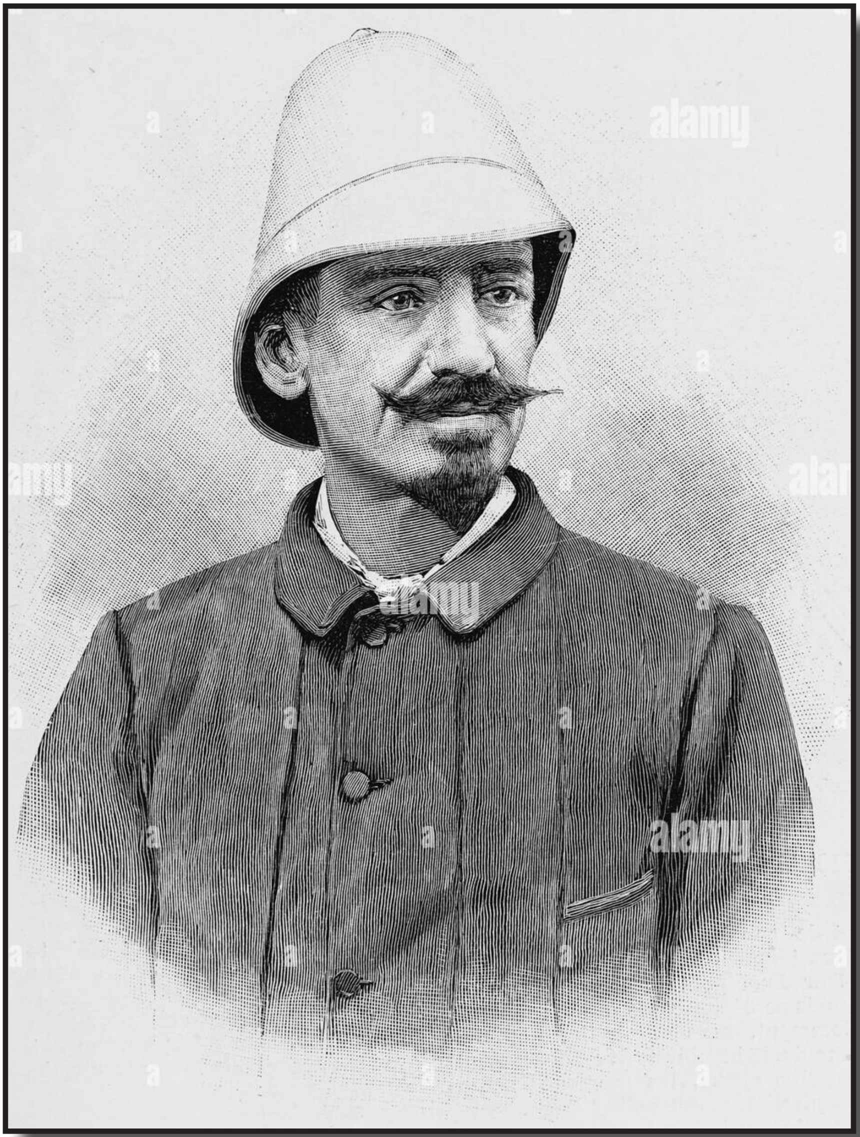
Augustin CHALLAMEL, Editeur

Librairie Maritime et Coloniale

5, rue Jacob, et rue Furstenberg, 2

Novembre 1895

غلاف الكتاب



المؤلف فرناند فوريو

كلمة الناشر

من قلب شغفنا بالمعرفة، ورغبتنا الصادقة في بناء جسور متينة بين الثقافات، انطلقت مؤسسة "Libyan Word Bridge" لتكون منصة ثقافية حقيقية، تتيح للقارئ الولوج إلى عوالم المعرفة الغربية، وتشاركه رحلة استكشاف الآفاق الفكرية والأدبية المتنوعة. نسعى جاهدين إلى سد الفجوة المعرفية، وإثراء المحتوى العربي بمواد علمية وأدبية ذات قيمة حقيقية، مستفيدين من الإمكانات الهائلة التي يوفرها التطور المتسارع في مجال الترجمة الرقمية، ومن توفر العديد من الكتب التي أصبحت خارج نطاق حقوق الملكية الفكرية، لتصبح متاحة للجميع دون قيود أو حواجز.

نعلم جيدًا أن الاعتماد على الترجمة الإلكترونية، على الرغم من إيجابياته الكثيرة في الوصول إلى كم هائل من النصوص، لا يزال يشكل تحديًا حقيقيًا يواجهنا بمسؤولية كبيرة. فما زالت هذه التقنية في طور التطور، وقد تعجز أحيانًا عن نقل المعنى بدقة متناهية، أو التعبير عن جماليات اللغة الأصلية، أو نقل المشاعر والأحاسيس التي تحملها الكلمات. إلا أننا نرى في وضوح هذه الترجمة وقابليتها للفهم، دافعًا قويًا للاستمرار في هذه التجربة، فهدفنا الأسمى ليس مجرد نقل الكلمات، بل إتاحة المعرفة وتعميم الفائدة منها، وجعلها متاحة لأكبر شريحة ممكنة من القراء.

ونحن على ثقة بأن القارئ، بوعيه وفطنته، سيقدر قيمة هذه الجهود، وسيتجاوز أي قصور لغوي أو أسلوبي قد يظهر في بعض النصوص، وسيتعامل معها بعقل نقدي واعٍ، مدركاً أن الترجمة، مهما بلغت دقتها، تبقى في النهاية وجهة نظر بشرية، تحمل معها جزءاً من شخصية المترجم وخلفيته الثقافية.

إننا إذ نقدم هذه الترجمات، فإننا نضع نصب أعيننا هدفاً آخر لا يقل

أهمية، وهو أن تكون ترجماتنا محايدة وموضوعية قدر الإمكان، وأن تكون بمثابة مرآة تعكس بصدق رؤية المؤلف الأصلية، لا أن تكون صدى لأهوائنا أو تحيزاتنا الشخصية. فكم من مرة رأينا كيف أن التوجه الأيديولوجي للممولين، أو الخلفيات الفكرية للمترجمين، أو حتى المصالح التجارية، قد أثرت على طبيعة الترجمة، وشوهت بعض معانيها، أو حرفتها عن مقاصدها الأصلية. هذه الاعتبارات مجتمعة، تخلق في كثير من الأحيان قيوداً غير مرئية، قد تُنتج ترجمات مُوجّهة أو منقوصة، لا تعكس بالضرورة وجهة نظر المؤلف بشكل كامل وصادق.

لذلك، فإننا في مؤسستنا نتعهد بأن تكون ترجماتنا جسرًا آمنًا للمعرفة، لا يشوبه أي تحيز أو تلاعب، وأن يكون هدفنا الأساسي هو خدمة القارئ وتزويده بالمعلومة الصحيحة، دون توجيه أو فرض رؤى مسبقة. سنحرص على تقديم النصوص المترجمة بأمانة وموضوعية، تاركين للقارئ حرية الفهم والتفسير، وتكوين القناعات الخاصة به، بناءً على وعيه وفهمه الخاص. وسوف يقتصر تدخلنا على إضافة بعض الشروح أو المعلومات التي نرى أنها ضرورية لتقريب القارئ من المعنى المقصود، أو لتوضيح سياق النص، أو لإبراز بعض الجوانب الثقافية التي قد لا تكون مألوفة لديه، مع الحرص على عدم فرض أي رؤية أو رأي شخصي.

وبالمقابل، فإننا نؤكد أن تقديمنا لهذه الكتب لا يعني بالضرورة تبنينا أو موافقتنا على كل ما ورد فيها من آراء واستنتاجات، أو أننا نؤيد المؤلف في كل ما ذهب إليه من أفكار أو تصورات. قد نختلف مع المؤلف في بعض القضايا، أو نرى أن بعض أوصافه غير لائقة أو غير مقبولة، ولكننا نؤمن بحق القارئ في أن يرى النص كما هو، دون تعديل أو تلطيف، حتى يكون رأيه عن الكتاب والمؤلف مبنيًا على فهم كامل ووعي تام، وحتى لا نكون نحن الحكام على قيمة النص أو مصداقيته. وحتى نكون أكثر صراحة معكم.

إننا نعترف أن الترجمة هي عمل بشري، وأن المترجمين بشر معرضون للخطأ والسهو، وأن بعض النصوص قد لا تكون دقيقة، ولكننا في الوقت نفسه نؤكد أننا نبذل قصارى جهدنا لتقديم ترجمات عالية الجودة، وأننا نعتبر القارئ شريكًا لنا في هذه المسؤولية، ونرحب بأي ملاحظات أو تصحيحات منه، بل نشجعه على ذلك.

ولا يفوتنا أن ننبه القارئ إلى أن بعض المعلومات والاستنتاجات الواردة في هذه الكتب قد لا تعكس الحقائق العلمية أو التاريخية الراهنة، نظرًا للتطور المستمر للمعرفة والبحث العلمي. ونحن على ثقة بأن القارئ الواعي سيأخذ هذه النقطة في الاعتبار، وسيتعامل مع هذه الكتب بمنظور نقدي، وبما يخدم إثراء معارفه وتوسيع آفاقه. ففي نهاية المطاف، نؤمن بأن الترجمة هي رحلة مستمرة، لا تنتهي عند الوصول إلى الكلمات، بل تتعداها إلى فهم الأفكار، وتحقيق التواصل الحقيقي بين الثقافات، وتكوين رؤية أكثر شمولاً ووعياً للعالم من حولنا. وهي أيضاً مسؤولية عظيمة، نحملها على عاتقنا بكل ما أوتينا من جهد وإخلاص.

ونشكر الجمعية الليبية للدراسات الأمازيغية في تعاونها وحماسها للمساعدة في مشروعنا.

ملاحظات:

- فهرس المحتويات يشير الى صفحات هذه النسخة المترجمة.
- بعض الاسماء الواردة في الكتاب تحتاج مزيد من الضبط.

الناشر

2025م

فهرس المحتويات

كلمة الناشر........ 5
الجزء الأول........ 10
المقدمة........ 10
(1) من بسكرة إلى تيماسانين........ 13
(2)من تيماسانين إلى منخور........ 31
(3) في الطاسيلي/عند الازجر........ 51
(4) بعض المعلومات........ 82
(5) في العرق «الإيسواني» وفي العرق الكبير. العودة........ 89
الجزء الثاني........ 129
المقدمة........ 129
(1)من بسكرة إلى البيوض........ 130
(2) لقاء مع الغزاة والعودة إلى بسكرة........ 146
(3) الاستنتاجات السياسية........ 160
الملاحق........ 163
ملحق رقم 1: الآبار........ 163
الارتفاعات........ 164
ملحق رقم 2: الملاحظات الفلكية........ 165
ملحق رقم 3: علم الأرصاد الجوية........ 166
مرادف عربي/لاتيني للنباتات الموجودة........ 175
مسرد المصطلحات الجغرافية العربية........ 177
نموذج من الجداول........ 179
ملحق الخرائط........ 179
الكشاف العام........ 192

سلسلة الأعمال المترجمة (6)
ترجمة آلية

مهمة إلى التوارق
رحلتي الصحراويتين

مِنْ أَكْتُوبِر 1894 **إِلَى مَايُو** 1895

تأليف
فرناند فوريو

ترجمة آلية للعربية

توفيق عيّاد الشقروني

الجزء الأول

المقدمة

من الضروري أولاً وقبل كل شيء مراجعة الحقائق السابقة بإيجازوالتذكيربأن النتيجة السياسية لرحلتي السابقة يمكن تلخيصها على النحو التالي:

بعد أن أجريت اتصالات ومكثت لبعض الوقت مع قادة توارق أزجر وبين عائلاتهم ومعسكراتهم؛ وبعد أن توقفت مسيرتي نحو الجنوب بسبب جهود شريف متعصب وبسبب الضعف المتعمد لقادة التوارق - عدت، في بداية عام 1894، إلى الجزائر حاملاً مطالبة من أزجر- وهي مطالبة كانت قريبة جدًا من قلوبهم الذين طلبوا من الحكومة الفرنسية استعادة الجمال التي أغار عليها البدو الجزائريون، أولاد فرج من الوادي عام 1885. وقالوا إنهم لن يوافقوا على ضمان المرور الحر والمرافقة للمستكشفين الفرنسيين إلا بعد تسوية إيجابية لهذه المسألة.

لذلك، عرضتُ القضية، فور وصولي في أبريل/نيسان 1894، على الحاكم العام للجزائر. وقد تكرم الأخيربإنهاء هذه القضية، وإظهار اللطف الكبيرالذي أظهرته الحكومة الفرنسية للتوارق تجاههم، وأخيرًا مساعدتي لهم في الخطوة التالية حيث كنتُ حريصًا على محاولتها، وهي الموافقة على منح التوارق مبلغًا من المال يُمثل ثمن الإبل التي سُلبت.

وبعد أن أذن لي الحاكم العام بإبلاغ زعماء الأزجربنتيجة جهودي، سارعت إلى إرسال ثلاثة رجال موثوق بهم، حاملين الهدايا ورسالة إلى التوارق، إلى إخنوخن وأوان جيدسن ومولاي وأناكروفولد خلالة، زعماء الأزجر، في صيف عام 1894، وأعلنت لهم أن الحكومة الفرنسية - كإجراء خيري، وبناء على طلبي - قررت أن تدفع لهم ثمن الجمال التي تم نهبها في عام 1885.

عاد الرجال الذين كلّفتهم بهذه المهمة في مطلع أغسطس حاملين رسائل متنوعة من زعماء أزجر؛ بعضها موجه إلى الحاكم العام للجزائر، وبعضها الآخر إليّ. في هذه الرسائل، شكر إخنوخن و«مولاي» السلطات الفرنسية على كرمها، ووعدا بإرشادي عبر بلادهم إلى منطقة الآير، إذا دُفع ثمن الجمال، كما قيل لهما. كما أبلغاني أنه بناءً على طلبي، سينتظرني رجل من أزجر في تاكيت حوالي 15 نوفمبر/ تشرين الثاني ليرشدني ويرافقني إليهما.

لم أكن أتمنى الحصول على رد أفضل من هذا وكنت راضيًا عن نتائج جهودي المختلفة. وبما أن كل شيء كان على ما يرام في ذلك الجانب، استعدت للمغادرة إلى الصحراء؛ لكنني ذهبتُ أولًا إلى الجزائر العاصمة لمقابلة الحاكم العام، وطلبتُ منه أن يُعطيني المبلغ المُراد تعويض التوارق عن قيمة الجمال التي سُرقت. (كان المبلغ 9000 فرنك بالضبط، وهو رقم اتفقتُ عليه مع الأطراف المعنية، مع أنهم طلبوا مني في البداية مبلغًا أكبر بكثير). وقدرتُ أن التوارق، بعد أن يحصلوا على المبلغ، سيرافقونني دون عناء، وفقًا لوعدهم الرسمي، إلى منطقة آير، هدفي المنشود.

اتفق الحاكم العام والجنرال دي لا روك، قائد فرقة قسنطينة، على أنه من الأفضل والأحكم تكليفي بإحضار اثنين أو ثلاثة من التوارق إلى تقرت، ممثلين عن زعماء أزجر، ليُدفع لهم المبلغ الموعود ريثما أواصل رحلتي إلى الجنوب. وبناءً على ذلك، كانت التعليمات التي أُعطيت لي هي إقناع أزجر بإرسال الممثلين المعنيين إلى تقرت أو الوادي بينما أواصل رحلتي إلى الاير.

لقد كان عليّ إذن - مهما حدث - أن أبدأ وفقًا للشروط المذكورة أعلاه، على الرغم من أنني لم أعد أثق كثيرًا في النتيجة، بسبب القيود التي وضعتها السلطات، وعلى الرغم من أنني صرحت للحاكم العام وللجنرال دي لا روكي، الذي أصر على الاتفاق، أنه إذا لم أدفع لأزجر ثمن الجمال على الفور، فلن يسمح لي الأخير بالمرور ولن يرافقني إلى الآير؛ وأن هؤلاء الناس، الذين يحكمون علينا بأنفسهم، لن يثقوا بكلمتنا ولن يرسلوا عملاء إلى تقرت، خوفًا من الفخ وافتراضًا أقل قدر من الولاء لنا كما هو الحال بالنسبة لهم.

يمتد مساري، في المهمتين التاليتين، على مسافة إجمالية تزيد قليلاً عن 3800 كيلومتر، مما أتاح لي إجراء مسح دوري على مقياس 100,000 لجميع المناطق التي لم أزرها بعد، وحتى لجزء من المناطق التي سبق لي زيارتها. تجدر الإشارة إلى أن

هذه المسارات شملت تغطية ما يزيد قليلاً عن 1000 كيلومتر في بلدان لم يسبق للأوروبيين زيارتها.

تستند هذه المسارات إلى 103 ملاحظات فلكية، وفّرت 45 خط طول 46 خط عرض، والتي سيتم مناقشتها في تقرير السيد أولترامار (في نهاية هذا التقرير، الملحق الثالث). وقد تفضّل السيد أولترامار، كما في رحلاتي السابقة، بالموافقة على مراجعة ملاحظاتي وحسابها.

واصلتُ تسجيل الأحوال الجوية بانتظام، وحصلتُ، من مؤشرات البارومترات، على سلسلة من الارتفاعات لجميع النقاط المهمة في مساري. والارتفاعات التي توصلتُ إليها قريبةٌ جدًا من الحقيقة؛ بل إن الارتفاعات التي حصلتُ عليها سابقًا للنقاط التي رصدتُها مجددًا هذا العام تتفق مع تلك التي وجدتُها في رحلتي الحالية، مما يُمثل إثباتًا كافيًا.

أحضرتُ معي أيضًا عيناتٍ عديدة من الصخور والأحافير التي صادفتها، بما في ذلك مجموعةٌ كبيرة من الصخور من العصرين الديفوني والكربوني. وكما في السنوات السابقة، تكرم البروفيسور مونييه-شالماس بتولي مسؤولية تحديد عمر هذه العينات والاستنتاجات المُستخلصة منها.

أما بالنسبة لعينات الحجارة المقطوعة أو الصوان، فقد تم تسليمها، نيابة عن وزارة التعليم العام، إلى الدكتور هامي، مدير متحف تروكاديرو.

خلال هذه الفترة، كنتُ مبشرًا مُموَّلًا من وزارة التعليم العام، والحكومة العامة الجزائرية، وأكاديمية النقوش والآداب؛ وأغتنم هذه الفرصة لأشكر مختلف الإدارات الوزارية أو الجمعيات العلمية التي ساندتني بدعمها الكريم، وأُعرب عن عميق أسفي لأن الظروف غير المواتية التي أوصلتني إليها الصدفة حالت دون إكمالي العمل، وأجبرتني على استئنافه، وهو عملٌ شاقٌّ للغاية. مع ذلك، لا ينبغي الجزم بأن كل جهودي قد ضاعت سدىً، إذ إن الجزء الأول من هذه الرحلة سمح لي بمواصلة علاقات الصداقة التي بنيتها في السنوات السابقة مع توارق أزجر، وضمان حسن نواياهم، والأهم من ذلك، دعمهم الكامل والفعال لرحلة جديدة إلى آير، رحلةٌ أنا على يقين من أن أزجر سيبذلون فيها قصارى جهدهم لتحقيق رغباتي. نظرًا لأن الأموال المخصصة للمهمة كانت محدودة جدًا، اضطررت إلى الاكتفاء بـ26 مرافقًا من رجال الشامبا في ورقلة. كانوا جميعًا أوفياء لي، ولا صحة

لما يردده بعض الجدليين الاستعماريين عن نظرة التوارق إليهم نظرة سلبية. فقد طلب مني وجهاء أزجر في العام السابق، شفهيًا وبالرسائل، أن أرافق هذا العام أبرز رجال الشامبا، ومنهم الحاج عبد الحكيم بن الشيخ، قائد القافلة، مع إخوته وأبناء عمومته. والجدير بالذكر أن وجهاء أزجر عينوا لاحقًا هذا الحاج نفسه لتوقيع إيصالات الأموال التي دفعتها السلطات الجزائرية لمبعوثيهم إلى السلطات الفرنسية، مما يثبت مكانته البارزة بين شامبا ورقلة.

وبإضافة «بحّارتي فيلات» الذي رافقني في الرحلة السابقة، ومعي أنا، بلغ عدد أفراد البعثة 28 رجلًا، وجميعهم مسلحون ببنادق «غراس» للعرب، و«وينشستر» للأوروبيين وقائد القافلة. وكان الجميع يمتطون الجمال السريعة (المهاري)، وبلغ عدد دواب وإبل القافلة نحو 90 رأسًا.

(1) من بسكرة إلى تيماسانين

في 19 أكتوبر 1894، غادرنا بسكرة، ونصبنا مخيمنا الأول على مسافة قصيرة من أوماش. وعبرنا صحراء مقران في أيام 20 و21 و22 أكتوبر دون حوادث تُذكر، وتوقفنا عند وادي إيتل في حاسي زريق الواد، حيث سُقيت القافلة بالماء. وهناك، استقبلت ساعيًا من بسكرة سلّمني كاميرا نوع «سيكلوغرافي»، وكان قد وصل بعد يومين فقط من مغادرتي المدينة.

في 23 و24 أكتوبر، بلغنا الطرف الجنوبي لهضبة مقران، وخيّمنا قرب أوغلات دوابة، التي تُذكر خطأً على الخرائط باسم أوغلات زورز، رغم أن زورز تقع أبعد إلى الغرب. ومنذ مغادرتنا بسكرة، كان الطقس شديد الحرارة، مما جعل السير نهارًا مجهدًا للغاية.

25 أكتوبر - نمر عبر دزيوة حيث يتم سقي الموكب؛ حيث توجد قطعان كثيرة من أولاد زيت وبعض القوافل المارة.

في هذا الموسم تكثر الأفاعي ذات القرون ونقتل أعدادًا كبيرة منها كل يوم؛ وهي تحب صحراء موكران بشكل خاص.

26 أكتوبر. كانت درجة الحرارة مرتفعة جدًا، ما جعل المسير صعبًا للغاية، ولا سيما مع هبوب رياح شهيلية. والتقينا اليوم بثلاث قوافل كبيرة، مثلنا، قادمة من بسكرة. تنتمي هذه القوافل إلى قبيلة سعيد حوتيبة من ورقلة، الذين ينقلون

القمح إلى ورقلة، وخاصةً إلى الغولية، لتزويد الحامية.

أحدُ أعيانِ القبيلة، وهو سعيدٌ من أهاليها، لحق بي على صهوة جواده، وقدّم لي الحليب، ثم دخل معي في حديث؛ وكان أبرزُ ما فيه: «لماذا لا تُلحق ورقلة إداريًا بولاية قسنطينة؟ للجزائر ولايتان تُشرفان على الصحراء: وهران وقسنطينة؛ وهما وحدهما القادرتان على إرسال الغوم[1] بسرعة إلى أقصى الجنوب، بينما عبر الجزائر العاصمة، تكون وسائل الاتصال، وبالتالي الاستعدادات، بطيئةً للغاية؛ انظروا إلى مسألة الغوم المُرسلين لملاحقة مهاجم حاسي الأحومر (حصن ماكماهون) وما إلى ذلك.» وجميعُ سكان الجنوب يُؤيدون هذا الراي، ويطالبون بضم ورقلة إلى ولاية قسنطينة. وأنا أُشاركهم الرأي تمامًا. وقررنا أن نُخيّم شمال العالية على بُعد عشرة كيلومترات تقريبًا.

إن موضوع جميع أحاديث رجالي هو بالتحديد الغارة التي حاولها غازي حاسي الأحومر، والتي ذُكرته آنفًا. هذا الغازي، المكون من عناصر مختلفة قادمة من بو عمامة وتوات وتيديكلت (وهي عصابة قديمة من بو خشبة أخدت جمال أولاد ساهية العام الماضي)، ولكن بقيادة اثنين من المنشقين وهما شمبا إمبارك بن الهييب وولد شاشوك، وقد هاجموا، في بداية الشهر الماضي، قافلة الإمدادات المرسلة من الغولية إلى حصن ماك ماهون (حاسي الأحومر). وهاجم الغازي القافلة أثناء مسيرتها ليلًا، واستولى عليها جزئيًا، مما أسفر عن مقتل ستة أو ثمانية من رجال البنادق أو السباحيين، وفقد هو ستة رجال بالضبط، دون احتساب بعض الجرحى، من أصل سبعين رجلاً كانوا يشكلون قوات الغازي.

ومن بين المهاجمين الذين بقوا على الأرض، يجب أن نذكر رجلاً معينًا يُدعى قويدر، شمبي من ورقلة، الذي انشق مؤخرًا؛ وكان عازف فلوت رائعً، وبقي بالقرب من بو عمامة لقضاء وقت فراغه والاحتفال، على قصبته، بالأعمال العظيمة لرجال الغرب.

27 أكتوبر.

كان النهار خانقًا، ورياح الشهيلي لا تزال تهب. وخيّمنا جنوب غرب محطة

1-الغوم كانت وحدات ميليشيا نظامية في شمال أفريقيا يقودها شيوخ القبائل، تُستدعى عند التمرد أو الحرب. تميزت بتغير عدد أفرادها حسب الحاجة، وبإعفاء أفرادها وخيولهم من الضرائب. خلال الحرب العالمية الثانية شارك نحو 12 ألف مقاتل مغربي من الغوم مع الحلفاء، واشتهروا بعمليات الغارات الليلية في الجبال ضد القوات الإيطالية والألمانية.(المترجم).

التلغراف الضوئية في شابت لخضر، ثم واصلنا رحلتنا في اليوم التالي إلى البور حيث توقفنا.

في 29 أكتوبر، وصلنا إلى ورقلة، وكان الشهيلي لا يزال شديد الحرارة. في الجزء الأخير من الرحلة، التقينا بثلاثة رجال من أولاد مختار وأولاد با حمو من عين صالح، متجهين إلى تقرت، باستثناء أحدهم الذي كان سيتوقف مؤقتًا في نجوسة. يمارس كثير من هؤلاء مهنة الإقراض بالربا، خصوصًا مع سكان ورقلة ونجوسة؛ إذ يقدمون مبالغ مالية يجب سدادها في موسم الحصاد بعدد محدد من صاع التمر، تُقدَّر بقيمة أقل بكثير من قيمتها الحقيقية. فعلى سبيل المثال، مقابل قرض قدره 50 فرنكًا، يُلزم المقترض بإعطاء المُقرض عند الحصاد ثمانية صاع من التمر، تساوي في المتوسط بين 15 و16 فرنكًا للصاع الواحد، أي ما يعادل نحو 120 فرنكًا. هذه التجارة مربحة للمُقرضين، لكنها في جوهرها ربا، وبسببها ينحدر سكان الواحات إلى فقر مدقع.

في 30 و31 أكتوبر، أقمت في ورقلة، حيث استقبلني السيد فورنييه، رئيس المكتب العربي، بطريقة ودية ولطيفة. واضطررت للبقاء يومين على الأقل بسبب رجالي، الذين نصب معظمهم خيامهم قرب المدينة لموسم حصاد التمور، وكان عليهم القيام ببعض التحضيرات. وطلب قائد موكبي، الحاج عبد الحكيم، الذي كان والده خليفة وعمه قائد قبيلة الشمبا، الإقامة لفترة إضافية بإلحاح.

في 1 نوفمبر، تأخرنا في التحرك كالمعتاد عند مغادرة أي مدينة أو قرية، إذ لم يجتمع كل رجالي بعد، وقد تركوا خيامهم هنا دون مبرر يُذكر. وبعد عبور الرويسات ووادي ورقلة، الذي يسميه السكان المحليون «واد ورقلة»، صعدت القافلة إلى هضاب متموجة، قاحلة في بدايتها نتيجة قربها من المدينة، لكنها سرعان ما غطّتها نباتات متنوعة من الباقل والضمر والصفار والدرين. وعند النقطة «ب»، مررنا بالقرب من بئر حاسي بالحاج حمو، وهو بئر عميق لكنه جاف تقريبًا وماؤه قليل. ونُصب المخيم شمال الغور وبئر طرفاية.

2 نوفمبر. يتقدّم الطريق أولًا عبر تضاريس تتنوع بين الريج والنبكة، تقطعها سلسلة من الكثبان الرملية تُعرف باسم سيف بغدي، وتنتشر فيها نباتات الأليندا والدرين. ثم نمر غرب الغور وبئر طرفاية، التي يتوفر فيها الماء حاليًا. وإلى يميننا يرتفع غور كويف اللحم وغور مستقل يُسمى أريشا-بيروبا، ويجب عدم الخلط

بينه وبين كتلة غور بيروبا الواقعة غربًا. بعد النقطة «د»، ونعبر خط الرمال المعروف بسيف أوزميلة-نكاز، الواقع في الحوض الذي يحمل الاسم نفسه.

ونواصل قطع سلسلة من الأحواض والغناتر؛ تغطي الغناتر نباتات النغكا والصفاروالدرين والرتم، مع كميات قليلة من الباقل. أما الأحواض، فتتكون من تربة خصبة لكنها قاحلة، وتنتشر فيها نتوءات من الحجر الرملي والحجر الجيري الرملي على شكل كرات صغيرة متماسكة، إضافة إلى صخور جبسية في عدة مواضع. وبعض الغور مكوّن من طين أحمر. نحن هنا في قلب المنطقة المعروفة بالغور أو الغناتر. والبلاد عمومًا شديدة الجفاف، إذ لم تهطل الأمطار منذ أكثر من عام، فلا ينمو سوى القليل من الباقل والصفار على الغور، وبضع خصلات من نبات الأزال في وادي سمهري حيث أقمنا مخيمنا.

3 نوفمبر- رحلة قصيرة جدًا على متن قافلة غناتر، والتي أوصلتنا إلى مخيم حاسي مجيرة. بالقرب من هذه البئر، تنتشر العديد من أشجار الشامبا.

لذا نتلقى كميات من قشور الحليب كهدايا. شعب الشامبا كريمٌ جدًا في هذا الصدد، وخاصةً مع معارفهم، وأنا محبوبٌ منهم جدًا، وجميع رجالي ينتمون إلى هذه القبيلة.

نسقي جمالنا. خلال هذه الاستراحة، وأُصلح إحدى كاميراتي، التي تضررت بشدة من الحر، وخاصةً من جفاف مناخ الصحراء، مما يُجبر أكثر أنواع الغابات جفافًا على التكاثر في ظروف غير عادية. ويكمن الحل الحقيقي للمشكلة، بالنسبة للمصنعين، في صنع كاميرات للاستخدام الصحراوي من المعدن فقط.

الحاج قائد موكبي، الذي كان من بين الذين أرسلتهم الصيف الماضي إلى أزجر، حاملين الرسائل والهدايا، يروي هذه الرحلة مجددًا، وبعض تفاصيلها مثيرة للاهتمام. فعندما وصل إلى تيوسكيرين، كاد أن يُهاجمه الإيفوغاس (عبد النبي ورجاله) الذين كانوا يُخيمون قرب النبع. وفي الواقع، كان هؤلاء التوارق قد نهبوا لتوهم على يد فرقة قادمة من عين صلاح بقيادة إمبارك بن الهييب، وظنّوا، لما رأوا فريقي، أن المعتدين عائدون بهجوم جديد. واستطاع الحاج أن يُعرّف بنفسه بسهولة؛ فقد كان هناك بالفعل توارق التقيناهم معًا العام الماضي في تيماسانين، وأغدقت عليهم الهدايا والمؤن للطريق.

لم تهطل الأمطار في الأهقار الشتاءَ الماضي، لذا خلال الصيف الذي انتهى

لتوه، خيّم العديد من الأهقار في مويديرو في أنهار طاسيلي بأزجر. وعند عودته هذا الصيف من تارات، حيث انضم إلى إخنوخن، أخبرني الحاج أنه، بسبب هذا الوضع، التقى في طريقه بالعديد من الأهقار المنتشرين في كل مكان، بالإضافة إلى أولاد مسعود؛ ولا يزال هؤلاء يحتفظون ببنادق غراس من نهب بعثة فلاترز،[1] وقد رآهم الحاج يستخدمونها.

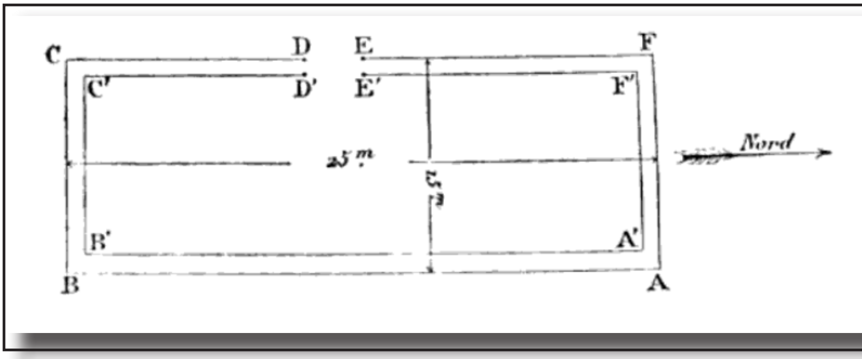
تم العثور على بعد حوالي 2 أو 2.5 كيلومتر شمال حاسي مجيرة، في قاع حوض واسع، بقايا أعمال قديمة تشبه المقابر الضخمة، أو المقابر التي يطلق عليها العرب والتوارق «مقابر العمالقة».

إنه مستطيل الشكل، أبعاده 25 مترًا في 15 مترًا، ويتألف من سورين، أحدهما داخلي والآخر خارجي، يفصل بينهما 70 إلى 80 سنتيمترًا. يوجد مدخل واحد من الجهة الغربية. تتكون خطوط السور ABC وما إلى ذلك وA› B› C› وما إلى ذلك من أحجار صغيرة مصفوفة بعناية؛ ويفصل بين السورين مساحة خالية من الحجارة المتناثرة في محيطها. إنه بالتأكيد ليس مصلى، أو مكانًا للصلاة للمسلمين، وكل شيء يوحي بأننا أمام قبر قديم.

4 نوفمبر، غادرنا حاسي مجيرة، مضاعفين تقريبًا المسار الذي قطعته في 28 ديسمبر 1892، وخيّمنا على بُعد خمسة كيلومترات شمال كهف رتماية، بالقرب من البئر التي تحمل الاسم ذاته. مررنا شرق حاسي جريبة قليلًا، حيث تشرب أعداد كبيرة من إبل الشامبا وترعى في المنطقة المحيطة. فقد وصلنا اليوم إلى الحد الشمالي لمنطقة هطول الأمطار، حيث نمت الشجيرات الخضراء بكثافة، موفرة علفًا جيدًا للقطعان.

في المنطقة «أ»، تتبع السيوف الأحواض، التي تمتاز بتربة عادية تتخللها نتوءات من الحجر الرملي الجيري أو الحجر الرملي النقي على شكل كرات صغيرة أو صفائح. أما الهضاب، فهي مكوّنة من الحجر الجيري الأبيض الصلب أو الحجر الجيري البودينغي شديد القساوة.

1-بعثة فلاترز: بعثتان استكشافيتان فرنسيتان قادهما العقيد بول فلاترز عامي 1880 و1881 بهدف فتح طريق لخط تلغراف يربط الجزائر بالسنغال عبر الصحراء الكبرى. انتهت الثانية منهما بكارثة عندما قُتل فلاترز ومعظم مرافقيه في كمين نصبه طوارق الأهقار قرب «بير المولود» سنة 1881. مما شكّل فشلًا ذريعًا للمشروع الفرنسي وأدى إلى تأجيل التوسع الاستعماري في المنطقة. (المترجم)



في النقطة «P»، يمتد خط من التلال المتقطعة والمعقدة، يشكّل الضفة الغربية لوادٍ ينتهي عند حاسي مجيرة. تتخلل الهضاب أحواض وتموجات يقل ارتفاعها تدريجيًا، مما يحدد الحد الجنوبي لمنطقة الغناتر. يبدأ ظهور الغرود في معظم الاتجاهات، باستثناء الغرب حيث تهيمن الحمادة العارية، ولا يبرز سوى غورد حاسي مهبولة المعزول. في الشرق، على العكس، يمتد خط متموج متصل تقريبًا من الغرود إلى يسارنا، وهو يضم كتلتي الغرود الملاح وبومزة؛ تهيمن الأولى على الحوض الذي تقع فيه الآبار التي تحمل اسمها في النقطة «CC»، بينما تقع بئر بومزة عند سفح الغورد الذي يحمل الاسم نفسه في جهته الشرقية. أما بئر الجربوع القديم فقد جف تمامًا، في حين أن بئر الجربوع الجديد لا يزال غنيًا بالمياه الوفيرة والجيدة.

لم نصطد منذ أكثر من ثمانية أيام، فالمناطق التي عبرناها جافة، وقد هاجرت الغزلان إلى المناطق التي نزل فيها المطر، حيث نأمل أن نعثر عليها من جديد.

في 5 نوفمبر، انطلقنا نحو غور بورتماية، وسرنا بمحاذاة سفحه الشرقي، متبعين تمامًا الطريق الذي سلكته في 29 ديسمبر 1892. عند النقطة «أ» لاحظت حجر الجدار الذي كنت قد شيدته آنذاك كمعلم. تنتهي السلسلة الجبلية اليسرى قبل بورتماية، وتغطي سفحها تلال من الحجر الرملي الجيري.

من رتمايا، نتبع طريقًا أبعد قليلًا غربًا من مسار ديسمبر 1892؛ يقودنا هذا الاتجاه عبر بعض النتوءات الصخرية المتشابكة أو السيوف المتصلة بنظام رتمايا. وعلى مسافة إلى اليمين، غور زوتي، وعند هذا الأخير تلتقي ما يسمى بسلاسل جبال سلاسل-ذنون. ونُخيم في منتصف أقصى شمال هذه السلاسل. هنا، يكون المسار

واسعًا جدًا ويتكون من خطوط سيوف متباعدة جدًا، تفصلها أحواض كبيرة من النبكة، والتي لا تظهر شرقًا، حيث يبلغ سمك السلاسل كيلومترين تقريبًا.

في المنطقة ب، نتوءات من صخور الحجر الجيري، في ألواح بيضاء مصقولة كبيرة. بفضل أمطار شتاء وربيع عام 1894 الغزيرة، غطت الأرض نباتات خضراء: قشرة ملحية، درين[1]، ودامران[2]، وظهرت لنا أخيرًا آثار غزلان عديدة.

المنطقة كلها إلى الجنوب، من هنا، العرق والحمادة، في نفس الحالة المزدهرة.

نتلقى الحليب بوفرة؛ فقطعان الإبل التي تشرب من الجربية ترعى حتى آخر صف من السلاسل، ونحن في وسطها. لقد قضوا الصيف كله هنا، ولا يتحدث أسيادهم عن إعادتهم إلى الشمال حيث يوجد نقص. من قدر الرعاة أن يتبعوا دائمًا النباتات أينما وجدت، وبالتالي يتشتتون على مساحات شاسعة، ولكن دون معسكرات منتظمة.

6 نوفمبر. عبرت البعثة أولاً ما تبقى من الفرع الشمالي لسلسلة جبال ذنون التي قضت فيها ليلتها؛ وهو، كما ذكرت، واسع جدًا، ولكنه يفتقر إلى التجانس: تفصل بين خطوط السيوف المتموجة أحواضٌ ذات أبعاد متفاوتة. لم أرَ في هذه المنطقة، منذ عام 1883، مثل هذه الوفرة من النباتات؛ كل شيء أخضر: نيجي، ودامران، ودرين، وصفار، وهاد. هذه الحالة المزدهرة ما هي إلا نتيجة الأمطار الماضية، التي يستمر أثرها المفيد عامًا على الأقل لجميع النباتات تقريبًا، وأكثر من عامين بالنسبة لسلسلة جبال ذنون التي تتميز بقدرة تحمل عالية وهي النبات الحقيقي للكثبان الرملية.

بعد عبور طريق فيج دمران رقم 2، نعبر السلسلة الوسطى لسلسلة دهنون، وهي سلسلة يبلغ سمكها هنا ما بين 1800 و2000 متر فقط. من سفحها الجنوبي، يمتد الطريق على طريق فيج دمران رقم 1، وهو أوسع بكثير من سابقه، وبنباتات

1-درين (Drinn): نبات الدِّرين (Haloxylon persicum)، وهو شجيرة أو شجيرة صغيرة صحراوية معروفة بقدرتها على تحمل الظروف القاسية، بما في ذلك الملوحة والجفاف. ينتشر الدِّرين في مناطق واسعة من الصحاري العربية وآسيا الوسطى، ويتميز بأوراقه الصغيرة أو الغائبة وسيقانه التي تقوم بعملية التمثيل الضوئي. (المترجم)

2-دامران (Damran): (Oligomeris linifolia)، وهو عشب صغير ينتشر أيضًا في البيئات الصحراوية والقاحلة. غالبًا ما ينمو على الكثبان الرملية أو في التربة المضطربة، وقد يتحمل مستويات معينة من الملوحة. يتميز بأوراقه الضيقة والملعقية وأزهاره الصغيرة. (المترجم)

متطابقة وأكثر ازدهارًا، على نفس التربة الرملية الناعمة، المزوجة قليلاً بطبقة من النبكة.

إلى الشمال قليلًا من السلسلة الأخيرة، وفي هذا الفيج، نمرّ بالقرب من الحوض «أ»، حيث يمكن حفر بئر عادية مع احتمال كبير لنجاحها. ويمكن استخدام هذه البئر لعبور العرق، إذ تبعد نحو 40 كيلومترًا فقط شمال عين طيبة. وسيكون الري هناك سهلًا، ويمكن تأمينه إما ببناء برج كما في بلحيران، أو بإقامة خيام لبدو المنطقة. ويجب تذكّر أن مراقبة عين طيبة صعبة ومجهدة، لأنها منبع مفقود وسط الكثبان الرملية الكبيرة، وسقي الإبل فيها عملية شاقة.

تقع البئر «أ» في منطقة تزدهر عادة بعد الأمطار، لذلك يتوجه إليها أفراد قبيلة الشامبا لسقي قطعانهم، التي ترعى في المناطق المجاورة وأحيانًا داخل العرق نفسه الذي يكتسي بالخضرة في تلك الأنحاء. وفي الوقت الحاضر، ومن أجل الاستفادة من هذه المراعي، يضطر الشامبا إلى استخدام عين طيبة للسقي. وقد شاهدت بنفسي مقدار الجهد والوقت الذي يتطلبه ذلك؛ ففي فصل الصيف، وحتى في الربيع، يحتاج سقي قطيع من مائة جمل، بمساعدة عشرين رجلًا، إلى أكثر من نصف يوم عمل في قاع النبع.

ثم نعبر السلسلة الجنوبية لسلسل الذنون، وهي سلسلة يبلغ سمكها أحيانًا أقل من كيلومتر واحد، والتي ستكون متصلة بغور الخلال وبعدها تستمر نحو الجنوب الشرقي لتنتهي في غاسي طويل تحت اسم دراع الأزال؛ تحتوي هذه السلسلة في الواقع على خصلات من الأزال، على طولها بالكامل، بينما لا يوجد هذا النبات في غيرها.

نُصب مخيمنا المسائي عند السفح الجنوبي لهذه السلسلة الجبلية، على تلة فيدج أغرود. وفي المساء، انضم إلينا شامبا قدور بن سعد وبن عمار، وهما يبحثان عن الجمال الضالة.

7 نوفمبر- فيدج أوغرود-تربا، الذي يمتد عليه الجزء الأول من مسار اليوم، مغطى بالكامل بنباتات النجي والصفار، وتكتلات الضمران خضراء بشكل رائع، وتشبه الأرض مرجًا حقيقيًا.

في الطريق (ر)، نعبر الطرف الغربي لحوض عميق يتراوح عمقه بين 30 و40 مترًا تحت مستوى الفيدج المتوسط؛ تربته نبقة مع بعض نتوءات الجبس. يستمر هذا

الحوض في منخفض ممتد يتبع السفح الغربي لخلال؛ وقد ذكرته سابقًا في تقرير مهمتي عام 1890، وكنت قد جمعت هناك آنذاك عددًا من الأصداف (الكارديوم ساهاريكوم وأمنيكولا ديسيرتوروم ؛ وهذه الأخيرة صدفة مياه عذبة لا يزال نوعها موجودًا في الجزائر).

إن هذا الحوض R سيكون أفضل حتى من الحوض الذي تم الإبلاغ عنه أمس، من وجهة نظر حفر بئر عادي؛ ويمكننا أن نطبق على هذه النقطة جميع الأسباب التي قدمت أمس لتنفيذ بئر في الحوض A.

آثار الغزلان لا تُحصى، وصيادونا يقتلون بعضها. تناولنا الغداء على حافة العرق، ثم توجهنا إلى المخيم مبكرًا في عين طيبة.

لقد امتلأت جميع الحفر تقريبًا، ورجالي مشغولون بتنظيفها حتى حلول الليل.

8 نوفمبر- إقامة. نسقي الجمال، وهي عملية طويلة ومتعبة.

تم ملاحظة تغير الشريط المغناطيسي وقيمة المكون الأفقي، كما تم ملاحظة ارتفاعات النجوم.

قدور بن سعد ورفيقه، بعد أن لم يجدا حول العين آثار الإبل الضالة التي يبحثان عنها، يتجهان نحو البيض للصيد؛ وسوف يذهبان لزيارة العود في بن عبو حيث يبدو أن الظباء كثيرة، ثم يعودان عبر مويلة والحافة الشرقية لقاسي الطويل.

9 نوفمبر- قررت أن أتخذ الطريق الجنوبي الشرقي للذهاب والشرب في مويلح ماطلة؛ وكنت قد اتبعت هذا الاتجاه بالفعل أثناء رحلتي إلى حاسي إيمولاي، ولكن طريقنا اليوم يقع إلى الغرب من الطريق الذي سلكناه في 3 يناير 1893، ولا ينضم إليه إلا في نفس النقطة التي نخيم فيها.

تُفصل السلاسل في البداية بفيج صغيرة: في النقطة «أ»، فيج البقل، الذي قطعنا طرفه الجنوبي؛ في «ب»، على يسار خط المسيرة ويفصلنا عنه سلسلة واحدة، فيج العقيق، الذي تعرفنا عليه في 3 يناير 1893 حين جمعنا العديد من اللآلئ، وسُميت المنطقة باسم العقيق نسبةً لها. في «ج»، بعد سلسلة من خطوط الكثبان الرملية العالية، نصل إلى فيج الخادم، وسُمّي بهذا الاسم لوجود قبر امرأة من قبيلة الشامبا، خادم بنت العيد، التي توفيت أثناء الولادة مع طفلها بينما كان الشامبا يخيمون هناك. بعد ذلك، اندلع صراع مع الشامبا، وظهر رتل فرنسي في

عين طيبة.

يتبع فيج الخادم فجيجان أو ثلاثة فجيجات صغيرة، ثم نمر إلى الرأس الشمالي لغاسى يتجه جنوبًا حيث سرعان ما يُثقله ويُغلق بالكثبان الرملية. وأخيرًا، بعد سلسلة أخيرة، تقع البعثة في غاسى د، غاسى الخادم، الذي نعبره قطريًا للتخييم على ضفته الشرقية. ويمتد هذا الغاسي، الذي يُغلق من الجانب الشمالي، بعيدًا باتجاه الجنوب، لكنه لا يصل إلى غاسى الأدهم، وهو أيضًا مُغلق من ذلك الجانب بالكثبان الرملية. تربته عادية، وهي حاليًا مغطاة بالكامل بنباتات النيجي والهالما.

إن الطريق الذي عبرناه اليوم مغطى بالكامل بالنباتات الخضراء: حلما، نيشي، هاد، درين، الينـدا وقليل من أزال وأريش؛ وسوف نصل قريبا إلى الحد الجنوبي لحلما في هذه المنطقة.

لقد لاحظنا عددًا لا يحصى من آثار الغزلان التي لا تزال تتردد على مراعي نبات الحلما المفضل لديها، ويجلب لنا صيادونا بعضًا منها في المساء.

10 نوفمبر. نتجه قليلاً نحو الشرق لتجنب الممرات الصعبة، وبالتالي نترك مساري الذي سلكته في 4 يناير 1893، نحو الغرب.

يمتد غازي مغلق أول إلى الجنوب منا، وهو الغازي أ، صغير الحجم جدًا. أطلق شعب الشامبا على هذه الغازي الصغيرة المغلقة اسم فروكت - الجاسي . - ثم نصل إلى ب في غازي مغلق صغير آخر نتتبعه لجزء من طوله. تربة الغازي ب من الحجر الجيري حمادة، مع بعض الغرويات الصغيرة من الحجر الجيري من نفس النوع (العينة رقم 101). وهي مختلطة إلى حد ما بالريج والنبكة مما يسمح بظهور نتوءات من الجبس والتربة وبقايا صخور الترافرتين السوداء (العينة رقم 101، الترافرتين الحديث). يجب إضافة جميع هذه العناصر إلى حطام مدلفن من الحمم الخلوية السوداء.

تم العثور على بعض أحجار الصوان المتشققة هنا وهناك، ولكنها من أعمال شائعة ومعظمها مكسور. تفصل عتبة الكثبان الرملية P، وهي رقيقة جدًا، غاسي B عن غاسي C والتي هي في الواقع امتداد لها فقط. وهي محدودة على اليسار بالسلسلة K، وهي درعة صعبة للغاية وعالية، والتي تشكل الحافة الغربية للغاسي الكبير R الذي سنمشي عليه قريبًا. هذا الغاسي الرائع - الذي نسميه غاسي سنترال، بسبب موقعه في العرق - هو فجوة واسعة مسطحة تمتد نحو الشمال

حتى سهل جنوب الجزائر، بدون حاجز تقريبًا، لأنها مثقلة قليلاً ببعض السيوف الحديثة في ذروة درع الأزال؛ على الجانب الجنوبي، تستمر دون إغلاق حتى غاسي الأدهم؛ حتى أنها كانت لها سابقًا اتصال بدون حاجز مع غاسي المويلح، لكن هذا الاتصال مسدود اليوم بعتبة من السيوف يبلغ سمكها 3 كيلومترات.

يعد طريق قاسي-سنترال الطريق الحر والمباشر الحقيقي من ورقلة إلى البيض ومويلح-معطالله، وهو طريق تجاري قديم لاحظت وجوده ووجدت بقايا منه أثناء رحلتي في عامي 1892 و1893.

تربة غاسي سنترال عادةً ما تكون مختلطة بطبقة من النبكة، وهي مغطاة حاليًا بطبقة من النيشي الأخضر. في بعض الأماكن، في المنطقة (و)، يوجد حوض كبير من تربة الجبس مع نتوءات صغيرة من نفس النوع؛ وفي المنطقة (ج)، يوجد حوض كبير من الجبس، على شكل سبخة، مع طبقة من الحجر الجيري الصلب والترافرتين القديم. كانت هناك ينابيع في السابق، ولكنها جفت الآن، كما هو الحال في غاسي (ب) المذكورة أعلاه هذا الصباح. لا شك في أنه لا يزال من الممكن العثور على الماء هناك بحفر الآبار.

لا يفصلنا عن نهر غاسي الطويل سوى مسافة صغيرة نسبيًا، ولا يفصلنا عنه سوى نهر غاسي وسيط مهم واحد، وهو فرع غاسي المويلح الشرقي. نبقى شرق الطريق الذي سلكته في 5 يناير 1893، وعلى مسافة قصيرة. كنا نسير آنذاك على الضفة الغربية لنهر غاسي سنترال، واليوم نسير ونخيم على ضفته الشرقية.

عانى فيلات، خلال الأيام القليلة الماضية، من نوبتين أو ثلاث حمى، وإن لم تكن خطيرة، إلا أنها تُرهقه بشدة، خاصةً في المساء بعد فترة النقاهة. من المرجح أنها نوبة ملاريا أُصيب بها في ورقلة خلال إقامتنا القصيرة؛ ولا ينبغي أن ننسى أن شهر أكتوبر يُعتبر شهرًا غير صحي بشكل خاص في منطقة الواحات.

11 نوفمبر- يستمر مسيرنا طوال اليوم، إذا جاز التعبير، على Gassi-Central، التي لا تزال تربتها مختلطة قليلاً مع nebka صلبة، وكلها مغطاة في الوقت الحالي بـ Neçi الأخضر وفي الأجزاء الأكثر صلابة (reg الصلبة) مع Goulglane، والتي تكون سيقانها جافة؛ هذا النبات الأخير لا ينمو، في الواقع، بعد هطول الأمطار، إلا من مارس إلى أغسطس.

في أ، حوض عميق إلى حد ما ينضم إلى الوادي الشرقي وتتكون تربته من الجبس

الناعم إلى حد ما، وهو متعرج مع تلال صغيرة جدًا من نفس الطبيعة.

في ب يبدأ ظهور الغسال، الذي يظهر خصلات خضراء داكنة حتى ك، وحتى في أحواض التينيت ت. تغذي هذه التينيت أيضًا نباتات خضراء رائعة للغاية في هاد، ونيسي، وأزال، لأنه، بغض النظر عن أمطار الشتاء الماضي، تلقت هذه المنطقة بأكملها أيضًا أمطارًا صيفية، وقد لاحظ الحاج سقوطها عند عودته من التوارق.

في PP، على الجانب الأيمن منا، تنتهي gassi رقم 3 من رحلة 1892-93، والتي قيل لي إنها مفتوحة إلى الجنوب، بينما على العكس من ذلك فإن draå ZZ متصلة، بحيث يتم فصل رقم 3 عن Gassi-Central بواسطة siouf والتي، في P، ليست مرتفعة جدًا وتشكلت حديثًا.

من جهة اليمين، يتسع نهر غاسي-سنترال، وتنحني سلسلة حدوده الشرقية قليلاً نحو الشرق. هذه السلسلة (التي يقع رأسها الشمالي في جهة اليمين) ليست سوى درّة المخوطة التي تمتد، دون فتح أو حل، إلى البئر الذي يحمل الاسم نفسه، بل وحتى أبعد قليلاً، تاركةً في مسارها سيوفًا منخفضة تربطها بغور مويلاه-ماتالاه. نهر درّة المخوطة ليس كثيفًا جدًا في جزئه الشمالي؛ ولكن مع تقدمه نحو الجنوب، يتسع بشكل كبير، وينتهي به الأمر إلى تشكيل سلسلتين متوازيتين، متصلتين ببعضهما البعض. لا يفصل بينهما سوى سلاسل متقطعة من الأحواض الصغيرة والفيدجات غير المهمة.

نعبر عتبة حرف T، التي تفصل الآن غاسي سنترال عن غاسي المويلح، ونخيم عند السفح الجنوبي لهذا التنييت، الذي تتميز كثبانه الرملية، وإن كانت ليست مرتفعة جدًا، بأنها حديثة نسبيًا وليست متماسكة. هذه النقطة هي بالضبط المكان الذي خيّمنا فيه في 5 يناير/كانون الثاني 1893.

نحن هنا عند الرأس الشمالي للفرع الغربي من غاسي المويلح؛ ويمتد فرعه الشرقي شمالًا. لا يفصله عنا سوى سلسلة Y، وهي سلسلة قوية مكونة من قمم عالية، وتنتهي في منتصف غاسي كما أشرتُ في تقرير سابق (يوم 6 يناير 1893).

جمعتُ في منطقة غاسي - الوسطى بعض شظايا الحمم الخلوية، مما يشير إلى انصباب قديم لبركان إيغارغار في هذا الممر. إلا أنه من الصعب جدًا استنتاج ذلك، ويتطلب ذلك إجراء تسوية دقيقة للمنطقة، إذ إن المنحدرات هنا ضئيلة للغاية في كل مكان، وارتفاعات البارومترات لا تصل إلى درجة الدقة الكافية.

جمعتُ أيضًا بعض أحجار الصوان المتكسرة، ولكن بكميات صغيرة ودون أي أثر لورشة عمل. في المخيم نفسه، لاحظتُ وجود حمم بركانية خلوية ملفوفة.

لا شك أن السراب لا يزال موجودًا، ولكن تجدر الإشارة إلى أنه أقل كثافة بكثير مما هو عليه في منتصف الشتاء. ويعود ذلك بوضوح إلى ارتفاع درجات حرارة الهواء والأرض، وتوازنها، وبالتالي لا يوجد سوى فرق طفيف في الكثافة بين الطبقات السفلى والعليا. أما في الشتاء، فتكون الأرض جليدية، وتسخن طبقات الهواء أسرع بكثير من الأرض نفسها.

كان الصيادون يزودوننا دائمًا بالغزلان، ولكن اليوم فقط، وللمرة الأولى، رأينا الظباء؛ حيث تم إطلاق النار عليها دون جدوى.

12 نوفمبر- سرنا طوال اليوم على طريق غاسي المويلح، مضاعفين تقريبًا مسارنا في 6 يناير 1893؛ لكننا سنخيم جنوبًا أكثر من ذلك الوقت، على حافة نهر دراش المخوطة، الذي يُمثل الضفة الغربية لنهر غاسي المويلح. يبدأ نهر دراش المخوطة بالتكاثف ابتداءً من الخط A A›، ويحافظ على هذه النسب حتى نهايته الجنوبية.

تربة غاسي جافة في منطقة غولغلان في جزئها الشمالي، ثم بعد سيوف ب، نعبر من حين لآخر أحواض نيجي الصغيرة. إلا أن تربة هذا الغاسي أقل خصوبة بكثير من تربة الغاسي التي عبرناها سابقًا.

عند الرأس الشمالي لجبل غاسي، توجد بعض نتوءات الحجر الرملي الأسود (العينة رقم 102 - حجر بودنغ من الحجر الرملي ذي العناصر الصغيرة). بعد النقطة P، جمعتُ بعض أحجار الصوان المتكسرة، وهي عبارة عن حطام وفير من الحمم البركانية الخلوية المدلفنة. التربة عادية، وأحيانًا خشنة نوعًا ما، تتخللها نتوءات نادرة من الحجر الجيري الرمادي الصلب المثقوب، تشبه الحجر الجيري في الحمادة شمالًا. على اليسار، تظهر سلسلة جبال غاسي طويل الساحلية الغربية (درا ك)، التي سبق لي عبورها مرتين.

13 نوفمبر- نسلك اليوم نفس المسار الذي سلكناه في 7 يناير 1893، لنخيم في مويلاه-ماعت الله. لنسقي الإبل؛ ولكن بفضل النباتات الخضراء الرائعة التي كانت غذاءها منذ عين طيبة، فإنها لا تشعر بالعطش.

إن مراقبة الموكب تُشكّل هاجسًا حقيقيًا، خاصةً وأنني أسير دائمًا تقريبًا

في المقدمة، برفقة عدد قليل من الرجال، ويصعب عليّ كبت الإساءات. وأكثر ما يُزعجني هو عادة المرافق الذي، حالما أدير ظهري، يتخلى عن سرجه ويتركهم ليصعدوا على جمالي التي أحملها، فالهمّ الرئيسي للرجال في الطريق هو دائمًا تجنيب جمالهم الشخصية.

14 نوفمبر. نفس المسار تمامًا كما في 8 يناير 1893، للوصول إلى البيوض. الجزء الأول عبارة عن حمّادة خشنة من الحجر الرملي المتنوع، مغطاة هنا وهناك بجذوع أشجار متكلسة (العينة رقم 103). يتكون الجزء الثاني أولًا من طبقة جبسية متموجة تغطي البيوض؛ ثم يمر إلى أرض السبخة التي تقودنا إلى البيوض، حيث نجد البئر بحالة جيدة نوعًا ما. ومرت قافلة من هناك مؤخرًا وسقت جمالها هناك.

كنت أنوي في البداية مغادرة معيلة ماعت الله للتوجه مباشرة إلى خنفوسة وتبلبلت؛ لكن الحاج، قائد موكبي، أشار إلي أن الماء في معيلة كان سيئًا للغاية، وأن الرجال لا يريدون أن يضطروا إلى شربه على هذا النحو لمدة أربعة أو خمسة أيام؛ لذلك اتخذت الطريق إلى البيوض حيث كان الماء، على الرغم من كونه كريهًا، أفضل قليلاً.

الصحراء هنا، كسائر أرجاء العرق، مغطاة بنباتات خضراء خلابة، والهضبة غاية في الروعة. تمتلئ الإبل في أقل من ساعة.

في هذا المساء، كما بالأمس، كان من المستحيل إجراء أي ملاحظات؛ حيث ظلت السماء ملبدة بالغيوم؛ وفي الساعة السابعة تساقطت قطرات من المطر، ومر الليل بأكمله في عواصف وهبات تتحول تدريجيا من الجنوب الغربي إلى الجنوب الشرقي.

15 نوفمبر. إقامة. وفي الصباح، ابتداءً من الساعة السادسة، هطلت قطرات مطر. الجو عاصف، مع هبات رياح قوية من الجنوب الشرقي، أعقبها هدوء بعد قليل. لم نشهد سوى هدوء الطقس منذ مغادرتنا، لكن الشتاء قادم، ومعه الرمال المرتفعة، والخيام المتطايرة، وكل ما يصاحب سوء الأحوال الجوية.

القوافل القادمة من أولاد باحمو لشرب مياه البيوض لا تخيم أبدًا عند البئر، بل على المجبِد نفسه، عند الكثبان الرملية لزاوية العودَة وغاسي الأدهم، ومن هناك تُرسل الإبل وقرب النبيذ إلى البئر، حيث لا يجرؤون على التوقف خوفًا من لقاء البدو الجزائريين أو الأوروبيين من الشمال. القافلة التي مرّت مؤخرًا من هنا،

قطفت جميع التمور من أشجار النخيل التي زرعها فلاترز. تنمو هذه الأشجار بشكل واضح وبقوة مدهشة.

إن مجموعات الفاليزليز في الحوض ليست خضراء بعد، فهي تشعر بحرارة الصيف، ولكن من ناحية أخرى فإن هذا الأخير مليء بنباتات الحد الصغيرة ومجموعات موروكبا الخضراء المزدهرة، الطويلة والسميكة، والتي لم أر مثلها في أي مكان من قبل.

أخبرني أحد رجالي أن أحد التوارق عثر على ثلاثة سيوف على قمة أهقار قبل عامين أو ثلاثة أعوام؛ كان عرض هذه السيوف 12 أو 15 سنتيمترًا، وطول نصلها 55 إلى 60 سنتيمترًا فقط. بالإضافة إلى ذلك، كان المقبض مزودًا بواقي مصمم لحماية اليد بالكامل. من أين أتت هذه الأسلحة الصدئة؟ يبدو لي هذا الأمر صعب التحديد.

في 16 نوفمبر، سلكنا نفس الطريق تمامًا، وخيمنا في نفس النقطة التي خيّمنا فيها في 22 ديسمبر 1893، في وادٍ على هضبة تينغيرت.

في الواقع، لم يُرِد الحاج أن يتولى مسؤولية إرشادنا مباشرةً من هنا إلى طبلبالت، عبر الهضبة؛ فهو لم يسلك هذا الطريق قط، وليست لديه معالم كافية تُحدد مساره؛ بل وافق فقط على اختصار الطريق من الثلم العميق الذي حفره إيغرغار في تينغرت. ولأنني لم أزر طبلبالت قط، فلا أريد أن أتولى مسؤولية توجيه المهمة، باستخدام البوصلة، إلى هذه النقطة، مع أن الأمر سهل نسبيًا، ولذلك قررتُ رغم كل شيء المرور بزاوية تيمسانين، التي كنتُ أودّ تجنبها لأنها تُجبرنا على الانحراف شرقًا دون داعٍ، وخاصةً أن هذا المنبع المائي بمثابة صندوق بريد حقيقي، تنتشر منه الأخبار بسرعة لا يفهمها أحد.

من الخامسة إلى التاسعة صباحًا، مشينا في وسط ضباب كثيف لدرجة أننا ضللنا الطريق لبعض الوقت، بين البيوض والعودجة؛ لم نتمكن من الرؤية على مسافة 150 مترًا إلى الأمام، وفجأة صادفنا سيوفًا لم نكن حتى نشك في وجوده قبل لحظة.

بمجرد أن غادرنا الكثبان الرملية، وجدنا آثارًا متعددة في وادي الطرفة: أحدثها كانت بالكاد بضع ساعات: كانوا أربعة عشر مهارا توارقًا، يسيرون بسرعة كبيرة للانضمام إلى قافلة كانت متجهة غربًا، يقودها أحد عشر رجلاً، لكنها تتكون من

العديد من الجمال؛ وقد حدث مرورهذه القافلة قبل ثلاثة أيام فقط. إن أقدام الحيوانات الراكبة، التي تدفع القافلة المذكورة، معروفة لرجالي؛ إنهم أحد عشر منشقًا من الشامبا قادمين من إمغيروعين صلاح؛ لقد أخذوا القافلة أو القطيع الذي يأخذونه، بالقرب من غدامس، والتوارق الأربعة عشر، الذين يركضون خلفهم، هم على الأرجح أصحاب الحيوانات. على أثر هؤلاء الرجال الأربعة عشر. وجمعنا تمورًا سوداء صغيرة من غدامس، سقطت من حقائب الفرسان، بسبب سرعة خطواتهم. وسنتحدث عن هذا الغازي لاحقًا.

ها هي غارة ثانية شنها رجال من الغرب، منشقون عن قبيلة الشامبا أو غيرهم. لا يهم أصلهم؛ فهم يصفون أنفسهم برجال بو عمامة، مقيمون في تيديكلت وتوات. يهاجمون القوافل على مسالك البدو. هؤلاء هم أنفسهم الذين هاجموا قبل شهرين قافلة إمدادات من حصن ماكماهون (حاسي الأحومر) فقتلوا ستة أو سبعة منا من السباهين والرماة.[1] وهم من قتلوا ستة من الشواف في بلحيران. قرب تقرت، على بعد أقل من 80 كيلومترًا، وخطفوا أربعمئة جملًا من أولاد الساهية. وأفقدوا نحو خمسة عشر رجلاً وظائفهم العام الماضي. هذا يكفي، ويجب كبح هذه الغزوات. الحل هو اقتحام معاقلهم في توات وتيديكلت. تلك المعاقل جغرافيًا داخل نطاقنا. وبدونها لن يجدوا الإمدادات ولن يستطيعوا مواصلة نشاطهم كناهبين.

ولكن دعونا نعود إلى مسارنا؛ لقد لاحظنا أيضًا، على نفس مجيب الزاوية، عبر الهضبة، آثارًا طازجة، ذهابًا وإيابًا، لمحارتين؛ هذه هي آثار رجلين ينتميان إلى عبد النبي التارقي اللذين قدما إلى الجزائر في عام 1892 وكانا على الأرجح ذاهبين إلى البيض على أمل قطف التمور من ثلاث مجموعات صغيرة من أشجار النخيل المنتشرة حول هذه النقطة.

17 نوفمبر. زحفنا على الحمادة واتخذنا نفس الطريق تمامًا كما فعلنا في 23 ديسمبر 1893؛ وخيمنا في نفس النقطة.

1-مصطلح «spahis ou tirailleurs» يعني بالعربية: «السباهيّون أو الرماة/المجندون»

- «Spahis» (سباهيّون) وحدات فرنسية استعمارية تتألف عادةً من مقاتلين محليين بقيادة ضباط فرنسيين، وكانوا يُستخدمون في شمال أفريقيا. (المترجم)

- «Tirailleurs» (رماة/جنود مشاة» جنود مشاة محليون في الجيش الفرنسي، يُجندون من السكان الأصليين، ويخدمون عادةً في الوحدات الخفيفة أو المشاة. (المترجم)

لاحظ رجالي في نهر شابيت تيغنتارين، عند نقطة تصبه في نهر إيغرغار، أثرًا حديثًا نسبيًا للمور (الغزلان)؛ وهذه حقيقةٌ مُدهشة، إذ لا توجد غزلان في الصحراء إلا في أهقار، ولا تغادر مناطقها أبدًا. ولأن أهقار خالية من النباتات هذا العام، فمن المُرجّح أن تكون الطرائد الخاصة بهذه المنطقة قد تشتت قليلًا في كل مكان بحثًا عن الطعام، وأن بعض الغزلان قد تبعت بشكل طبيعي مجرى وادي إيغرغار.

تلال النقطة «ا» بتاريخ 23 ديسمبر 1893، عند سفحها.

لقد جمعت كتلًا من حطام الأمونيت من سينونيان، وهي ليست مكونة بالكامل من هذه الحفريات، ولكنها تستقر على ضفة من الحجر الجيري الأموني الذي يبرز من الأرض الحالية؛ في حين يتكون الجزء الناشئ من التلال من الطين الأخضر المتوج بالحجر الجيري الأحمر.

نسيت أن أقول أنه على طريق الأمس بين سيف الخداج والتلال الأولى للهضبة، في وادي الطرفة، جمعت قطعة من الحمم البركانية الخلوية. كان من الممكن أن تكون هذه القطعة قد جلبتها المياه إذا افترضنا (وهو أمر مقبول) أن نهر إيغرغار وصل إلى البيوض، في وقت لم تكن فيه رمال العرق، وخاصة الدرة المعزولة المسماة البيوض، قد انضمت بعد إلى هضبة تنغرت. واليوم ما زلت أجمع قطع جديدة من الحمم البركانية الخلوية، متشابهة تمامًا، باتجاه رأس الواد الذي يعمل كطريق بين وادي الطرفة وقمة الحمادة. من المستحيل أن تكون مياه نهر إيغرغار قد وصلت إلى هذه النقطة الأخيرة على الإطلاق؛ ومن ناحية أخرى، ثبت أيضًا أنه لم يكن هناك أي بركان بحري موجود على هذا الجزء المحدود من تنغرت. لذلك، أفترض أن هذه القطعة لا يمكن العثور عليها في هذا المكان إلا لأنها رُميت أرضًا، إما من قِبل عرب أو أحد الرحالة؛ وهذا الافتراض أكثر ترجيحًا لأنني التقطت هذه العينة على المجيب نفسه. وكانت ليلة سيئة، رياح وأمطار حتى الرابعة صباحًا.

18 نوفمبر - تتبع البعثة نفس الطريق الذي سلكته في 24 ديسمبر 1893، لتخييم أخيرًا في تيماسانين، في ظل رياح جنوبية غربية عنيفة للغاية، مما أدى إلى حجب الرؤية بسبب الرمال ومنعنا من رؤية أي شيء يتجاوز 100 إلى 150 مترًا.

كنتُ قد أرسلتُ رجلين مُكلفين بمراقبة منزل الحرطاني من أعلى السيف الرملي المُطل عليه. بقي أحدهما على السيف الرملي مع المِحارة؛ أما الآخر، فلما لم يجد شيئًا غير طبيعي، فقد تقدم سيرًا على الأقدام وتحدث مع الحاج مبارك، حارس

الزاوية. وبعد أن هدأت الأمور، عاد أحد الفرسان ليُخبرنا بإمكانية التقدم، مُخبرًا إيانا أن محيط تيماسانين مليء بآثار لا تزال حديثة.

تعود هذه الآثار إلى هجوم كبير شارك فيه أربعة وسبعون فارسًا من أهقار، عِصّاكَمَرَن، أولاد مسعود، تايتوك، وغيرهم، ومعهم شَجْنبيٌّ منشق يُدعى علي بن دُبّة، صديق حميم لابن ختخت يرافقه دائمًا، وكان من المشاركين في ذلك الهجوم بل ومن أبرز قادته.

أقام المهاجمين مخيمهم لمدة يومين أو ثلاثة، ليس في الزاوية نفسها، بل بالقرب من النخيل الصغيرة لعائلة التارقي عبد الحكيم، الواقعة على بعد بضعة كيلومترات في منطقة الإستيت، وفي وسطها بئر صاعد.

تبدو جمال رجال المهاجمين جميعها في حالة هزال مزرية، وكثير منها عجزت عن جرِّ الفرسان إلى نقطة الانطلاق. وحمل العديد من هؤلاء بنادق غراس من نهب بعثة فلاترز. وما زالوا يستخدمونها ويحصّلون خراطيشها من طرابلس والمغرب. وأغلب حاملي هذه الأسلحة من أولاد مسعود وأولاد دعاء. وأخبرني الحاج مبارك أن ثلاثة أو أربعة آخرين كانوا مسلحين ببنادق وينشستر.

سأل المهاجمون عن أي أخبار تخص فورو، وما إذا كان أحد يعلم موعد وصوله إلى الصحراء. غادروا من هنا في الثالث عشر من الشهر الجاري متجهين شمالًا-شمال شرقًا بعد أن حددوا أهدافًا متعددة: البحث عن مهمتي، ونهب إبل الوادي، وشن غارات على الغريبيين، وغيرها. وتبدو المعلومات التي نقلتها هذه العصابة إلى الحارتاني مشوشة ومضللة، ما يجعل من الصعب تحديد الحقيقة بدقة. وكان القادة الرئيسيون للمهاجمين بن خطخت وولديه، وعلي بن دوبلة. وأخيرًا عنابة.

اشتريت بعض الماعز من الحرطاني ودفعّت ثمنها بما يفوق قيمتها الحقيقية بكثير، وأضفت مبلغًا إضافيًا كهدية للحاج إمبارك، الذي يفضل هذا النوع من العطاء على هدايا الدقيق أو الإبل، التي قد يطالب بها التوارق المارة.

كان الحاج إمبارك، الشجاع، مستاءً من التارقي عبد النبي، الذي رافق بعثة داتانو، إذ حثّ البعثة على منحه القليل فقط، رغم أنه كان من المقرر أن يُمنح بندقية وينشستروأموالًا، حسب ما قيل، لكن الشائعات تصل دائمًا إلى الصحراء.

أخيرًا، زودني الحاج إمبارك بالمعلومات التالية، وهي ملخص لحوار دار في الخريف في الزاوية نفسها مع أحد التوارق المارة من قبيلة أزجر، حيث قال: «إذا

أراد فورو العبور دائمًا، فلن نعارضه، بل سنقوده إلى حدود أراضينا، ثم نسلمه لأهل الجنوب على مسؤوليته الخاصة؛ لكن في المقابل يجب أن يمنحنا «خاتدو» ويدفع ثمن الإبل التي نهبها أهل الوادي منا منذ زمن بعيد».

أما سي أحمد، أحد أقارب ابن عنابي من قبيلة التارقي، فقد مر من هنا منذ خمسة أو ستة أيام قادمًا من منخور مع بعض أفراد عائلته، وغادر أول أمس إلى الوادي عبر الطريق المؤدي إلى قاسي الطويل.

(2) من تيماسانين إلى منخور

في 19 نوفمبر، تقدمنا جنوبًا أولًا على أرض صلبة مغطاة بطبقة رملية متماسكة، وهي التربة المميزة لفياج عرق تيماسانين، حيث لوحظت بقايا حمم بركانية خلوية تشير إلى أن واد إيساوان قد تشكّل في مكان قريب.

عند النقطة (أ)، عبرنا سلسلة صغيرة من جبال السيوف القادمة من الشمال الغربي، والتي ستلتقي لاحقًا بسلسلة أكبر في الشرق. وعند النقطة (ب)، وصلنا إلى سلسلة جبال الفيدج، ذات التربة المتموجة من الرمال المتماسكة، وتنتشر فيها نباتات الحلمة والإهبيلة، إضافة إلى خصلات الأزال ذات الخضرة الزاهية. تتوقف الحلمة قبل النقطة (ج) بقليل.

عند النقطة (ج)، تحول الفيدج إلى حمادة ذات أرضية من الحجر الجيري الرمادي الصلب المثقوب، تتخللها أحواض من الجبس الناعم، يغوص فيها البشر والحيوانات عميقًا محدثة سحبًا كثيفة من الغبار. في مواضع عدة، وخاصة عند النقطة (د)، ترتفع تلال صغيرة من الصخور الداكنة المثقوبة لا يتجاوز ارتفاعها سبعة إلى ثمانية أمتار (عينة رقم 105: أحجار رملية فجوية متنوعة).

إلى الشرق من النقطة (ج)، يمتد خط طويل من التلال ذات منحدرات لطيفة، مغطاة بطبقة رقيقة من الرمال المتماسكة أو reg صلبة، تنحدر غربًا وتستمر باتجاه الجنوب الشرقي، وتنتشر فيها هنا وهناك بعض السيوف البعيدة النادرة. بعد ذلك، يفسح المجال لخط كبير من الكثبان الرملية، مكوّنًا الضفة الشمالية للفيدج الذي كنا نتبعه، والذي سرعان ما تركناه لنخيم عند كثبان ساحله الجنوبي. يشبه هذا الفيدج حشوة رملية، وعبرنا في قاعه جميع الأحواض ذات القيعان الجبسية.

في المنطقة الشرقية، برزت تلال صغيرة من الصخور الخشنة غير المنتظمة ونتوءات صخرية رملية حمراء (عينة رقم 105).

ما عبرناه اليوم لم يكن العرق بحد ذاته، بل هضابًا تتخللها طبقات رملية متماسكة وسلاسل من الكثبان الرملية المعزولة، وهو المخرج الطبيعي لوادي إيساوان.

وجدنا اليوم آثارًا للعديد من المِهارا التي شقت طريقها مؤخرًا نحو الجنوب الغربي، وربما كانوا من مجموعة الغزاة الكبرى الذين استقروا في هذا الاتجاه. بمجرد إقامة المخيم، أُرسل رجل للوقوف على السيف الرملي، حيث يمكن رؤية جزء كبير من الطريق، لمراقبة أي تقدم محتمل للمهاجمين المتتبعين لآثارنا الجديدة. ونحن مُلزمون باليقظة، إذ يكتنف الغموض الاتجاه الحقيقي الذي سلكه مهاجمو أهقار، وفي الوقت نفسه نحن على طريق رئيسي يستوجب مضاعفة الاحتياطات.

امتد خط الطريق اليوم بالكامل شرقًا، على بعد عدة كيلومترات من المسار الذي اتبعته بعثة فلاترز الأولى. وغطت المنطقة نباتات خلابة في كل مكان، ومع ذلك لم نلاحظ أي حيوانات برية أو آثار لها.

في الساعة الثامنة مساءً، انطلقت صيحة استنفار قوية بعد أن نهضت جميع الجمال فجأة. تقدّم الجميع مسلحين، لكن الحراس أكدوا أنهم لم يروا شيئًا. كشف اثنان من الحراس عن وجهيهما بسرعة من خلف شجيرة، وربما كانت هذه الحركة المفاجئة سببًا في فزع الحيوانات. النهار لا يثير الخوف، لكن الليل يحمل مفاجآت كبيرة بالنسبة لقلة العدد.

في 20 نوفمبر، تجولنا في العرق، وعبرنا أولًا سلسلة وعرة نوعًا ما يصل ارتفاع قممها إلى 150 مترًا، بينما يبلغ ارتفاع ممراتها 60–70 مترًا. عند النقطة (A)، انتهى الممر، ومن هناك تقدمنا على الجانب الشرقي لسلسلة أخرى تحد غربًا فيدجًا كبيرًا (R). بدا أن السلاسل مشتتة: بعضها باتجاه الشمال الغربي والجنوب الشرقي، وبعضها باتجاه الشمال الشرقي والجنوب الغربي، لتشكل أرضًا متعرجة بمسارات غير منتظمة، وفواصلها فيدجات مغطاة عمومًا بطبقات رملية متماسكة. الأرض الرملية تغطي المنطقة بالكامل حتى محيط خنفوسة.

تكثر فيها نباتات الحد ودرين، إضافة إلى السبوت، فيما تحتوي الأزال على

خصلات نادرة سرعان ما تختفي. بعد خنفوسة، يقل نبات الحد بشكل كبير، ويقتصر الوجود على الإهبيل ودرين.

في PP، توجد حُفر صغيرة للسيوف، وفي G، أحواض تربة طينية مع شظايا حجر رملي أحمر، مليئة ببقايا أحجار الرحى الرملية من عصور ما قبل التاريخ.

في منطقة HH، تتكون التربة من حجر رملي بني وحجر جيري داكن مختلط بطبقات صغيرة من الجبس المتفتت بسهولة. في منطقة I، يظهر وعد صغير مع طلحة، يتدفق من وديان خنفوسة.

خنفوسة، التي سبق وصفها في بعثة فلاترز الأولى، عبارة عن جبال صغيرة تلامس الكثبان الرملية جنوبًا وشمالًا، فيما تمتد الكثبان شرقًا مشكلة هلالًا كبيرًا. تمتد حصاها الصخرية (العينة رقم 106: حجر رملي خشن، حديدي، أصفر أو بني، وحجر رملي أبيض متجانس) لأكثر من 600–700 متر من سفح التلال.

من بعيد أو قريب، تظهر هذه الكتلة مضاءة بالشمس، ويتميز لونها الأسود المميز الذي أكسبها الاسم العربي «الجعل». تتقاطع فيها عدة وديان ذات ضفاف شديدة الانحدار، ويصل ارتفاعها إلى أكثر من 120 مترًا فوق سطح البحر. من المتوقع أن يغطيها الرمل مستقبلًا، حيث بدأت وديانها وشقوقها تغزو بعض المناطق، وتبرز بقع ذهبية على اللون البني للصخور.

خيّمنا جنوب خنفوسة على بُعد نحو سبعة كيلومترات من مركزها، وسط كثبان رملية يصعب عبور قممها العالية. كان بإمكاننا الالتفاف غربًا، لكن اخترنا دخول الكتلة الجبلية بحثًا عن علف للإبل، ولم يتحقق الأمل إلا جزئيًا.

في 21 نوفمبر، تحركنا في العرق، الذي يتكون من تموجات كبيرة من الرمال المتماسكة، ثم تسلقنا سلسلة عالية نسبيًا من الكثبان الرملية، قمتها «أ» مصنوعة من صخور لم تغطها الرمال بالكامل بعد (العينة رقم 107: حجر جيري مخلوط بحجر رملي حديدي). تتميز هذه الأحجار بالصلابة الشديدة، وترتبط بطريقة تكتلية أو بودينغ، حيث تتحد عناصر كوارتز كبيرة نسبيًا مع مادة أسمنتية، وهو نفس نوع الصخور الموجودة في خنفوسة.

ننزل من الجانب الجنوبي من السلسلة، شديد الانحدار، ونسير، في الاتجاه B، على سهل طويل ذي تربة حمادة، أو تربة ريج غنية بالعناصر الثقيلة، وهي بقايا صخور خط التلال السوداء، ZZ، الذي نقترب منه كثيرًا، والذي يُشكل الحد

الغربي للسهل. هذه التلال من نفس لون وتكوين خنفوسة. وتتكون الحمادة من أنواع مختلفة من الحجر الرملي مع خليط من القليل من الكوارتز. (العينة رقم 108. بريشيا من الحجر الرملي الخشن والكوارتز. - كوارتز أوبال شفاف. - حجر رملي أحمر وأسود، حديدي).

العناصر الغذائية كبيرة جدًا حتى المستوى D، ثم بعد ذلك بوقت قصير، يصبح السهل أقل صلابة، ولا يكاد يتجاوز مساحة واسعة تُرسم عليها مسارات المِجْبَد المختلفة بقوة. هنا وهناك بعض الأحواض ذات التربة الطينية الممزوجة أحيانًا بالجبس، ولكن بكميات قليلة. تنحدر كتل صغيرة، RSTPQ، من السلسلة بانحدار نحو الشرق؛ وتحتوي جميعها على أشجار الطلحة (أشجار الصمغ) متوسطة الحجم، مثل الدرين والقطاف والحرطة. أشجار الطلحة خضراء ومرتفعة نوعًا ما، ولكن فقط عند مخرج الوديان في السهل.

في المنطقة (د)، نمر بعين تيوسكيرين، وهو نبع ماء دائم وإن كان ضئيل الأهمية، يستقر في قاع حفرة صغيرة على شكل قمع، حيث يظهر الماء على عمق 60 سنتيمترًا تحت الأرض. تنمو على جدار هذه البئر أعناق نبات التيفا أنجستيفوليا بلونها الأخضر الزاهي، مصحوبة بزوج أو ثلاثة من أعناق نبات المرقبة. يقع النبع عند سفح أحد نتوءات سلسلة جبال زد، ويحيط به شجرة صمغ صغيرة معزولة وبعض المقابر. تدفقه ضعيف جدًا، ولا يكفي إلا لملء بضعة قشور في كل مرة.

كان التارقي عبد النبي وعائلته يخيمون قرب هذا النبع قبل أربعة أشهر، عندما هاجمتهم عصابة من أربعين نهابًا من تيديكلت وبوعمامة، بقيادة مبارك بن الهيب. وقعت هذه الغارة قبل يوم واحد فقط من مرور الرجال الذين أرسلتهم رسلًا وحاملي هدايا لزعماء أزجر عبر هذه النقطة.

عبد النبي هو التارقي الذي شوهد في الجزائر في نوفمبر 1892، بصفته رئيس مياد، وقد تأثر بشدة بالغارة المذكورة أعلاه؛ حيث تم أخذ قطعانه بعيدًا، وقُتل شقيقه. بعد هذا الحادث، وغادر عبد النبي إلى توات ووصل إلى معسكرات بو عمامة، التي اقترب منها للمطالبة بها. لم يجعله المرابط يعيد جماله فحسب، بل أعطاه أيضًا هدية من الملابس الفاخرة والأقمشة الحريرية وما إلى ذلك، وأخيرًا فرسًا جميلة. وعاد عبد النبي، مسرورًا، وسلك الطريق إلى الجنوب؛ ولكن في سوء الأحوال الجوية بالنسبة له، صادف فرقة من الدوي منيا تبحث عن فريسة،

وهناك، جُرِّد مرة أخرى تمامًا، بعد أن أنقذ مهاجموه حياته وتخلوا عن ناقة قديمة وقربة نبيذ، بحيث كان عبد النبي - وفقًا لآخر الأخبار - لا يزال في عين صالح يتوسل للحصول على صدقة عامة.

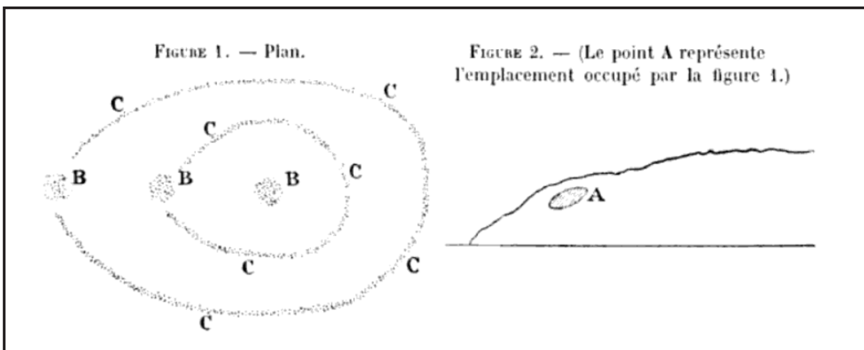
نستمر في السير على طول السفح الشرقي للتلال السوداء (Z)، وندور حول نهايتها الجنوبية حتى نصل إلى المخيم في عين طبلبالت، حيث نبدأ، كمهمتنا الأولى، بسقي جميع الجمال.

طبلبالت عبارة عن بئر تقع عند سفح تلال Z، وتتميز بأشجار الصمغ، وخاصة أشجار النخيل المنتشرة عند سفحها. حُفرت مياه البئر مباشرة، وهي وفيرة وغزيرة. يهيمن على البئر الطرف الجنوبي من حلمات Z، وتقع في وادٍ منبسط بلا ضفاف، يضم العديد من أشجار الدرين والحرطة والقطاف، مع انتشار متفرق لأشجار الصمغ متوسطة الحجم.

تقريبًا عند أعلى الرأس الذي يهيمن على طبلبالت، وعلى جانبه الشرقي، توجد تجمعات من الحجارة ذات سياج مزدوج، والتي تبدو وفق المعطيات على الأرجح مقابر. المخطط التفصيلي كالآتي:

- «BBB»: تلال صغيرة أو مخاريط منخفضة، تتكون من حجارة جلبت من باطن الأرض، يبلغ قطرها عند القاعدة حوالي 1.5 متر، وارتفاعها 0.8 إلى 1 متر.

- «CCC»: أسوار بيضاوية مصنوعة من الحجارة مرتبة في صفوف صغيرة



ومنخفضة الارتفاع، تشبه حبالًا حجرية بسيطة، ولا يتجاوز القطر الكبير للقطع الناقص الخارجي 18 مترًا.

على مقربة من البئر، إلى الشرق، توجد بعض القبور وأكواخ (واحدة أو ثلاث) مبنية من الطوب الخام، تظهر منها فقط جدران منهارة جزئيًا. كما لا تزال آثار قنوات الري مرئية على الأرض إلى الغرب من البئر. كان الإيفوغاس يستخدمون المياه الجوفية الوفيرة للبئر لرفع منسوبها وزراعة القليل من القمح في منطقة محددة، لكنهم هجروا المكان بسبب انعدام الأمن وتعرضهم المستمر للنهب على يد الأهقار أو السكان الذين لا يعترفون بـ«تيديكلت».

تشكل التلال الواقعة في الطرف الجنوبي من سلسلة جبال Z، المطلة على البئر، نتوءًا صخريًا بانحدار شديد، وتتكون من صخور الحجر الرملي المتفتتة إلى شظايا كبيرة، سطحها العلوي مصقول. الحجر الرملي متشقق بشقوق كبيرة ويتفتت بفعل العوامل الجوية، لونه رمادي، ويغطيه أحيانًا طبقة حديدية حمراء داكنة، تجعله يبدو أسود من بعيد. (العينة رقم 109: حجر رملي أبيض – حجر رملي حديدي؛ العصر الديفوني).

هذا الصباح لاحظنا: أولاً، عند سفح المنحدر الجنوبي A، آثار اثنين من المهاري اللتين مرتا بالأمس وكانتا تسيران نحو الغرب؛ ثانياً، هذين الأثرين أنفسهما قادمين من الجنوب، على الميجبيد، أبعد قليلاً؛ ثالثاً، آثار المهاري الأوليين، ثم اثنين آخرين ذاهبين من الغرب إلى الشرق وبالتالي عبرا الميجبيد قليلاً إلى الجنوب من عين تيوسكيرين. ومن الصعب الاستنتاج. هل هم رجال أُرسلوا ككشافين لمراقبة الطريق القادم من الشمال؟ أم هم، على العكس من ذلك، فرسان لاحظوا آثارنا في تيمسانين أو بالقرب منها، والذين اكتسبوا سرعة علينا بالسير نحو شرقنا؟ وهذه هي الفرضية الأكثر ترجيحًا في رأيي، على الرغم من أن رجالي لا يقبلونها، إيفوغاس أو أزجر يبحثون عن الجمال المفقودة؟ ما يدفعني للاعتقاد بصحة الفرضية الأخيرة هو أننا أمس، أثناء النهار ثم في المساء، صادفنا 6 أو 8 جمال ترعى في العرق، دون أصحابها.

23 نوفمبر - البقاء. قررت البقاء هنا اليوم، لأن هناك قطاف، وسيتمكن جمالي من الحصول على الطعام، بينما في عين الحجاج، يبدو أن الغطاء النباتي قليل جدًا.

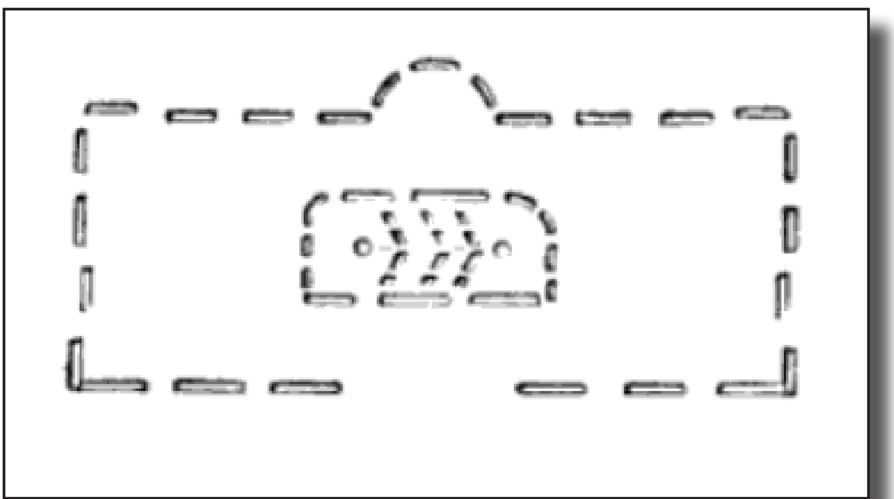
لديّ حراسة مشددة طوال الليل، ستة رجال، اثنان اثنان. هذا الصباح، أرسلتُ حارسًا إلى قمم التلال الواقعة شمالنا، لمراقبة جميع المناطق المحيطة التي نطل عليها من ارتفاع شاهق. سنُسقي الإبل مرة أخرى، وهي عملية ضرورية (رغم سقيها في اليوم السابق) إذا أردنا لهذه الحيوانات أن تشبع نفسها بكمية كبيرة من الطعام.

لقد أغفلتُ الإشارة إلى أن الحمادة والريغ الكبير اللذين عبرناه أمس، وكذلك وادي طبلبالت، تقع على تربة طينية حمراء أورمادية اللون، مناسبة جدًا للزراعة. ستكون هناك فرصة جيدة لنجاح حفرة اختبارهنا، وإذا وُجدت، فسيكون من الممكن ري الأجزاء غير الحجرية من السهل، مما يُوسّع نطاق الزراعة التقليدية للتوارق، وإن كانت محدودة للغاية.

تم جمع أجزاء من الحمم البركانية الخلوية السوداء والحمراء حول تابالباليت.

بالقرب من البئر، استُخدمت بعض النقوش والزخارف، من ضمنها قاعدة نخلة تمرواحدة، يرتفع جذعها من حافة البئر، وتمتد جذورها في الماء بين الحجارة المشكِّلة لغلاف من صنع الإنسان، تمامًا مثل غلاف عين تيوسكيرين.

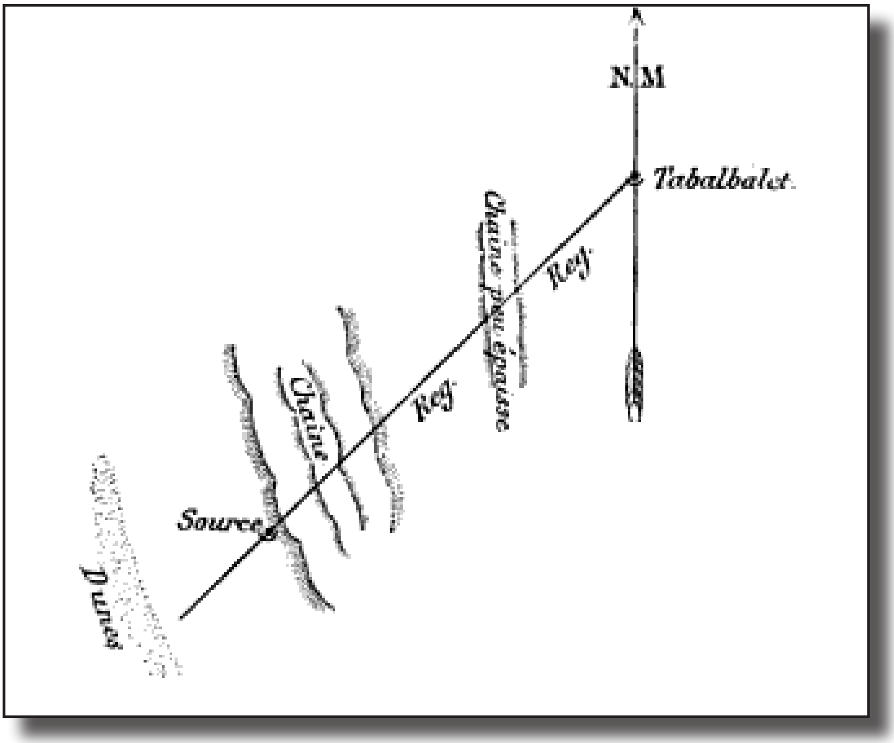
في الصباح، لاحظنا تغيرات في الشريط المغناطيسي وقيمة المركب الأفقي؛ لكن حوالي الساعة الرابعة عصرًا، غطت الغيوم السماء تمامًا. منذ إيل بيوض، عانينا باستمرار من غيوم وضباب، ولم نشهد يومًا السماء الصافية.



على بُعد حوالي 40 كيلومترًا جنوب غرب طبلبالت، خلف سلاسل التلال العالية غربنا، يوجد بئر أو نبع ماء دائم.تُزيّن قاعدة نخلة التمر الوحيدة، التي يرتفع جذعها من حافة البئر، فتغوص جذورها مباشرةً في الماء، مارةً بين الأحجار التي تُشكّل قالبها. هذا القالب مصنوعٌ يدويًا، مثل قالب عين تيوسكيرين.

في الصباح، تمكنا من رصد تغيرات الشريط المغناطيسي وقيمة المركب الأفقي؛ ولكن حوالي الساعة الرابعة عصرًا، أصبح الطقس غائمًا تمامًا. ولا بد لي من القول، علاوة على ذلك، إنه منذ إيل-بيود، كان لدينا دائمًا، بدرجات متفاوتة، جو من السحب والضباب أو الضباب، ولم يكن هناك يوم واحد من ضوء جميل وصافٍ.

ليس بعيدًا عن طبلبالت، توجد بئر، أو بالأحرى نبع ماء دائم . يبعد عنا حوالي

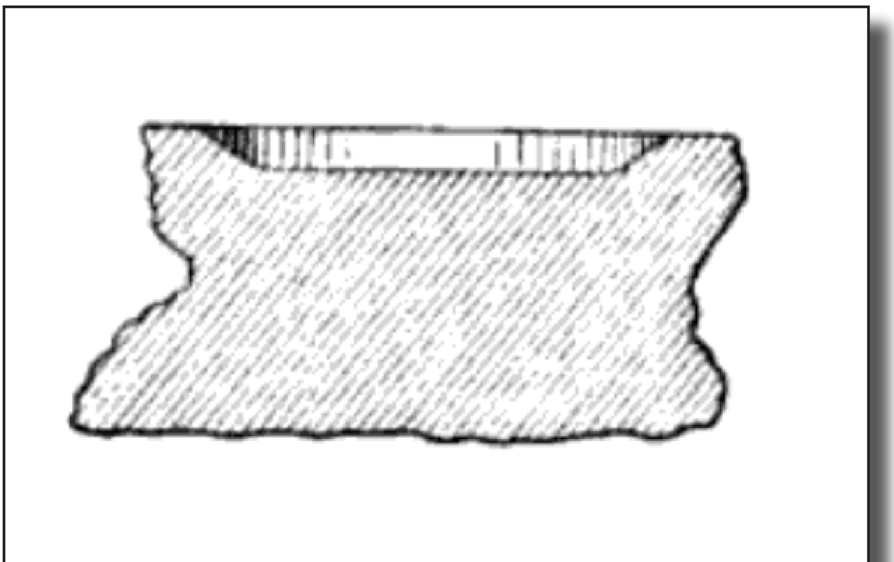


أربعين كيلومترًا، في الجنوب الغربي، على الجانب الآخر من سلاسل التلال المرتفعة غربًا، كما هو موضح في الرسم أدناه.

زودني أحد رجالي بهذه المعلومات، إذ شرب من هذا النبع في الصيف الماضي أثناء عودته من أزدجر بعد أن أرسلته لتسليم رسائل إلى الزعماء.

23 نوفمبر. نتقدم جنوبًا على مسار يمتد بالكامل على رقعة كبيرة من الحجر الرملي (العينة رقم 11: حجر رملي مخلوط بشظايا السانجوين) مع تربة متفرقة من الطين الأحمر وأحيانًا الجبس، تظهر عارية في بعض المواقع أو على شكل تلال صغيرة. تتفاوت الأرضية بين خشنة وناعمة، لكنها دائمًا من نفس نوع الحجر الرملي، وأحيانًا ممزوجة بشظايا حديدية من الليمونيت وقطع من الحمم الخلوية المحمرة والسوداء ذات خلايا كبيرة. في بعض النقاط، خاصة عند M، تظهر طبقات رقيقة جدًا من السانجوين (العينة رقم 110).

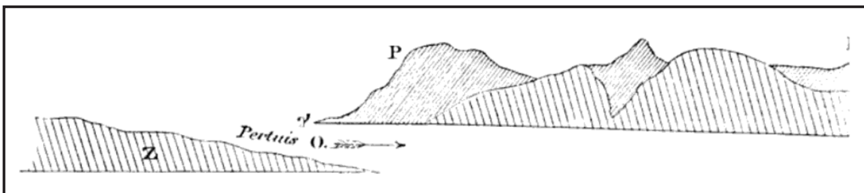
هنا وهناك، وبخاصة عند A على حافة كثبان الإرج، تُرى أصداف كوربيكولا فلوميناليس (العينة رقم 111). وتنتشر العديد من أحجار الرحى الرملية أو حطامها



على الأرض في الجزء الشمالي من الطريق، وخصوصًا باتجاه C. بعض هذه الأحجار الرحى أسطوانية الشكل لكنها غير منتظمة، مصنوعة من حجر رملي أبيض أو رمادي، ويبلغ قطرها نحو 0.30 متر وسمكها حوالي 0.20 متر.

نسير في سهل يشبه الممر، أقرب كثيرًا إلى الكثبان الرملية الشرقية منه إلى السلسلة الكبيرة PP في الغرب. يمتد المنحدر العام للسهل من الشرق إلى الغرب، ما يسمح لنا بالسيطرة على الوادي الذي يستنزف مياهه. على طول سفح السلسلة P، عند BBB، تنمو العديد من أشجار الصمغ الجميلة. من هنا يصعب تحديد اتجاه تدفق النهر، لكن من المرجح أنه استمرار لواد ماستان الذي ينحدر من الجنوب ويصل إلى السهل عبر مضيق O، متجهًا نحو طبلبالت.

يبلغ ارتفاع سلسلة جبال PP الكبرى 250 مترًا على الأقل فوق سطح البحر، وتتميز بوجود وديان عميقة، وتتكون من خطين متوازيين من الجبال مترابطين



بشكل وثيق دون وجود وادٍ يفصل بينهما.

الشكل العام لنطاقات Pet Z، كما نراها من النقطة Y، يظهر أن نطاق P، الممتد حتى y، هو مجرد استمرار لجبال Tiouskirin، ويتطابق تكوينه الجيولوجي معها. لونه الأسود ناتج عن الانعكاسات الحديدية لحجر الرمل الخاص به.

اليوم جمعنا بعض أحجار الصوان المتشققة، قليلة العدد، وتم تصنيعها بطريقة بدائية نسبيًا. الطقس كان مهددًا هذا الصباح، بعد أن هطلت قطرات مطر الليلة الماضية.

واليوم، في الوقت الذي نُخيم فيه بالقرب من غور تيكبابن، هطلت الأمطار قليلاً. ومرّ الليل بأكمله بتناوب قطرات المطر والطقس الملبد. السماء سوداء حالكة، وكل شيء غارق في ظلام دامس. تلقينا إنذارين حادين للغاية، أو لنقل بشكل أفضل، ندائين متتاليين للحمل. في المرة الأولى، في منتصف الليل والنصف، سمعت نفسي أُنادي بهدوء من قِبل الحاج؛ نهضت على الفور وجعلت فيلات ينهض. رأى أحد

الحراس رجلين يتقدمان نحو المخيم، على مسافة قصيرة؛ لم يستجيبا لثلاث نداءات متتالية. لكن الرجل الذي كان على الحراسة لم يجرؤ على إطلاق النار قبل تحذيرنا، وهو ما ألومه عليه بشدة، حيث أنني أعطيت الأمر بإطلاق النار، أثناء الليل، على أي رجل لا يستجيب لثلاث نداءات من، من هنا! باللغة العربية أو بلغة التوارق. نراقب، وندور حول المخيم، لا شيء في أي مكان؛ تجوّلتُ بين المجموعات القليلة المحيطة بنا، إذ توقّفنا عند مجرى نهر صغير بلا ضفاف، لا يحتوي إلا على مجموعات صغيرة من أشجار الهارتا والدرين وثلاث أو أربع أشجار صمغ. أخيرًا، أمرتُ بإشعال مجموعات من الدرين، وأحرقتُ المغنيسيوم بنفسي؛ لكن لم تظهر لنا أي آثار، سوى آثار فريقي، على نطاق واسع بما يكفي. لذلك، أجمع جميع فريقي على أن هذه مجرد « سغوغون » (أشباح) رآها الحارس. أما أنا، فأظن أنه كان ضحية وهم ليلي، أو أن عقله المنشغل أوحى إليه برؤية كائنات خيالية.

أعود إلى فراشي دون نوم، وأستيقظ عند الثانية صباحًا على ضجيج هائل؛ صيحات رجالي تُهدد المهاجمين المزعومين، وضجيج عام يملأ المكان، مع جولات جديدة وعمليات تفتيش متكررة، لكن النتيجة تبقى كما في المرة الأولى. أعود إلى النوم حتمًا، لكن لا أحد في المخيم، سوى فيلات وأنا، يغلق عينيه حتى اليوم التالي.

24 نوفمبر. كانت الغيوم مقلقة، وهطلت قطرات من المطر. انطلقنا في المنطقة الجبلية متجهين نحو الطرف الجنوبي من هضبة تيكبابن، نفس المنطقة التي زرناها بالأمس، مع ميل لتشكّل الطين الأحمر العاري وأحيانًا الجبس بشكل أكثر تواترًا. في هذه المواقع، كانت الأحواض أو مجاري الأنهار تحتوي على غدير صغير وبعض أشجار الصمغ، إلى جانب مجموعات نادرة من الحرطة، وبعض شالياط، وأنواع أخرى. [1]

23 نوفمبر. واصلت البعثة السير جنوبًا على طول مجرى واسع، ربما مجرى نهر بلا ضفاف واضحة، يمتد دومًا من الشرق إلى الغرب. عند سفح السلسلة الكبرى

1-النباتات المذكورة في النص تشمل: الصمغ (*Acacia gum / Gum arabic tree*)، الحرطة (*Stipa tenacissima / Halfa grass*)، الحلمة (*Desert needle grass / Stipa spp.*)، شالياط (*Calligonum spp.*)، الأزال (*Atriplex / Saltbush*)، ورود أريحا (*Nitraria retusa / Desert Nitre bush*)، التيفا (*Typha angustifolia / Narrow-leaved cattail*)، والمرقبة (*Artemisia herba-alba / White wormwood*). هذه النباتات شائعة في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية وتستعمل للأعلاف، الزينة، أو الاستخدامات التقليدية.(المترجم)

غربًا، يبرز خط متعرج مغطى بأشجار الصمغ الداكنة، وهو على الأرجح خط مائي يتجه شمالًا، مستمرًا في وديان تكرانت، سامني، وتيدجودجلت، جامعًا مياه الأودية الصغيرة القادمة من الشرق والغرب.

يضم هذا المَعْدَر أعناقًا من الحرطة، وبعض الحلمة، وخليطًا نباتيًا، وفي المناطق ذات التربة الطينية الجبسية توجد نباتات ورود أريحا. التربة ناعمة ومغطاة بحصى كوارتز صغيرة، خلاف المناطق الخشنة. تظهر هنا وهناك بعض النباتات القريبة من الجل والسويد، ويبدو أن الأخير من نوع «دموي» بسبب لونه. آثار الغدير الجاف واضحة في كل مكان.

في النقطة (C)، تظهر نتوءات من الحجر الرملي الرمادي المتفرقة، مكونة طبقات رقيقة متوازية شبه عمودية. عند النقطة (H)، يصبح الريج أدق، ويظهر الجبس مختلطًا بالطين الذي يدعم الطبقة السطحية الرقيقة من الريج.

في النقطة (D)، نصل إلى نهاية غور تيكبابن، بالقرب من غور صغير يسمى غور غدامسية، نسبةً لأربعة أو خمسة من سكان غدامس قتلوا هناك، وقبورهم على شكل أكوام صغيرة من الحصى على حافة الميجبيد. يتكون هذا الجزء الجبلي من صخور الحجر الرملي الأسود الخشن (العينة رقم 112: حجر رملي حديدي). جبال غور تيكبابن منخفضة نسبيًا، بارتفاع نحو 60 مترًا فوق مستوى السهل، بينما السلسلة الغربية الجنوبية ترتفع حوالي 300 متر.

بين السلسلة الغربية والهضبة الطرفية D، يمر نهر صغير يتدفق شرقًا، ويحتوي على أشجار كينا خضراء جدًا، ومركبا، ودرين وتشاليات، مما وفر علفًا جيدًا لجمالنا التي لم تأكل خلال اليوم السابق.

في النقطة (ف)، الحمادة التي تحد الوادي من الغرب، وهي امتداد للجبال الغربية، تتكون من طبقة متوسطة من الحجر الرملي على قاعدة طينية؛ لا يظهر أي صخر آخر سوى الحجر الرملي (العينة رقم 113: حجر رملي حديدي). باختصار، نحن في مجرى نهر واسع تحده الكثبان الرملية شرقًا والجبال غربًا. تُصرف مياه الجبال إلى الوادي عبر وديان عديدة تغذي أشجار الصمغ وبقية النباتات، ومنها ديس. بعض هذه الوديان واسعة ومهمة لتصريف المياه عبر مستويات متعددة من الجبال.

تنتشر أشجار الصمغ في جميع أنحاء السهل، مع خصلات خضراء من شجر

الأزال، خاصة قرب بئر عين الحجاج، على بعد 400 متر شمال شرق المخيم. أقمت الخيام على حافة الكثبان الرملية الصغيرة في عرق العود، الملتصق بأحد رؤوس سلسلة S.

قبل الوصول إلى البئر، عبرنا منطقة طينية جبسية صلبة مغطاة بنباتات أريحا، ورأينا ثمانية إلى عشرة جمال صغيرة ضالة ترعى بسلام، بانتظار أصحابها من التوارق. آثارها تتقاطع في كل مكان.

الجبال تحتفظ باللون الأسود المميز الناتج عن الصخور التي تشكل التلال المحيطة بالبئر (العينة رقم 114: حجر رملي متنوع، حجر رملي حديدي ديفوني).

يوجد هنا نبعان قريبان؛ الأول حي لكنه يوفر القليل من الماء، ويقع في واد صغير جنوب تلة منخفضة جزء من السلسلة، والثاني عند الجانب الشمالي لنفس التلة، في مجرى النهر الرئيسي، ويتميز بشجرة صمغ معزولة. تم ترميمه عام 1880 من قبل الكولونيل فلاترز، لكنه الآن ممتلئ بالرمال، رغم ثبات الجدران الحجرية. سأقوم بتنظيفه غدًا لسقي القافلة.

كان من المتوقع أن ألتقي بمبعوث زعماء أزجر في تاكيت (عين الحجاج) كما وعدوا في رسائلهم السابقة، لكن تأخري حوالي عشرة أيام يجعل الموقف مختلفًا، وسأستمر جنوب شرقًا لمعرفة مكان «مولاي» وإخنوخن.

المنطقة الرملية التي نُخيّم فيها محاطة بكثبان رملية، وتنتشر فيها كميات كبيرة من الصدف الصغيرة (العينة رقم 115: Corbicula fluminalis). الطقس غائم وتساقطت قطرات مطر أحيانًا، مما منع إجراء أي رصد فلكي، لكن الموقع مألوف لنا من زيارات سابقة.

25 نوفمبر. الطقس غائم مع هطول أمطار خفيفة ورياح حارة. بدأت مهمة اليوم بتنظيف عين الحجاج، إذ كان هناك مكعب رمل ضخم لم يزل منذ تنظيف الكولونيل فلاترز عام 1880. عمل 19 من رجالي بلا توقف من السابعة صباحًا حتى الظهر، لكن لم نصل لقاع النبع الأصلي بعد.

بدأت الإبل بالشرب عند الساعة الثالثة عصرًا، حوالي 40 رأسًا، والماء كان أسود وكريه الرائحة، بسبب تعكره من الحفر، وكاد القطيع يرفض الشرب. أُفرغ الماء المتبقي في قاع البئر للحفاظ على نقاء ما يصل من الماء القديم. لم يتبع الرعاة الأوامر، وفقدنا 16 حيوانًا، منهم 6 مهارا و10 جمال تحمل المعدات.

غادر الرجال في الساعة 3:30 للبحث عنها في وديان الجبال، وعادوا بعد ساعتين فقط وسط ظلام دامس. كانت بعض الجمال تتبع الميدجبيد نحو تيهوهايت وأمجيد، مستفيدة من معرفتها السابقة بالأرض.

لم أتمكن إلا من إجراء ملاحظة لقيمة المكون الأفقي أثناء النهار، وحالة السماء لا تسمح بأي ملاحظة أخرى.

تم العثور بالقرب من البئر على مدقة كبيرة من الحجر الرملي، ثم على فأس جميل للغاية، منحوت من صخرة صلبة تذكرنا باليشم وقريبة جدًا من هذه المجموعة.

الصخور المتنوعة للجبال المحيطة بالبئر هي كما يلي. (العينة رقم 116: حجر رملي متنوع، أبيض، رمادي، وردي؛ - حجر رملي ذو خطوط /هيدروكسيد الحديد البني والبني المحمر (حجر البودنج ذو العناصر الصغيرة أو الحجر الرملي الخشن).

لم نرى أحداً اليوم، والرجال الذين أرسلوا للبحث عن آثار جديدة لم يجدوا شيئاً أيضاً؛ وبالتالي فإن مبعوث أزجر لم يأتِ، أو غادر منذ وقت طويل؛ ولذلك سنستأنف مسيرتنا غداً، متجهين نحو الجنوب الشرقي.

26 نوفمبر. لم نغادر إلا بعد أن سقينا جميع الإبل وملأنا براميلنا؛ وكان منسوب المياه في البئر قد ارتفع بشكل كبير، ولاحظت هذا الصباح عمقًا يزيد عن متر.

نسير في الوادي، وهو في الأساس مجرى نهر واسع، محاط بمنحدرات بنية عالية، وعلى اليمين، أي إلى الغرب؛ والكثبان الرملية إلى الشرق. يتدفق وادي سامين قليلاً إلى هذا الوادي. تمتد سلسلة K إلى اليمين، وتنتهي في نتوء يوجد بالقرب منه نبع وفير، على الرغم من عدم وجود تدفق على الأرض. تتكون أودج الكثبان الرملية من سيوف منخفضة متصلة بسلسلة قوية تقع قليلاً إلى الشرق؛ هذه السلسلة خالية من النباتات. والأرض التي نسير عليها طينية، مغطاة أحيانًا بطبقة من الحجر الرملي، والتي تكشف عن آثار العديد من أمطار العام الماضي؛ إنه مجرى وادي كبير، لكن الوادي الرئيسي يتبع سفح الجبل، في الغرب، ويتخلله كمية من أشجار الصمغ. السهل بأكمله مغطى بخصلات من أزال وأريش ذات اللون الأخضر الجميل، في الوقت الحالي على الأقل؛ نحن نجمع هناك العديد من شظايا الفخار.

عند النقطة C يقترب الطريق من كثبان الأودج، والتي تكون في البداية متباعدة

للغاية ومليئة بخصلات من الأزال، على الأقل على الأسطح المستوية التي تفصل السيوف؛ نبدأ بالالتفاف حول هذه الكتلة الصغيرة، لاختراقها أخيرًا عند النقطة G؛ هناك تكون الكثبان الرملية عارية، ليست عالية جدًا، ولكنها صعبة، حيث يغوص الرجال والحيوانات بعمق في الرمال السائبة للغاية التي تتكون منها؛ يستمر هذا الوضع حتى النقطة D، وهي النقطة التي تبتعد منها السيوف عن بعضها البعض مرة أخرى، تاركة بينها فترات مغطاة بخصلات من الأزال وبعض الإيثيل. هذه الكثبان الرملية، التي لا تُشكل في الواقع سوى نتوء بارز من العرق، يمتد إلى الجنوب الغربي، حديثة التكوين، وقد غطت تدريجيًا قاع وادي إيغارغارين، بحيث لم يعد الجزء العلوي من الواد يتصل بجزئه السفلي الذي تم عبوره هذا الصباح، بل يلتقي في أقصى حد مع وادي سامين عبر ممر FF الصغير، الخالي تقريبًا من الرمال. ومع ذلك، تخترق مياه الفيضان هذه الكثبان الرملية، كاشفةً عن العديد من التعرجات، ومُشكلةً آلاف الخلجان الصغيرة ذات الفتحات الضيقة؛ ويمكننا رؤية المياه المتبقية هناك بوضوح تام منذ العام الماضي.

الكتلة الجبلية «ق»، التي نمر عند طرفها الشمالي، مغطاة جزئيًا برمال النتوء الصخري الذي يُشكل جزرًا ذهبية على سطحها الداكن. ومن المؤكد أنها محكوم عليها بالدفن البطيء، ولكن المستمر. يبلغ ارتفاع هذه الكتلة بالكاد مائة متر، لكنها تُهيمن عليها، جنوبًا، سلسلة أخرى أعلى بكثير. جميع الجبال المذكورة اليوم تتكون من نفس الأحجار الرملية التي سبق ذكرها في خنفوسة.

في الجهة الشرقية، نجد مجرى النهر نفسه، الذي ينحني واده الحالي عند الجهة الجنوبية، مع أن الوادي بأكمله، بما في ذلك نتوء الكثبان الرملية الصغيرة الثانية التي تغزوه تدريجيًا، هو في الواقع مجرى النهر. يوجد هناك كمية كبيرة من أزال، وقليل من غسال.

خيمنا مباشرة بعد السيوف هـ، في قاع الواد، الذي تكون تربته طينية مغطاة في أماكن بالرمل، ومنه تخرج خصلات من الأزال تتوج تلالاً طينية صغيرة.

تقع سلسلة الحدود الكبرى للعرق بالقرب منا شمالًا؛ بينما تحد الوادي جنوبًا سلسلة جبال شاهقة. يشبه هذا النهر تمامًا وادي ثيخامالت، باستثناء نهري إثيلس وطرفة اللذين لا يوجدان فيه.

27 نوفمبر. نواصل طريقنا صعودًا عبر وادي إيغارغارين، الذي لا يزال تحده

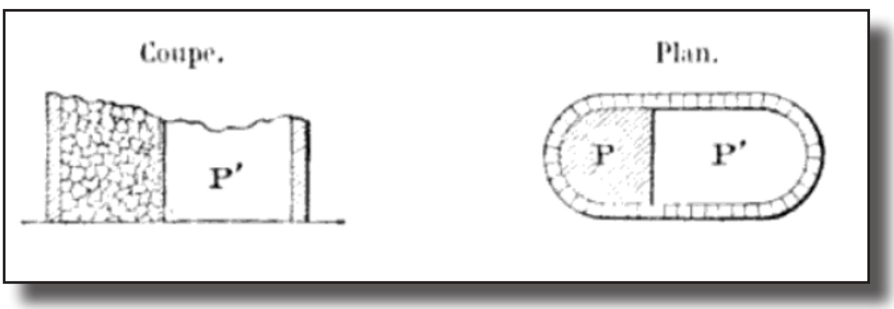
من اليسار كثبان رملية، ومن اليمين جبالٌ من نفس طبيعة وتكوين جبال الأيام السابقة. ينفتح وادي كبير، قادم من الجنوب، بين منحدرات من صخور سوداء أو بنية داكنة جدًا، على الوادي أعلى قليلاً من مخيمنا.

في المنطقة أ، تربة طينية تتخللها أكوام طينية مع قليل من الرمل. الكثير من الأزال هنا. آثار جمال حديثة في المراعي، أو آثار قطعان ضالة ليست بعيدة.

في ج أول ظهور للشجيرة التي يسميها العرب كورونكا والتوارق توريهة (كالوتروبيس بروسيرا).

في سلسلة P من التلال السوداء المكونة من الصخور (من العينة رقم 117 - حجر رملي أحمر حديدي انشطاري). تلامس هذه التلال، المغطاة في بعض الأماكن بقليل من الرمال، كثبان العرق الرملية عند طرفها الشمالي، في D؛ وعند هذه النقطة، يكون ممر الواد مكتظًا تمامًا بتلال رملية مغطاة بغطاء نباتي كثيف من أشجار الأزال والإثيل، تتخللها أشجار صمغ نادرة. مباشرةً قبل النقطة D، يتسع الواد ويشكل معبرًا تنمو فيه أشجار الكروم والفلزلز والغسال والشاليات، إلخ.

في شرق النهر، نمرّ على تلة صغيرة، تُشكّل جزيرةً إن صحّ التعبير، في وسط النهر. على هذه التلة ترتفع كومة من الحجارة، وهي في الواقع قبر. سنجد.مبانٍ متشابهة على أطراف وادي إيغارغارين. هذا هو شكل هذه المدافن القديمة تقريبًا؛ الحجارة مرتبة بشكل جيد فوق بعضها البعض ومسطحة؛ يتراوح ارتفاع المبنى



عادةً بين متر واحد ومتر وعشرون قدمًا. الجزء «بست» مُغطى حتى قمته بحجارة موضوعة عشوائيًا وبدون ترتيب؛ أما الجزء «ب» فهو فارغ وخالٍ.

عند النقطة (F)، يتدفق إلى النهر رافد صغير من الجهة اليسرى، واسع جدًا ويكوّن مادرًا ذا تربة طينية مسطحة ومغطاة بالكامل بالنباتات، مثل المجرى السفلي، لكنه أقصر وأكثر كثافة. على الجانب الأيمن من الوادي يبقى نهر إيثيل وأزال، وتحده الكثبان الرملية، بينما تهيمن أشجار الصمغ النادرة على هذا المادر[1].

في النقطة (Q)، جنوب مسارنا، تمتد مجموعة من التلال المعقدة المرتبطة بسلسلة Z الكبيرة. في النقطة (R)، يظهر منحدر كبير جديد، نتيجة التقاء الوادي الذي نصعد فيه مع وادي إدجران؛ وخيّمنا عند هذا الملتقى، رغم أن الوقت لم يصل بعد منتصف النهار، لنبقى قريبين من نبع جبلي حيث أرجو لقاء بعض الأمغاد والحصول على أخبار عن مواقع زعماء إخنوخن و«مولاي» وأزجر الحالية.

شمال شرق المخيم، وبالقرب من الكثبان الرملية، يظهر خط جبلي مدفون جزئيًا في الرمال، داكن اللون ومحاط بحزام رملي فاتح، مع نمو أشجار الصمغ عند سفحه الشرقي. أرسلتُ رجالي إلى الوادي الرئيسي والنبع لتزويدي بالمعلومات. حوالي الساعة الثانية ظهرًا، وصلت امرأتان من التوارق إلى المخيم، خائفتان جدًا وغير متمكنتين من العربية. كانت إحداهما عجوز والأخرى شابة، وأوضحتا أن رجالهما في غدامس، لكن على الأرجح فرّوا إلى الوديان المجاورة وأرسلن زوجتيهما للمعاينة، وفق العادات الصحراوية التي تمنع لمس النساء. تعرفت الأكبر سنًا على الحاج، قائد الموكب، الذي قابلته مرتين سابقًا، وقدمت لهما مرايا وتبغًا، لكن التبغ كان من نوع المضغ، وكانوا يخففونه برمل قبل الاستخدام. أظهرن رفضًا تامًا للهدايا من الأوروبيين إلا إذا قُدمت عبر الحاج المسلم.

في المساء، عاد الرجال المرسلون دون أي أخبار؛ وأولئك الذين ذهبوا إلى النبع وجدوا الخيام فارغة تقريبًا، إذ اختبأ الرجال في شقوق الصخور المحيطة.

28 نوفمبر. واصلت البعثة صعودها عبر معدر (أ) الجميل، الممتد مع هارتا وإيثيلز وغسال وعدد من الكروم، لكنها جافة جزئيًا بسبب الموسم. التربة طينية مع بعض الرمال في سيوف صغيرة. عند النقطة (B)، عبرنا طرف سلسلة تلال

1-كلمة (مادر) في سياق الجغرافيا الصحراوية تعني «مجرى مائي واسع وضحل» أو «وادي صغير يتجمع فيه الماء مؤقتًا بعد الأمطار». غالبًا ما يكون طينيًا ومغطى بالنباتات، ولا يشبه النهر الدائم. بصيغة أخرى، يمكن اعتباره «منطقة تجمع المياه الموسمية أو مستجمع مياه مؤقت».(المترجم)

منخفضة تشكل ضفافًا يسارية للنهر، مصنوعة من الحجر الرملي الديفوني السابق المشاهدة، مع وجود بعض الأحافير النادرة (العينة رقم 118). تلامس السلسلة نتوءًا من العرق، ويمر النهر عند النقطة (K) تحت هذا السد، وله مخرج ثانٍ عند السد (Z) الذي ينضم بعده إلى المعدر حيث خيّمنا مساءً.

في النقطة (ج)، توجد معصرة رائعة تحتوي على شجر الشبريك والغسال والإثيل، مع بعض أشجار السدرة النادرة وكميات كبيرة من شجر التازيا ذي السيقان الجافة، الذي يحرثه التوارق ويستخرجون درناته للأكل رغم مرارتها. كل شيء صالح للأكل، وتتنقل هنا سرب طيور العقعق الصحراوي النادرة.

أثناء الصباح، على بُعد كيلومتر تقريبًا، ظهر راكب على تارجوي، أرسلتُ رجلين نحوه لكنهما لم يجدوا سوى الجمل المُعرَق، إذ ترك الراكب جواده هاربًا إلى الوديان المجاورة.

النهر واسع دائمًا، وفي المنطقة (F) يغزوه السيوف قليلًا، مشكلين نتوءًا يمتد إلى ما وراء العرق، تُسمى هذه النقطة تيبابيتي، وتتكون فيها أغدير كبيرة خلال الفيضانات، مع بقايا الزرايب التوارقية.

أمامنا، على اليمين، حوض أخضر هائل (V) حيث يتقاطع رافد أيسر مع الوادي الذي نتبعه. نرى جمالًا ترعى هناك، مما يشير إلى وجود خيام في الوديان المجاورة، لكن التوارق عادة يبدؤون بالهرب قبل معرفة الوافد الجديد، ثم يراقبونه من أعلى منحدراتهم، محميين من الوصول للغرباء.في منطقة F، في تيبابيتي، تنتشر العديد من الكثبان الرملية الصغيرة، أو ما يُعرف بالسيول، وقد غرقت جميعها العام الماضي. الغطاء النباتي كثيف للغاية: هارتا، وتازيا، وغسال، وغيرها، وشجرة إثيل كبيرة (قستُ واحدة منها، سقطت على الأرض من كبر السن، وتجاوز قطر جذعها 50 سنتيمترًا، وكانت طويلة جدًا). المشي صعب وسط كل هذه الفوضى.

ثم نتقدم نحو المعادر الكبير (م)، ذو التربة الطينية، والذي ينضم إلى الحوض الخامس. في وسط السيوف الصغير، الذي يغزوه من شماله الشرقي، نلاحظ مرور قطعان كبيرة من الإبل والحمير والأغنام، مؤخرًا، مصحوبة بآثار رجال ونساء وأطفال. كان هؤلاء الناس يخيمون هنا، على حافة العرق، وقت مرور مبعوثيّ هذا الصيف، وقد عادوا لتوهم نحو الحوض الخامس، ومن المرجح جدًا أنهم يخيمون في شعبة الجوار.

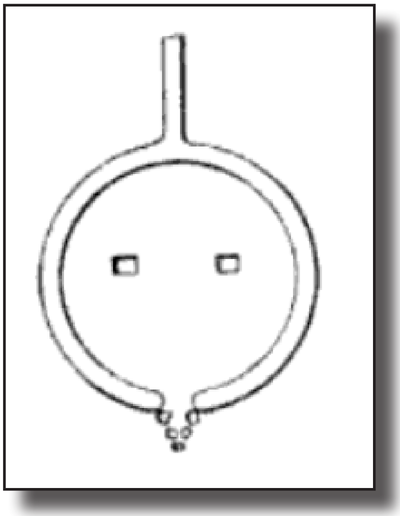
في G، التلال ذات التربة الخشنة من نوع reg أو الحجر الرملي، يتم غزو نقطتها الشمالية بواسطة كثبان الأرج، التي تبرز نتوءًا T، والذي يغطي جزئيًا قاع النهر؛ هذا الأخير، ضيق جدًا في هذه النقطة، يمر بين غطاس النتوء، قليلاً إلى الشمال منا، بواسطة سد P، مزدحم جدًا بالنباتات الكثيفة من Ethels؛ ولكن في المنبع يتسع على الفور، وفي II، يشكل معبرًا واسعًا مع Ghessal، وبعض ألواح Drinn، و Ethels من الأشجار الكبيرة جدًا.

في الجنوب، سلسلة حدود العرق منخفضة ورفيعة جدًا؛ تكشف، حتى سفحها تقريبًا، عن خط التلال الصخرية الذي رأيناه بالأمس في شمالنا، وسط الكثبان الرملية، والذي يستمر دون أي تواصل، ويمتد شرقًا، في اتجاه موازٍ لمسارنا. هذا الخط الصخري، الذي لا يزال بعيدًا عن نهايته، يحده نوع من النهر أو السهل، بأشجار الصمغ والسدرة، والذي يمتد دون عوائق من محيط منخور إلى محيط عين الحجاج؛ إذا اتبعناه، فسنظهر عندئذٍ بالقرب من هذه النقطة الأخيرة عند سفح غور تيكبابن الذي يشكل، باختصار، الطرف الشمالي الغربي المعزول لهذه السلسلة. نخيم في منتصف مجرى النهر، على أرض من الطين الخالص، كانت مغطاة بالمياه العام الماضي، والتي، في الوقت الحالي، تلمع كالمرآة. لا يوجد سوى غسال، أخضروجاف، وقليل من درين. ترسم خطوط أشجار إثيل الضخمة متعرجات متقلبة على السهل. تُحيط هذه الأشجار ببساطة بالمجاري المائية الصغيرة، حيث تتدفق مياه الفيضانات الصغيرة. خلال الفيضانات الكبرى، يغمر الماء السهل بأكمله، وهو واسع جدًا (حوالي 5 كيلومترات)، والذي يُمكن اعتباره مجرى النهر.

في منطقة «ج»، على بُعد مسافة قصيرة من المخيم، مررنا بنقطة سقط فيها أمير أزجر القديم، الحاج إخنوخن، مع مهاريه وهو يسير بأقصى سرعة. تخليدًا لهذه الحادثة، التي كاد فيها القائد الشهير أن يُلقي حتفه، نُصب حجران عند نقطتي تلامس ركبتي مهاريه، وأُحيط المكان بمسار دائري صغير يُشكل خندقًا ضحلًا في الجهة المقابلة.

لا يزال النهر محدودًا في الشمال بكثبان رملية حمراء برتقالية عالية.

29 نوفمبر – أثناء السير في الوادي، الذي يظل واسعًا جدًا ومنحنيًا قليلًا نحو اليمين لتجنب المناطق المزروعة والمشجرة على ضفته اليمنى ووسطه، نسير فوق



أرض كانت تُغمر بالمياه أثناء الفيضانات، لكنها فقيرة بالنباتات.

في النقطة (ب)، يظهر منحدر ضيق لكنه عميق نسبيًا، تنتشر فيه نباتات الدرّين والطرفة والأثل. تطير أمامنا أسراب من طيور الحُبارى والحمام، وهي شديدة الحذر، فتمكنّا من صيد عدد كبير منها.

ضفة الوادي اليمنى وعرة جدًا، تتكوّن من شبكة متداخلة من السيول والتلال النباتية، كما هو الحال في وادي تيخامالت. ويُفسَّر ذلك بأن الضفة اليمنى تلامس الكثبان الرملية، حيث تغزو الرمال مجرى الوادي مشكّلةً تلالًا صغيرة تحتفظ برطوبة الفيضانات، مما يسمح بنمو نباتات قوية حتى في فترات الجفاف.

من النقطة (ب)، تتابع البعثة سيرها على الضفة اليسرى للوادي، بمحاذاة حافته فوق تربة رملية صلبة تشبه هضبة منخفضة ترتفع تدريجيًا نحو الجنوب حتى تصل إلى سلسلة الجبال البعيدة. يبرز جبل إيسلي في أقصى الجنوب الشرقي برأسه العالي.

في النقطة (د)، نعبر منطقة من الحجر الرملي تتكوّن من صفائح خشنة مثقبة، تتخللها كتل ضخمة على حافة منعطف الوادي. في النقطة (هـ)، يظهر القليل من الجبس. ومن هناك، نرى أمامنا مصب وادي ليزي، الذي يتدفق بين تلال كبيرة نحو وادي تيدجودجلت.

نصبنا المخيم على حافة الوادي، عند نقطة التقاءه بوادي متشكاش القادم

من الجنوب الغربي، عند السفح الغربي للتلال الرملية العالية المغطاة بأشجار الأثل الضخمة، والتي تشكّل الضفة اليسرى لوادي تيدجودجيلت. تركنا ستة حراس في المخيم، وانطلقنا مع الجمال غير المحمّلة نحو منخور. لعبور النهر، وتطلّب الأمر جهدًا طويلًا، إذ يمتد مجراه لمسافة تقارب أربعة كيلومترات، مغطاة بغابات كثيفة من الأثل والطرفة، تتخللها أحيانًا شجيرات الكورنكا.

كانت بحيرة منخور القديمة (ميشيرا) جافة تمامًا، وقاعها مغطى بغابات من الأثل ونبات الحبالية الزاحف. وجدنا هناك بئرًا يخرج منه الماء ببطء شديد، واستغرق منا الأمر من منتصف النهار حتى الرابعة والنصف لملء البراميل وسقي الجمال نصف احتياجها فقط.

رمل النهر قاسٍ ومائل للطينية، يرتفع تحت أقدام الحيوانات كغبار دقيق مزعج. عدنا إلى المخيم عند حلول الليل، فوجدنا ثمانية من أمغاد الأهقار قد وصلوا بعد الظهر. كانت قبيلتهم تخيم قرب الحوض الخامس المذكور سابقًا. كما وصل بعض أعيان الإيفوغاس بعد رحيلنا بقليل ثم عادوا، وكان أحدهم ابن أخ عبد النبي الذي رافقه إلى الجزائر سنة ڈ، وتعرف عليّ جيدًا.

عاد هؤلاء الإيفوغاس بعد وقت قصير من خيامهم القريبة ومعهم بن عقوز وابن عمه اللذان كانا قد دُخلا المستشفى أثناء مرورنا في الصيف الماضي. وعلم الإيفوغاس الذين يخيمون في وادي ليزي السفلي بقدوم قوة كبيرة (بعثتي)، فأسرعوا لإبلاغ عبد النبي وبن عقوز وغيرهم. وبعد أن أخبرهم الأخير أن قوات فورّو هي التي وصلت، انضموا إليهم لتشكيل معسكرنا المشترك.

ها هم الرجال الملثمون يقتربون، وساعة تقديم الهدايا تقترب أيضًا — وهو العناء الأكبر للمسافرين بين الطوارق: لا راحة، يجب إطعام الجميع وإرضاؤهم، ومع ذلك يطلبون المزيد دائمًا بحجج مختلفة لا تخلو من المبالغة.

(3) **في الطاسيلي/عند الازجر**

30 نوفمبر – من بين أبرز الإيفوغاس الحاضرين هنا، يُذكر أولًا محمد بن وانتيخ، ثم بشيرولد أما، وباهي ولد الحاج أوتا، وهم جميعًا من أقارب عبد النبي وعبد الحكيم. أما ولد محمد، الذي زار الجزائر سنة 1892، شاب ذكي ومحبوب، وكذلك ابن عمه بشيرولد أما.

يُتداول كثيرًا الحديث عن مرور بعثة «المرابطين» كما يسميها العرب والطوارق (بعثة أتانوكس وهاكارد)[1] العام الماضي. سُمعت روايات متعددة عنها، منها أن البعثة تواصلت مع الكوني، شقيق عنكروف، الذي تسلّم الدية المستحقة لأزجر. وبالرغم من أن المبلغ كان يفترض أن يُسلَّم إلى الأمينوكال وفقًا لعاداتهم، إلا أن الزعماء تركوه عند الكوني، وهو أحد أكثر قادة القبيلة قوةً ونفوذًا.

بعد ذلك، قال أوان غيداسين، الأمينوكال الحالي، لمحمد بن وانتيخ، زعيم جماعة منخور:

«أنا السيد الوحيد بين الأزجر، وإذا اقترب البيض منك ولم يطلبوا مقابلتي أو الانضمام إليّ، فلا تدعهم يتجاوزون نحو الجنوب، يجب أن تحضرهم إليّ».

علمت أن فرقة «المهاجمين» التي شكّلها الأزجر هذا الصيف لم تعد بعد. تتكوّن من نحو مئتي رجل من الأزجر، يُرجّح أنهم انضموا إلى مجموعات من التبو والطوارق للقيام بغارات خارج كوردان. الأخبار عنهم متضاربة وغامضة، لكن من المؤكد أن معظم الرجال القادرين على القتال ضمن هذه الفرقة. لم يبق من الأعيان سوى «مولاي» وإخنوخن وبلجندي، وقد نصبوا خيامهم قرب تارات وشمال شرقها، ما يجعل من الضروري أن أتجه نحو تلك الجهة.

كان الإيفوغاس على علم بوجود «المهاجمين» من الأهقار الذين مرّوا بتيماسانين. وتشير الأخبار القادمة من غدامس إلى أن هذه العصابة كانت تنوي لقائي في الصحراء، وإن لم تجدني فستهاجم جمال أهل نفزاوة.

في الصباح، بدأ توزيع الهدايا والأموال والأقمشة دون توقف. المهمة صعبة، إذ كانت بعثة أتانوكس العام الماضي غنية بالعطاء، مما اضطرني لزيادة كميات التوزيع عن المخطط. أما أمغاد الأهقار، الذين نالوا نصيبًا أقل، فكانوا ساخطين ويتحدثون عن حق المرور («أدا»). أوضحت لهم أن هذا الحق يعود إلى الأزجر وحدهم، أصحاب الأرض، وأنهم مجرد ضيوف يرعون مواشيهم مؤقتًا في أراضي غيرهم، وبالتالي لا حق لهم في المطالبة به.

غادرت من هنا عبر طريق لم يسلكه أي أوروبي من قبل. سرنا بمحاذاة الكثبان

1-بعثة دأتانو وهاكّار (1893–1894): بعثة استكشافية فرنسية قادها أنطوان برنار دأتانو بمعية أوغسطين هاكّار، انطلقت من بسكرة نحو الجنوب الجزائري، مرورًا بتوغرت وتيديكلت وتمنراست. هدفت إلى دراسة الطرق الصحراوية ومصادر المياه وتوثيق الجغرافيا والقبائل. تُعد من أهم البعثات التي مهدت لربط الصحراء الكبرى بالمستعمرات الفرنسية في إفريقيا.(المترجم)

التي تشكّل الضفة اليسرى لوادي تيجودجلت واليمنى لوادي متشكاش. في النقطة (أ)، واجهنا أرضًا من الرمال المتحركة غاصت فيها الجمال بعمق، تتخللها تلال بارتفاع 8 إلى 12 مترًا مغطاة بأثل قديم وجميل. في النقطة (ب)، عبرنا وادي تيجودجلت، لا يتجاوز عرضه كيلومترًا واحدًا، لكنه مغطى بالنباتات الكثيفة من أثل وقطاف ودرّين، وهو أجمل وادٍ شاهدته في المنطقة. منبعه الجنوبي يبعد أكثر من ثمانية أيام سيرًا على الأقدام من منخور.

بعد منطقة الركام، سرنا فوق أرض من الحجر الرملي الناعم المختلط بصخور من أنواع مختلفة، أثناء عبورنا إحدى السلاسل الجبلية التي تغوص في الجنوب تحت الرمال (العينة رقم 119 – حجر رملي ديفوني ذو نقوش ميكانيكية). في النقطة (د)، مجرى واضح تملؤه أشجار الصمغ. في النقطة (هـ)، فقدان نهر يغذي نفس الأشجار باتجاه مجرى الوادي. في المنطقة (PP)، تلال من الحجر الرملي تتصل بسلاسل بعيدة، تقطعها وديان ضيقة شديدة الانحدار تنفتح على صخور سوداء أو بنية داكنة مرقطة ببقع صفراء ذهبية قرب الأغرود. هناك العرق الذي يتابع زحفه البطيء من الشمال. من (هـ) إلى (ف)، عبرنا ممرًا ضيقًا بين الأغرود وتلال الحجر الرملي المغطاة بنبات الصفار والأزال، حيث ترعى بعض الإبل الضالة التي تحمل وسم أزجر. يُعرف هذا الموكب باسم «موكب العائدين» (تينيت سغوغون).

بعد ذلك، وصلنا إلى مجرى نهر واسع ناتج عن التقاء فرعين، ولأن الجمال لم تأكل منذ يومين، قررت التخييم هناك رغم أن الوقت لم يتجاوز الظهر. لم يبق نبات أمامنا، لكني متأكد أننا سنصل غدًا إلى آبار وادي ليزي، حيث كنا سنتوقف أصلًا. الوادي الذي نخيّم فيه هو وادي أدجانادجانوان-تيبراكاتي، وتنتشر فيه نباتات الدرّين والأثل والأزال.

رافقنا البشير وباهي ولد أوتا، وكانت خيامهما في وادي ليزي الذي نتجه إليه، فاغتنما الفرصة لتناول الطعام معنا. سألاني إن كنت سأعود من نفس الطريق، ليصحباني إلى الوادي أو بسكرة، فأجبتهما أنني لا أعلم شيئًا عن ذلك.

لو كنت أعلم منذ البداية أن أعيان الأزجر موجودون في محيط تارات، أو لو لم يكتبوا لي أن أمرّ بعين الحجاج حيث سيجعلونني أضيّع الوقت انتظارًا لهم، لاخترت طريقًا أقصر وجديدًا عبر العرق الجنوبي إلى تيخامالت. لكن في هذا البلد لا يفعل المرء ما يريد؛ بل يُرغَم على اتباع الناس والظروف معًا.

السماء ملبدة، قطرات مطر في الصباح، ولم يمكن إجراء أي ملاحظات.

الأول من ديسمبر – ما زال البشير وباهي برفقتنا حتى الساعة التاسعة صباحًا، ثم عادا إلى خيامهما الواقعة في وادي ليزي أسفل الآبار التي نتجه إليها.

خلال الأيام الماضية، صادفنا عددًا كبيرًا من القبور القديمة، تشبه إلى حد كبير تلك المرسومة في 27 نوفمبر (ص.35)، وجميعها تقع على تلال منخفضة أو رؤوس صخرية تحيط بالكتل الحجرية.

بعد عبور الوادي الذي خيّمنا عنده، وصلنا في النقطة (ب) إلى سهل صغير مكوَّن من صفائح حجر رملي كبيرة تشبه التلال المحيطة به (العينة 120: حجر رملي حديدي يحمل آثار حُفر). في النقطة (ج)، مررنا بمنطقة مليئة بأكوام من الحصى الصغيرة المنتشرة بين المسارات وعلى المجبد، ما يدل على مكان كانت تلتقي فيه قوافل القرى والريف.

ترتفع التلال بين 30 و50 مترًا، بلون أسود أو بني داكن. في المنطقة (ج) جمعت عينات جديدة من الصخور الحاوية على أحافير (العينة 121: حجر رملي من نوع براشيوبود وحجر جيري متحجر). إلى يميننا، في المنطقة (د)، ترتفع كتلة جبلية تُشرف عليها من بعيد كتل أعظم وأعلى. واصلنا الصعود حتى وصلنا في المنطقة (هـ) إلى قمة نظام جبلي محلي صغير. بعد هذه النقطة، تتناثر الصخور في تلال صغيرة متناثرة؛ لا يزال الحجر الرملي هو المكوّن الأساسي، لكنه ممتزج بعناصر جيولوجية جديدة.

من النقطة (ف)، ظهرت أمامنا مجددًا سلسلة طاسيلي الزرقاء بأسنانها المنشارية، المشهد المهيب الذي أبهرنا العام الماضي. ستظل الطاسيلي واضحة على يميننا في الأفق البعيد، فيما تتلاشى التلال القريبة تدريجيًا، ولا تبقى سوى الكتل الصخرية المتوسطة البعيدة.

في الجزء التالي، واجهنا رقعة رمادية وبنية من الحجر الرملي الغني بالأحافير (العينة 122: *Homalonotus gervillii* – حجر رملي ديفوني يحوي بقايا أورثيس، ليبتونا، سبيريفر، وبراكيوبود مع ليمونيت حديدي). التموجات الصخرية الصغيرة القريبة منا على اليمين تتكوّن بالكامل من هذه الصخور.

في النقطة (ك)، بلغنا وادي ليزي، وهو واسع جدًا ومغطى بكثافة بالطرفة والأثل، لكنه أقل عمقًا من وادي تيدجودجلت. عبرناه بسهولة، حيث تنتشر

غاباته على تلال متوسطة الحجم تفصلها شبكة من المنحدرات الرملية المتآكلة. مررنا بقبة مهدّمة تُعرف باسم قبة سيدي علي الناوي، تقع على الضفة الشمالية للوادي. وبعدها بقليل وصلنا إلى آبار تُدعى «أغلات تاسيندجا»، في منتصف المجرى، في أهم مجاري السيول. الأرض هنا جيدة، والرمل ناعم شديد التآكل.

ما إن استقربنا المقام حتى وصل توارق الأهقار والإيساكمارين ونصبوا خيامهم قربنا. أكدوا ما ذكره الحاج الذي خدمنا هنا في الصيف، بأن وادي ليزي كان يعجّ في الربيع والصيف بخيام نبلاء الأهقار وأولاد مسعود الذين نزلوا إلى أراضي الأزجر طلبًا للمرعى، ثم عاد معظمهم إلى ديارهم بعد هطول أمطار محلية أعادت العشب إلى مناطقهم.

سألونا عن سبب عدم إبلاغ إخنوخن بقدومي، فأُخبروا أن ذلك سيتم غدًا، لأننا كنا بعيدين عن مضاربه. بعد قليل، وصل توارق جدد من الإيفوغاس، بينهم شقيق خماليلي، أحد معارف العام الماضي. لم يكونوا على علم بوصولنا، إذ إن بشير، الذي غادر المخيمات المجاورة قبل يومين، لم يعد إلى خيمته إلا ظهر اليوم.

بسبب انقطاع الأخبار لثلاثة أيام، أرسل رجال المخيمات المجاورة هذا الصباح بخا بن محمد إلى خيام بشير ليستطلع الأخبار. ووفق الشائعات القادمة من الغرب، ظنوا أن «المهاجمين» يتواجدون في وادي تيدجودجلت. وهناك امرأة سوداء كانت ترعى الإبل في وادي ليزي شاهدت وصولنا، فهربت لتحذرهم، فتقدّم الرجال بحذر حتى وصلوا إلى البئر، وهناك اكتشفوا من شكل خيامنا أننا بعثة فرنسية سلمية، فاقتربوا مطمئنين.

حوالي الخامسة مساءً، وصل بخا بن محمد مع أخيه وآخرين. استقبلناهم بحرارة، وكان بخا، أحد رفاق العام الماضي، أكثرهم مودة نحوي. سررت بقدومه، إذ أنوي إرساله إلى إخنوخن ليبلّغه بقدومنا كما يقتضي العرف.

2 ديسمبر – قبل المغادرة، وُزعت الهدايا المعتادة: المال والأقمشة. كل شيء سار حسنًا لكنه منهك. رغم التحذيرات، لا أزال أجد صعوبة في احتمال هذا التسوّل المستمر من الزعماء والعامة. وكالعادة، أطعمت جميع الزوار.

وصل عند الفجر نحو عشرة توارق جدد، بينهم زعماء من الإيفوغاس: بن أغوز ودا حاما. وجب تكريمهم أكثر من غيرهم تقديرًا لكرمهم مع مبعوثينا في الصيف الماضي. وهكذا تناقصت مؤونة *دوروس* مرة أخرى.

اصطحبنا خماليلي، الذي وصل هذا الصباح، ومعه بخا بن محمد. وسيرافقانا حتى نرسل أحدهما إلى إخنوخن. وفّرت لبخا دابة لأن جماله ترعى بعيدًا.

في اللحظة الأخيرة، أصرّ رجل أسود من الأزجر على الحصول على هدية رغم أننا كنا نهمّ بالرحيل. رفضت طلبه وأبعدته، فقد سئمت هذا التوسل.

رافقنا الطوارق جميعًا، يتقدّمهم الزعماء، حتى داخل الوادي، طمعًا في مزيد من الهدايا، لكنهم انسحبوا بعد نحو ساعة حين أيقنوا أن الأمر انتهى، بعد أن تسببوا في تأخير مسيرتنا كثيرًا.

في A، تنتشر كتل من درين وقليل من إيثيل في واد ليزي، لكن مستوى النهر بأكمله أقل بكثير مما هو عليه في الفرع الآخر من النهر الذي عبرناه أمس. يوجد أيضًا هارتا وأزال، ولكن هذا يظهر بشكل خاص في الجزء الواقع بين B وD، وهو سطح يُشكل نوعًا من الجزيرة المنخفضة بين الفرع الرئيسي إلى الشمال والفرع الزائف RR إلى الجنوب؛ يتميز هذا الفرع الزائف بتربة طبيعية من الحجر الرملي بعناصر متوسطة وناعمة، والتي دُحرجت بالتأكيد بفعل المياه. من المرجح أن الفيضانات الشديدة جدًا وصلت إليه، ومن المرجح جدًا أيضًا أنه كان المجرى الرئيسي القديم. من B إلى C، تربة طبيعية خشنة مع بعض أماكن من حصى الحجر الرملي الأبيض والوردي الرمادي والأسود الرمادي.

في الجزء من الجزيرة، من ج إلى د، الأرض رملية على شكل تلال أو تلال صغيرة. على هذه الرمال، حُفرت آثار قطعان من الأغنام والحمير وغيرها، وكان الواد يضم في ذلك الوقت العديد من خيام إساكامارين من الأهقار وأمغاد من الأزجر.

في د، على الضفة اليسرى، وعند ملامسة الميدجبيد، تقف شجرة صمغ منعزلة جميلة إلى حد ما، تُسمى غومييه دي لا نيغريس. وهنا نعبر وادي ليزي الذي لا يتجاوز عرضه، عند الاقتراب من سفح الجبل، 200 إلى 250 مترًا، في طبقة من رمال الشستوس، تحده بضع خصلات من إثيل، وبعض عينات من كورونكا والكثير من درين. يحده من الشرق ضفة صخرية يتراوح ارتفاعها بين 2.5 و3 أمتار؛ نتسلقها في زد ونسير، أولاً وقبل كل شيء، على ريج الذي يغذي خصلات من هارتا وبضعة أقدام من نبات، يسميه التوارق آنا، والذي لم يتم تحديده بعد، حيث لم يسمح لي الموسم بأخذ عينات من الزهور والبذور.

سرعان ما نجتاز أقصى الطرف الجنوبي لعرق داينيبراي، الذي ينتهي هنا.

تتكون أرضه من كتل كبيرة من الحصى المستديرة من الحجر الرملي الأبيض والرمادي والوردي والبني.

في المنطقة E، وجدنا كمية جيدة من الحجر الرملي الأبيض والوردي والرمادي، مع قليل من الأسود. عند نقطتين فقط، G وYet، جُمعت شظايا نادرة من حجر رملي جيري أو كلسي (العينة 123). في TT، تشكّل الجبال الجنوبية لنا من الحجر الرملي الأسود أو البني كما في السابق، والمنطقة القريبة من Y تمثل ثالويج قديمًا مع حصى متكررة من الكوارتز المدلفن.

عند النقطة F، عبرنا وادي Daïnebrayï منحدرًا من الجبال، ذو سرير واسع بلا ضفاف، مع حلقات متعددة وأشجار صمغ Harta وHad، الأخير جاف بعد رعي التوارق له. ظهرت نتوءات من الجبس في الصخور البيضاء، تتفتت إلى غبار. تنوع التضاريس بين تموجات صخرية منخفضة الارتفاع (PP) تتكوّن من شظايا أو ألواح حجرية كبيرة، غالبًا حديدية (العينة 124)، تمثل المظاهر الشمالية الأخيرة للجبال الجنوبية على الحمادة. في G، هضبة صغيرة مغطاة ببقايا الحجر الجيري الفراغي (123).

بين H وGet، تشكّل الحجر الرملي ألواحًا أفقية رمادية على السطح وبيضاء أو حمراء من الداخل. عند H، عبرنا وادي Tessate، مغطى بأشجار الدرّين والصمغ وخالٍ تقريبًا من الضفاف. خيّمنا على مقربة جنوب وادي أسوكيمالا، حيث مساحة واسعة مغطاة بالدرّين وأشجار الصمغ، بينما تشكّل منطقة «الريج كيو» من الشمال طبقات رقيقة شبه عمودية من الحجر الرملي الرمادي الفاتح.

بدأت سلسلة جبال طاسيلي تظهر تدريجيًا، مع قممها الحادة من الحجر الرملي الأسود والبني. المخيم كان مليئًا بجمال قبيلة الإيساكمارين الذين فرت قبلنا بيوم بسبب تحذيرات عبد أسود عن زحف جيش كبير. عند وصولنا، اقتربوا وتحدثوا معنا، موضحين تفاصيل المنطقة والخطر السابق. كان الأهقار الثمانية أو العشرة حفاة الرؤوس وشعرهم يتطاير في الريح، وتمتعوا بمظهر رائع، رغم أنهم مجرد أقنان يمثلون بالنسبة لي نموذجاً للمرضى وللطلب المستمر للهدايا.

روى لي أحدهم مغامرات «الالمهاجمين» التي نفذها الأهقار هذا الصيف ضد أولاد بوريدة من قبيلة برابيش العربية قرب تمبكتو. والحصار أسفر عن مقتل 14 رجلاً من الأهقار وعدد أكبر من خصومهم، وهزيمة أولاد بوريدة نتيجة إرسال جزء

من جمالهم مع عدد قليل من الرجال لرعايتها بعيدًا عن المعركة، لحين وصول باقي القبيلة لجلب الملح من تاودني.

سألت التارقي عن الطعام الذي يأخذونه في الغارات، فأوضح أنهم يعتمدون على ما يوفره الريف، مع تخزين قليل من الشعير للأغنياء، أما القمح فهو أدنى قيمة.

تجنّبنا اليوم المرور بوادي تكامالت القريب، لتجنب تسول أصحاب الخيام. فمعظم أودية الجبال المحيطة ونقاط مجاري الأنهار مغطاة بمخيمات إيفوغاس أو أزجر أو إيساكمارين.

3 ديسمبر، بدأنا السير على مجرى A من وادي Tessate، الذي يتدفق جنوبًا نحو وادي Ererha، وتكثر فيه أشجار Drinn وChabrek. عند B، قادنا حجر رملي ناعم إلى C، حيث عبرنا الطريق نفسه في 18 يناير الماضي. من C إلى قاع وادي Tikhammalt، الأرض رملية مع تلال عالية تغذي Ethels ومنقطة بالسيوف. في D، نهر شديد الانحدار أسفلنا بحوالي 15 مترًا، يعبره صعوبة، مع حاجز كثيف من Tarfa على الجانب الأيسر، اضطُررنا لثقب الأدغال بالفأس لعبور الإبل. الجانب الأيمن أقل صعوبة، يصعد مباشرة إلى ضفة شرق شرق بارتفاع 5 أمتار مغطاة بالحجارة والحصى.

بعد المنطقة E، ظهرت طبقة حجر رملي مسطح تليها تلال منخفضة FF من حجر رملي رمادي وأحمر داكن، بعضها خشن، وأخرى أكثر تجانسًا أحيانًا مصقولة، مع ظهور حجر رملي أسود أو بلون الصدأ في G. جميع الأحجار الرملية، باستثناء الأسود أو المصبوغ بالصدأ، بيضاء أو رمادية فاتحة من الداخل.

نسلك طريق المِجبد المعتاد نحو فزان، في منطقة H تلال مختلطة من الحجر الرملي. في الصباح، انضم إلينا بعض التوارق من اليوم السابق وآخرون من وادي الميهرو، ووصل آخرون بعد الظهر مع جمال المِهرة والخفاش.

قبل الساعة 11، اقترب مهري أبيض من الشرق على فارس يرتدي الأحمر، تعرفنا عليه على أنه «مولاي» أغ خداج، زعيم الأزجر ومرشدنا العام الماضي في وادي مهرو. ترجل فورًا واستقبلنا بحرارة، وكان يبحث عن جماله الضالة.

نتناول الغداء هنا، مع بُعد بئر ريجيا، ولعدم وجود نباتات بيننا وبينها سوى طرق حمادة جافة، قررت التخييم في وادي أوبراكيت حيث ينمو قليل من الدرّين

لغذاء الجمال.

تلال PP مكوّنة من حجر رملي يغطي طينًا رماديًا أو محمر إسفنجي غني بالجبس، كما هو معتاد في المنطقة. الصخور صغيرة الحجم، والمخلفات الأكبر تقع على تربة طينية جبسية. يبدو أن تلال PP تحتوي على بعض الحفريات (العينة 125: أحجار رملية بها آثار ميكانيكية).

بعد نصب المخيم، أرسلنا بخا بن محمد وأمغيدي لإبلاغ إخنوخن بوصولي، فاستجاب «مولاي» وقرر عدم البحث عن جماله المفقودة بعد أن رأى حيواناته ترعى بسلام جنوب تينيت سغوغون قرب وادي أجانادجا. «مولاي» أشار إلى أن غازي أزجر لم يصل بعد، لكنه أرسل إشعارًا بأنه في الطريق، بينما كويدر بن يونس من أولاد فرج موجود حاليًا في غات لاستعادة جماله المسروقة، مصطحبًا بعض العبيد للتجارة.

4 ديسمبر، قرر «مولاي» عدم ملاحقة جماله المفقودة، لكنه أبدى قلقه على ناقة على وشك الولادة، وطلب مني السماح لخماليلي بالتحرك لإعادة حيواناته إلى خيام إيفوغاس. وافقت ودفعته بخدمة إضافية، فغادر مع بعض الزوار محملين بالهدايا.

صعدنا وادي أوبراكات، الذي لا توجد له ضفاف حقيقية، وقاعه مغطى بحصى ورمل وقطع حجر رملي (العينة 126). التلال تحوي نقوشًا ميكانيكية (العينة 127)، كما تظهر صخور حجر رملي رمادي وأحجار جيرية حمراء على المنحدرات (العينات 128-130). الكتلة الصخرية الصغيرة Q تحيط بها صخور حجر رملي أحمر كبيرة S، ثم نصل إلى سهل واسع يُعرف بـ«أتيلليتالا» مع حصى حجر رملي أسود ورمادي، وأودية صغيرة بها أشجار صمغ (G).

سلسلة جبال طاسيلي لا تزال مرئية إلى الجنوب، لكنها أقل وضوحًا. عند النقطة H، عبرنا واديًا تُغذيه أشجار الحرطة والصمغ، مع حجر رملي أحمر متماسك (العينة 131). بعد H، حمادة صغيرة من الحجر الرملي الرمادي على شكل ألواح شبه أفقية، يمتد بعدها الحجر الرملي الأسود حتى النقطة R حيث تدخل السيوف التي تشكّل الحافة الغربية لوادي إزكراتي، ونخيم قرب بئر حاسي ريجيا، مع توافر بعض النباتات لإبلنا: حرطة، درين، إثيل، وطرفة متناثرة.

التوارق هنا قطعوا أغصان أشجار الصمغ عدة مرات لإنتاج السُمرة أو لإطعام

الماشية، والإبل تأكل ما تبقى بسهولة.

في المساء، وصل زوار جدد: أزجر، أمغاد، إيساكامارين، وأولاد مسعود من الأهقار. الإيساكامارين وأولاد مسعود دفعوا رسومًا لمولاي مقابل الرعي والإقامة، بينما بعض سكان وادي تخمالت أبدوا استياءً. «مولاي» متشوق لرؤية إخنوخن، الذي سيطلعنا على اسمه وسلطته لحل النزاعات، وقد طلب رؤية نقوش كتاب دوفيرييه، فتجمع حولنا التوارق لمشاهدتها.

كان المساء مليئًا بقصص طويلة من «مولاي»، وهو بطبيعته كثير الكلام؛ وإليكم ما يستحق التذكر: في بداية العام، بعد مغادرتي وادي تخامالت للعودة إلى الجزائر، عُقد نوع من المجلس في تارات بشأن عودتي إلى التوارق. ثار بعض الإمانغاساتين، الحاضرين في المياد، ضدي بشدة وضد خطتي للتوغل في الجنوب. ووبخوا الأوراغن لاستقبالهم لي في خيامهم؛ وأصبح النقاش حادًا لدرجة أنهم كادوا أن يلجأوا إلى الضرب. وبذل الشيوخ كل ما في وسعهم لإعادة السلام. وهذا يؤكد تمامًا ما قلته العام الماضي عن سوء تصرف الإمانغاساتين تجاهنا. ويضيف «مولاي» أن أوفنايت كان من أعنف من ثاروا ضد مشاريعي، لكنه يضيف، كنوع من التصحيح، أن عداءه سيقتصر، على الأرجح، على الخطب وأنه لن يذهب إلى حد استخدام القوة ضدي شخصيًا. علاوة على ذلك، يرتبط أوفنايت ب»مولاي»، حيث أن والده وحده ينتمي إلى مجموعة إمانغاساتن.

خبرٌ آخر أكثر جدية: تلقّى «مولاي» هذا الصيف، في أغسطس، رسائل من سلطان المغرب موقعة باسم الحاج مصطفى؛ سئل عما يحدث في البلاد، وطُلب منه الإفصاح عما يفعله « الرُّكّاب « (أي الفرنسيون بتعبيرٍ مُتحفظ) بين التوارق. باختصار، طُلب من «مولاي» إبقاء السلطان على اطلاع بما يريده الرُّكّاب وما يفعلونه، إلخ. فأجابه برسالةٍ أن زعماء الأزجر لا يعرفون أحوال المغرب ولا رجاله، وأن الأزجر يطيعون إخنوخن، وأن ما يفعله هذا الأخير يُعتبر عملاً حسناً وكفى.

هذا تأكيدٌ آخر لما ذكرته في تقريري السابق، وهو أن المغرب يعمل على التأثير على عقول الناس في الصحراء ويحاول تأليبهم ضد الأوروبيين. إن طلبة أو عمداء توات وتيديكلت هم من توظفهم الحكومة المغربية عادةً لنقل الرسائل والكلمة الطيبة؛ لذا فإن أفضل حل هو احتلال فرنسا لمنطقتي توات، وخاصة تيديكلت، مهد الدعاة المسلمين ومركز إمداد أعدائنا اللدودين، الأهقار وأولاد مسعود. ومن

الواضح أنني دائمًا ما أتوصل إلى نفس الاستنتاجات.

تحدث معي «مولاي» مطولاً عن مهمة السيدين داتانو وهاكار (اللذين يُطلق عليهما الجميع هنا، كما في صحرائنا، مهمة المرابطين)، وسألني كثيرًا عن هذا الأمر. ومن كل ما رواه، لا بد من تذكر ما يلي: أن زعماء أزجر استاءوا من العودة السريعة لهذه المهمة إلى الجزائر. قال لي: «لماذا لم يأتِ هؤلاء الفرنسيون إلينا؟ لقد أرسلوا إلينا مبعوثًا لإبلاغنا بوصولهم إلى بلادنا، إلى منخور، طالبين منا مقابلة؛ فأرسلنا إليهم على الفور رجلاً (محمد آغ يما) يحمل رسائل «دعوتهم فيها إلى المعسكرات التي كنا فيها نحن الزعماء آنذاك، حتى يشرحوا لنا ما يريدونه منا. ولما لم يجد مبعوثنا أحداً في منخور، عاد بالرسائل وأخبرنا أن «الفرنسيين عادوا إلى بلادهم. لماذا جاؤوا» وهم لم ينتظروا الرد الذي طلبوه منا؟

أعترف أنني شعرت بالحرج إلى حد ما من الإجابة، لأنني لم أكن على علم بخطط هؤلاء المسافرين، وقلت ببساطة ل»مولاي» أن هؤلاء السادة، الذين سئموا من الانتظار، ربما لم يكن لديهم الوقت للبقاء لفترة أطول.

ومن الجدير بالذكر أنني في الروايات السابقة، كما في الروايات التي قد تأتي بعدها، أقتصر على أن أكون المترجم الأمين، ولا علاقة لي بالمبالغات أو الآراء التي قد يعتبرها البعض ملوثة بالمبالغة.

5 ديسمبر- إقامة. - كانت هذه الليلة، ولأول مرة تقريبًا منذ رحلتنا، ليلة باردة نسبيًا مع قليل من الندى. يعود اعتدال الخريف إلى عدم هطول الأمطار، بينما في العام الماضي، بدأ المطر بالهطول تقريبًا مع نهاية الصيف. ويجب ألا ننسى أننا على ارتفاع يقارب 650 مترًا.

يبدأ اليوم بعملية توزيع الهدايا والمبالغ المالية على عدد من المتابعين. والغاية الرئيسة من هذه العطايا، التي أطلبها باستمرار من الآخرين، تتمثل في حمل هؤلاء الأفراد على المغادرة؛ إذ لولا ذلك لما تركوا مدخل خيمتي ولا محيط المخيم، مما كان سيُلزمني بإطعامهم إلى حين رحيلي، وهو الوقت الذي يصبح فيه التوزيع أمرًا محتومًا وواجبًا. لا يمكن لأيّ شخص أن يتخيّل حجم التوسّل الذي يُبديه هؤلاء السكان ما لم يختبر بنفسه إلحاح مطالبهم المتواصلة؛ فذلك يتجاوز حدود التصوّر. إنّه وضع يبعث على الإزعاج للمسافر الذي يجد نفسه ملاحقًا على الدوام من قِبل جماعات من المتسولين الجياع والعدائيين، فيتحول الأمر إلى عبء نفسي

وجسدي يجعله يتقدّم في السن قبل أوانه وسط ما يشبه تجارة في الأسرى. يا له من بلد تعيس، ويا له من شعب بائس تفتقر طباعه إلى الجاذبية أو الحيوية.

ينشغل أفراد فريقي بسقي الإبل، وملء البراميل، والعناية بالحيوانات المصابة بالجرب أو التي تضررت بسبب الأحمال الثقيلة. إنّ جودة المياه في حاسي ريجيا متدنية إلى حدّ كبير. ولأجل حماية «مولاي»، أقمتُ القماش المشمع الكبير الذي أستخدمه عادةً لتغطية الأمتعة، وأسندته على أعمدة خيمة جديدة جلبتُها كهدية لإخنوخن، بناءً على طلبه الذي وردني في إحدى رسائله خلال فصل الصيف. وعلى الرغم من وجود عدد كبير من الأشخاص المحيطين ب»مولاي» — من أزجر، وأمغاد، وسود، وعبيد، وغيرهم — فإنّه لا يمتلك حتى الحطب اللازم لإشعال النار، فيأتي إليّ طالبًا أن أُحضِر له بعضه. إنّ هذا السلوك يثير الدهشة حقًا، غير أنّه يعكس واقع الحال. وقد أمر الحاج، قائد حرستي، أحد رجاله بإحضار الحطب، الأمر الذي بدا لي مزعجًا لما فيه من دلالة على وقاحة هؤلاء السادة.

يتفقد «مولاي» مختلف الأشياء بعناية ويُبدي إعجابه بكل ما يراه: البوصلة، ومقاييس الحرارة، وجهاز المزواة، وغيرها من الأدوات التي أعددتها بعناية. غير أنّ أكثر ما يثير اهتمامه هو حقائب أدواتي وصناديق أمتعتي، إذ تبدو له موضع فضول خاص. وقد عبّر عن رضاه الشديد بالخيمة التي شُيّدت له حديثًا، فاستحضر سرجه وأسلحته وعباءته الحمراء الشهيرة — التي تعود في الأصل إلى زوجته — وجلس تحتها مسترخيًا في حالة من الارتياح التام. ومع ذلك، بدا عليه بعض القلق الذي باح لي به قائلًا إنّه يجدني أقل مرحًا مما كنت عليه في العام الماضي وأكثر انشغالًا واهتمامًا بالهموم. وأكّدت له أنّه مخطئ في ظنه، وأنّ ما يشغلني هو القلق من احتمال عدم وفاء التوارق بوعودهم السابقة. وقد سأل الحاج بالفعل عمّا قمت به بشأن الإبل وما أنوي القيام به حاليًا فيما يتصل برحلتي، فأجابه بأنّه لا يعلم شيئًا، وأنّ الحديث في هذا الأمر سيُؤجَّل إلى حين وصول إخنوخن. أمّا عن السؤال الثاني، فقد اكتفى الحاج بالقول: «أعلم أنّ السيد فورولا يزال متمسكًا بعزمه على عبور بلادكم للوصول إلى منطقة آير، وأنّه يعتمد في ذلك على وعودكم. كما أعلم أنّ هدفه يقتصر على استكشاف أراض لم يطأها أي أوروبي بعد، وأنّ حكومة بلاده لا تضمر نية في غزو أراضي التوارق».

ودّعني «مولاي» مساءً، وطلب أن أسلمه المبلغ المالي الذي كنت أنوي تقديمه

له فورًا وبعيدًا عن أعين الآخرين، رغبة في أن تتم العملية قبل وصول التوارق الآخرين إلى المخيم لضمان السرية والانفراد. خلال المساء، غادر أربعة أو خمسة من الزائرين من إيساكامارين قبل العشاء، وهو ما فاجأني بشدة، غير أنّهم حرصوا على تحذيرنا من نيتهم العودة لتناول الغداء في اليوم التالي. صحيح أنّ خيامهم تقع على مسافة خطوات قليلة من موقعنا، إلا أنّ مثل هذا الأمر لا يُعدّ سببًا كافيًا بالنسبة للتوارق للتراجع عن زيارتهم.

في صباح السادس من ديسمبر، قمت بدفع المبلغ الذي كنت أنوي تقديمه ل»مولاي»، تلبية لرغبته، فأبدى رضاً تامًا ممزوجًا بالفرح، وشكرني بحرارة، وأسهب في التعبير عن صداقته. ثم طلب رشفات إضافية من السعوط الممتاز الذي تذوقه مسبقًا، وبعد ذلك جلس القرفصاء وبدأ في عد حبات سبحاته، قبل أن يخاطبني بصوت منخفض، متناولًا قلقه العميق بشأن المهاجمين << أهقار، الذي عثر على آثاره في تيماسانين. وأوضح أنّ البلاد مغطاة حاليًا بمعسكرات الأهقار الممتدة من وادي تيجودجلت حتى هنا، وأنّه يخشى أن يقوم هؤلاء الأشخاص بإبلاغ المهاجمين بوجودنا في البلاد، مما قد يدفع هذه العصابة إلى مهاجمتنا. كما أشار إلى قلة عدد الأزجر المتواجدين معه، وإذ غادر جميع رجال النبلاء مع الغازي خوردان، ولم يعد أحد منهم، مما يجعل مقاومة أي هجوم محتمل ضعيفة للغاية.

أفاد «مولاي» كذلك بأنه لا يثق بالإيمانغاساتن الذين هم جميعًا في معسكراتهم على بعد يومين فقط من وادي تارات، وخائف من أن يتم تحذيرهم بوجودنا من قبل أحد أفرادهم الذين سبق وأن عبروا وادي تخاملت، فانقض عليهم الخوف وفروا إلى قبيلتهم. وأوضح أنّ الإيمانغاساتن سيئو الطبع تجاه الفرنسيين، وأنّه سبق أن كاد يُقحم في مواجهة معهم خلال الربيع بسبب سوء الاستقبال. كما أفاد بأنّ أي رجل منهم لم يوافق على المشاركة في الغزو الذي نظّموه، وامتنعوا جميعًا عن ذلك. أما بالنسبة لمسيرتي نحو الجنوب، فقد اكتفى بإعطائي تعليمات مختصرة، مؤكدًا أنّه سيتم تيسير الأمر فور وصول إخنوخن، وأنه يجب عليّ محاولة أن يرافقني إخنوخن شخصيًا. وأوصاني بأن أطلب منه أمام الجميع أن يرشدني كما فعل في العام الماضي، وأنه سيواصل الرفض أمام الجميع، وسأصرّ على اصطحابه من معطفي كما لو أنّي أعوقه بالقوة، على أن يترك إخنوخن القرار النهائي في مرافقتي.

توقف رجل قادم من غات ليلَة البارحة عند زريبة قبيلة إيساكمارين المجاورة للمخيم، وأعلن أن الأوضاع هادئة في البلاد وأنه لا يملك خبراً عن المهاجمين الأزجر. وخلال الأيام القليلة السابقة مرت ثلاث قوافل قادمة من الجنوب عبر غات، ولم تتمكن من بيع بضائعها هناك فتابعت طريقها شمالاً. في فترة الظهيرة ظهر فارس جديد قادم من الشرق؛ افترضنا أنّ إخنوخن قد غادر خيمته ليوم أو يومين لزيارة أمغاده وقطعانه، وقد فسّر هذا سبب تأخره. ورأى «مولاي» أنه من الأمن انتظار إخنوخن هنا بدل المخاطرة بعبور الطرق الذي قد يسبب تأخيرات أطول. رضخت للانتظار، وإن كان بملل واضح، إذ أني أبدد المال وأُطعم الكثيرين ممن لا حاجة لي بهم، كما أنني قلق من احتمال اقتراب أحد المهاجمين الأهقار دون أن أنتبّه إليه؛ وثمرة هذا الوضع حيّ مضطرب من الإيمانغاساتن وأولاد مسعود وغيرهم. ولأجل سلامتنا أفضّل أن نكون على الطريق ونغيّر المخيم يوميًا بدل الثبات، غير أنني عاجز حاليًا عن اتخاذ خطوة.

مع حلول الليل وصلت إلى المخيم مجموعة من التوارق، فرسان على المهاري قادمين من تارات، وبعد ربع ساعة وصل محمد بن إخنوخن برفقة جواد وعبيد سود؛ وقد بلغ مجموع الفرقتين معًا أربعة وثلاثين أو خمسة وثلاثين فارسًا، إلى جانب التوارق الموجودين أصلاً مع «مولاي».

خلال الساعات التالية، تم تنظيم لقاءات قصيرة بين «مولاي» والفرسان القادمين، حيث قدّم كل منهم تقريرًا موجزًا عن حال معسكره وملاحظاته حول حركة السكان المحليين والمهاجمين في المناطق المجاورة. ركّز «مولاي» على تقييم المعلومات المتعلقة بالأمن العام والتحركات المحتملة للأعداء، كما تابع مدى التزام الفرق القادمة بالقواعد والتعليمات لضمان حماية المخيم وتأمين مسار الرحلة المقبلة.

في هذه الأثناء، واصل الفريق رعاية الإبل والتأكد من جاهزية المعدات والحقائب، مع تنظيم الإمدادات الغذائية والمياه بشكل يومي، مراعاة لما تقتضيه ظروف الصحراء القاسية من نظام صارم للموارد. كان الاهتمام الخاص بصحة الحيوانات المصابة أو المتضررة أمرًا محوريًا، إذ أن أي قصور في هذا الجانب قد ينعكس مباشرة على القدرة على التنقل وإكمال الرحلة دون توقفات مفاجئة.

مع حلول الليل، أصبح المخيم مكتملًا بحضور جميع الفرسان والعبيد

والمرافقين. وأصبح الوضع تحت إشراف «مولاي» أكثر استقرارًا، رغم القلق المستمر من احتمال اقتراب مجموعات مهاجمة غير معلن عنها، سواء من الأهقار أو الإيمانغاساتن. لهذا السبب، تم توزيع الأدوار بين الحرس لضمان رصد أي تحرك مشبوه، مع إبقاء مسار الهروب المحتمل جاهزًا في حال اضطر المخيم للتنقل الفوري. كما شملت التحضيرات الليلية مراجعة شاملة للمعدات والأمتعة الشخصية، والتأكد من صيانة الأدوات العلمية مثل البوصلة ومقاييس الحرارة وجهاز المزواة، لضمان استمرار تسجيل الملاحظات الجغرافية والمناخية بشكل دقيق خلال التحرك القادم. وقد بدا «مولاي» راضيًا عن جودة التحضيرات، مع استمرار القلق الشخصي بشأن الالتزام بالوعود المحلية والتحركات غير المتوقعة للمهاجمين والأطراف الأخرى، مما يستدعي اليقظة المستمرة والانضباط الصارم لجميع المرافقين.

في اليوم التالي، ظل المخيم في حالة نشاط مستمر، إذ تابع «مولاي» والمرافقون ترتيبات الرحلة والتحقق من جاهزية الإبل والمعدات. وأظهر «مولاي» اهتمامًا خاصًا باستكمال تجهيز الخيمة المخصصة له، حيث تم وضع الأغطية، وتنظيم الأمتعة الشخصية، وترتيب الأسلحة والعباءات، بما يعكس الحرص على الجمع بين الراحة والجاهزية للرحلة القادمة. كما واصل الزوار القادمون من مختلف المناطق تقديم أنفسهم، مع الإشارة إلى أن التوارق الجدد الذين وصلوا من تارات قد جلبوا معهم تجهيزات إضافية، وهو ما ساهم في تعزيز قدرة المخيم على مواجهة أي طارئ. كما تمت مراقبة الطرق المحيطة بالمخيم لتقييم أي تهديدات محتملة من الأهقار أو الإيمانغاساتن، مع التركيز على جمع معلومات دقيقة حول تحركاتهم ومساراتهم المحتملة.

على صعيد الإدارة الداخلية، واصل الفريق توزيع المسؤوليات اليومية بين الأفراد، بما في ذلك العناية بالماشية، وتوفير المياه والغذاء، والحفاظ على نظافة المخيم، إضافة إلى تنظيم دوريات الحراسة الليلية لضمان تأمين المخيم بشكل كامل. وقد برزت الحاجة الملحة إلى الحفاظ على السرية في التعامل مع الموارد المالية والهدايا، لتفادي أي نزاع أو استغلال من قبل السكان المحليين أو المتسولين.

مع حلول المساء، تم عقد اجتماع موجز لتقييم الوضع العام والاستعداد للمرحلة التالية من الرحلة، مع التركيز على ضرورة الحفاظ على الجاهزية التامة

للانتقال اليومي للمخيم. وقد أثنى «مولاي» على الجهود المبذولة، مع الإشارة إلى أن القلق بشأن الالتزام بالوعود المحلية والتحركات غير المتوقعة للمهاجمين والأطراف الأخرى ما زال قائمًا، مما يستدعي اليقظة المستمرة والانضباط الصارم لجميع المرافقين.

بهذا أصبح المخيم مستعدًا لمواصلة الرحلة نحو الجنوب وفق خطة دقيقة، مع الحرص على التوازن بين راحة الزعيم واستمرار مراقبة الوضع الأمني واللوجستي، بما يضمن الاستمرار في تحقيق أهداف الاستكشاف دون تعريض المجموعة لمخاطر غير محسوبة.

من بين الوافدين الجدد يُذكر «مرابط» أو «شريف عربي» من «توات» يُدعى «محمد المهدي بن محمد عبد الله»، ويُعرف أيضًا ب»مولاي المهدي». لم يكن وافدًا جديدًا تمامًا، فقد نشأ في «توات» داخل زاوية تتبع طريقة «عبد القادر بن جيلالي»، لكنه تركها لاحقًا وانضم إلى الطريقة «التيجانية». لذلك فرح كثيرًا عندما سلّمته الرسائل التي كنت أحملها من رئيس هذه الطريقة.

على الرغم من أنه رئيس زاوية في قرية «تينيلا» («تيمي») ب»توات»، حيث ترك زوجة وأطفالًا، فإنه لم يعد إلى هناك منذ زمن طويل، ويقيم الآن في «غات» ومخيمات «أزجر»، وقد تزوج هناك من امرأة يُقال إنها «شريفة» وأنجب منها أولادًا.

استدعاه «بن غراجي» أولًا إلى «الأهقار»، لكنه لم يجد ما يناسبه من عادات وأناس، فانتقل إلى «غات» و»أزجر». يبلغ من العمر نحو خمسٍ وخمسين سنة، نحيف، نشيط، متوسط القامة، وجهه متجعد ومتجهم، عيناه سريعتا الحركة وحادتان رغم ارتدائه النظارات؛ ملامحه غير جميلة لكنها توحي بالذكاء. لا يعرف كلمة من لغة «التماشق»، ويتحدث «العربية» التي يُجيد كتابتها. كان سكرتيرًا لزعماء «أزجر» في الرسائل التي وجهوها إليّ العام الماضي عبر قائد موكب «الحاج». أخبرني هذا القائد أنه التقى ب»الشريف» في «تارات» هذا الصيف، وأن «مولاي المهدي» كان طيبًا تجاهي، وبفضله وافق الزعماء على مراسلتي، ودافع عني أمام مجتمع «أزدجر»، وقال لهم من جملة ما قال: «إن لم تريدوا عودة فورو إلى بلادكم، فأعيدوا إليه الهدايا التي يرسلها إليكم ودعوا رجاله يرحلون.»

كان لا بد من إعداد العشاء لجميع الحاضرين من «التوارق»، وتوفير الماء

للجميع من «البئر» في البراميل. ف«التوارق» يكرمون ضيوفهم مهما كانت قرابتهم.

في «7 ديسمبر»، اشتدت عاصفة عنيفة طوال الليل، تخللها برق ورعد ومطر، من أجمل وأطول ما رأيت في «الصحراء». في الصباح الباكر بقي المطر يتساقط والجو بارد، ثم بدأ يتحسن.

ذبحت «جملاً» لأقدمه للضيوف، وملأت البراميل بالماء لأن «التوارق» جاؤوا بخيولهم وسلاحهم من غير أن يحملوا قربًا للماء، ويتركون عبيدهم «السود» يملأون أوعيتهم من مخزوننا دون تردد.

وصل دليلي القديم «محمد آغ يما» مع الفرسان، فحيّاني فور نزوله من «المهري». أعطيته «بندقية مزدوجة» كنت وعدته بها العام الماضي، على أن أسلّمها ليلًا بعيدًا عن رفاقه، لانعدام الثقة بينهم.

في الصباح زرت «إخنوخن» في خيمته الصغيرة التي أهديتها له، وكان حوله بعض الأعيان مثل «مولاي» و«بلجندي» و«دا مومن» و«الشريف المهدي». كانت التحية ودية أكثر من العام الماضي، إذ صافحني بعض «التوارق» ومنهم «إخنوخن».

ويُحتمل أن سبب هذا التحسن هو غياب «وان غيداسين» و«أناكروف»، المعروفين بعدائهم ل«الأوروبيين»، إضافة إلى أنهم ينتظرون مني هدايا ويعلمون أن «حكومة الجزائر» وافقت على تعويضي لهم عن «الجمال» التي سُلبت منهم.

لكن هذا الاستقبال الودّي لم يسرع في إنجاز أموري، فالتوارق بطيئون جدًا في اتخاذ القرارات، وخلال انتظارهم أتحمل نفقات رجالي والقبيلة كلها، فيما يتزايد عدد «الزوار» يومًا بعد يوم.

في اللقاء الأول كان «الشريف المهدي» يتحدث أغلب الوقت، وهنأني على «خدودي الحمراء لا الصفراء» أي ملامحي الشرقية، ثم سألني إن كنت مسلمًا، فأجبته أنني مسلم إلى حد ما لأنني أعيش مثلهم وأتبع عاداتهم. عندها بدأ يلقيني درسًا طويلًا في «الدين الإسلامي»، مما أملّ الحاضرين، حتى قال له «المومن»: «دعه، إنه هكذا»، فأجابه «المهدي»: «أنت لا تعرف ما تقول، هل هناك أفضل من الحديث عن الله؟» غادرت بعد قليل حين جاء ثلاثة من «أزدجر» طمعًا في الطعام والهدايا.

توالت عليّ الزيارات، أولهم «عبد الحكيم» ابن «إخنوخن»، الذي تذكر «المغنيسيوم» الذي أهديته له في الشتاء الماضي، فطلب المزيد وأعطيته، إذ كان

فضوليًا كغيره من أطفال «التوارق».

وسألني آخرون عن مقتل «رئيس الحكومة الفرنسية كارنو»، فقصصت عليهم ما حدث في «ليون»، ثم سألوني عن الحصون التي يحتلها «الفرنسيون» مثل «إينيفل» و«الشبابة» و«بلحيران»، فأجبت بالإيجاب وشرحت أن الغاية منها حفظ الأمن وتأمين القوافل. كما سألوني عن «تمبكتو»، فأكدت لهم أننا أنشأنا هناك مركزًا بحامية دائمة لضمان السلام من «المحيط» إلى «الصحراء».

نصحني «آغ يما» بالذهاب إلى «أير» في هذا الوقت لأنه موسم القوافل، وقال إن «الأزجر» هذا العام ليسوا في خلاف مع «الكلوي»، وربما يمكن التفاوض معهم. وفي أثناء الحديث، نقل لي «تارقي» اسمه «هاما» كلامًا عن رأي «الأهقار» و«الأزجر» في القبائل الأخرى، ثم توقف عن الكلام فجأة متوجسًا.

تحدث رجل كان صامتًا يدعى «دهابا»، عاش بين «الأزجر» زمنًا، أمه من «الأهقار» وأبوه من «الأزجر»، وكان يكره قبيلة أمه. كانت يداه مبتورتين، وأذنه مقطوعة، وجسده مثخنًا بالجراح بسبب هجوم من خمسمائة «أهجاري» على مائتي «أزجري» في «تارات»، حيث فقد وعيه فقطع أحد المهاجمين أصابعه ليسرق خواتمه. لذلك كان يكره «الأهقار» ويصفهم بـ«الخونة» و«القتلة»، وهو رأي يتفق فيه مع أغلب «الأزجر».

كان «التوارق» من حولنا هادئين، راضين بالديفة ولحم الجمل الذي قدمناه لهم. فشهواتهم تسبق كل شيء، على خلاف الصورة التي يكوّنها «الفرنسيون» عنهم.

اتفقنا مع «إخنوخن» و«مولاي» على الاجتماع في الصباح مع «الأعيان» لمناقشة متابعة رحلتي نحو «أير» واسترجاع «الجمال». لكن عند الساعة الرابعة لم يُنجز شيء بعد. تذرع «الأعيان» بسوء «الطقس» وقالوا «قريبًا قريبًا».

صحيح أن ريحًا «شمالية غربية» قوية كانت تثير «الرمال» وتحدّ من «الرؤية»، لكن كان يمكن النقاش تحت «الخيام». وخبرتي السابقة مع بطء «التوارق» وعدم اكتراثهم جعلتني لا أزال أتعجب من ثقلهم في العمل مقارنة بالأوروبيين.

طلب «المرابط مولاي المهدي» من «الحاج» أن يدعوني للصلاة معهم، فأرسلت الرد بأني أحترم الشعائر «الإسلامية» لكنني لا أنوي الصلاة، ولم تترتب على ذلك عواقب، وبقي «المهدي» يُظهر لي اللطف ويعدّني مسلمًا جزئيًا.

ذكر «دوفيريبيه» أن في «وادي إزكرايت» بئرًا تُسمى «عين الحمل» أسفل النهر من البئر التي نقترب منها، لكنها جفّت، فحفر «التوارق» بئرًا جديدة في نفس المجرى تُعرف بـ»حاسي ريجيا». هناك شربنا واسترحنا .

في «الثامن من ديسمبر» . استيقظ «الشريف مولاي المهدي» مرارًا في الليل يردد «الأدعية» ويرفع «الأذان» بصوت حار، ويعلّق على «الآيات». رجالي يؤدون «صلاة الفجر» في وقتها، بإشارة مني أو من «فيلات» لتحديد الوقت في الأيام «الغائمة»، بينما «التوارق» ينتظرون طلوع «الشمس» تقريبًا لأدائها، إذ يعدّونها واجبًا ثقيلًا، خاصة في «البرد»، لكنهم صاروا يؤخرونها أكثر منذ سمعوا «رجالي» يصلّون بانتظام.

لا بد من الاعتراف بأن «مولاي المهدي» مُملٌّ جدًا بصلواته الصاخبة الدائمة وخطبه التي تبدو دائمًا غاضبة. يخشاه التوارق، لكنهم في الوقت نفسه يبدون مذهولين من ترانيمه. هو من يمسك بزمام الأمور في كل هذا الثرثرة؛ هو من يقود النقاش؛ هو من يقرر ويُلقي المواعظ، وأنا ممتنٌ له على ذلك، لأنه يُحبّذني، - لكن للأسف، ورغم كل ذلك، لا يُتوصل إلى حل، ولا شيء يُحرز تقدمًا. لم ينتهوا من الثرثرة؛ لا يُمكننا إيقاظهم من سباتهم؛ بالأمس كانت الرمال والرياح الباردة، وهذا الصباح، نضارة الليل تُخدرهم.

«الحاج»، الذي لديه تعليماتي، يتحدث مع «إخنوخن» منذ السابعة؛ هل سيُحسم أمرٌ ما اليوم؟ آمل ذلك، فقد دعاني «مولاي» للتو إلى سفح شجرة «أثلة» ليلقي عليّ هذا الخطاب: «يمكننا أن نأخذك عبر سلسلة جبال «طاسيلي»، لكن لا يوجد طعام للإبل هناك، ولا طريقٌ بالمعنى الدقيق للكلمة. جمال قبائلنا، المُعتادة على ذلك، بالكاد تستطيع المشي هناك؛ فالحجر الرملي الصلب للأرض يُمزق أقدامها منذ اليوم الأول. وكان بإمكاننا صعود إما وادي «تارات» أو وادي «إزكريت»، ولكن دائمًا في ظل ظروف صلابة الأرض نفسها. حتى مجاري الأنهار مُرصّفة بحصى مصقولة وزلقة بالكاد تستطيع الحيوانات الوقوف عليها. وتنمو على ضفافها كمياتٌ كبيرة من «الدفلى»، وهذا النبات سمٌّ فوريٌّ للإبل، وإبلكم، التي لا تعرفه، ستمتصه «بشكلٍ قاتل». وللوصول بسهولة إلى «نهر آير»، سيكون من الضروري أن نسلك إما الطريق الذي يتبع سفح نهر «تاسيلي» الغربي، أو الطريق عبر «غات»؛ لا أعرف حتى الآن بالضبط ما أقوله عن هذين الطريقين،

ولكننا سنتحدث عن ذلك لاحقًا مع «إخينوخن»، في زاوية بعيدة، بعيدًا عن آذان جميع الأشخاص الموجودين هنا، وسوف نقرر المسألة.»

بعد نقاشات مطولة مع الزعيمين حول المجموعة التي ستختارها والطريق الذي ستتبعه، تمكنتُ، بفضل صبري وإصراري، من إقناعهما بالتوصل إلى ما يلي: الاتجاه الوحيد الممكن للقافلة هو غرب «تاسيلي»؛ فطريق «غات» سيكون محفوفًا بالمخاطر، وهما لا يرغبان في قبوله. أما الطريق عبر الجبل، فهو وعرٌ للغاية وغير سالك، خاصةً مع هذا العدد الكبير من الحيوانات، وهو ما يُمثل بالفعل سلسلة من النقاط المكتسبة تقريبًا. ثم قلتُ للزعيمين: «لماذا لا تُكلّفانني بقائد قافلة من «الكِل-وي»؟ لا بد أنكما تعرفان عددًا كبيرًا منهم، وسيكون من السهل عليهما إيصالي إلى «الآير».» هزّا رأسيهما بجدية وأجاباني: «لا، لن نفعل ذلك أبدًا، لا نثق في أيٍّ من هؤلاء.» ولكن بتقديمي هذا الاقتراح لهما، كنتُ قد فتحتُ لهما الطريق، وكنتُ أعلم ذلك، نحو توليفة أخرى؛ فاقترحا عليّ ذلك بنفسيهما. أقبله لعدم وجود ما هو أفضل منه، ورغم أن فيه عيبًا جسيمًا يمنعني من إبداء أي ملاحظات على الطريق، ها هو: قرروا أن آخذ اثنين أو ثلاثة فقط من رجالي وبعض الإبل المختارة؛ وأن يعهدوا بي إلى اثنين أو ثلاثة من «التوارق» الموثوق بهم ليرشدوني مباشرةً إلى «آير»، مارًا بجبال «تاسيلي». وظنوا أن سفري بهذه الطريقة، بلا أمتعة وبمظهر بائس، سيوفر لي فرصة جيدة للوصول إلى «آير» دون خطر كبير، وكأنني مسلم. وغني عن القول أنهم بينما يعدون بالبحث فورًا عن الرجلين أو الثلاثة الموثوق بهم، والذين لا غنى عنهم لتنفيذ هذا المشروع، لا يذكرون أسماءهم ولا يبدو أنهم موجودون؛ فهم بذلك يخبئون مخرجًا، وهكذا يتصرفون دائمًا. أنا، من جهتي، مُلزمٌ بقبول ما يُمنح لي والوفاء بوعودهم. ومن المفهوم أيضًا أنني سأعود أدراجي، مع موكبي بأكمله، ليوم أو يومين؛ ثم من معسكر منعزل، بعيدًا عن أنظار أي «تارقي»، سنحزم أمتعتنا الشخصية متجهين نحو الجنوب، وفي صباح يوم جميل، سيستأنف الموكب مسيرته نحو الشمال بقيادة «فيلات» الذي لا يجيد «العربية»، ولا يستطيع مرافقتي في هذه الظروف، بينما سأسلك أنا ورجالي القلائل الطريق إلى «آير». وتولى «إخنوخن» مسؤولية إبلاغ حاشيته بأننا جميعًا عائدون إلى «الجزائر»، وذلك حتى لا ينتشر خبر عودتي الحقيقية إلا في أقرب وقت ممكن.

اتفقتُ مع الزعماء على مسألة دفع ثمن الإبل التي نهبها «أولاد فرج» عام 1885.

وسبق أن ذكرتُ في مقدمة هذا التقرير أنني خشيتُ من أن يعارض «الأزجر» سفري، بعدم دفع المبلغ الموعود، ويرفضوا أي مساعدة لي حتى يُدفع المبلغ. ظلّ هذا الخوف يراودني، ربما أكثر من ذي قبل، بسبب المحادثات التي وصلتني. لذلك، قررتُ، في محاولةٍ للالتفاف على هذه الصعوبة، الالتزام بروح التعليمات التي تلقيتها من «الحاكم العام»، ولكن دون تنفيذ الرسالة بدقة، ودفع جزء من المبلغ الموعود لي فورًا بدلًا من التصريح بأنه سيُدفع كاملًا في «الوادي». علاوةً على ذلك، فرض عليّ الوضعُ هذا الترتيبَ حتمًا. وإليكم الشروط التي شرحتُ بها لـ«التوارق» شروط دفع ثمن إبلهم:

«لقد كلفتني، العام الماضي، بتقديم طلب نيابة عنك، إلى «حكومة الجزائر»، يتضمن طلب استعادة الإبل التي أخذها منك «بدونا» قبل عشر سنوات. ودون أن أعرض عليك جميع المراحل التي مرت بها هذه القضية، سأكرر لك ما أعلنته لك بالفعل في رسائلي هذا الصيف، وهي رسائل تلقيتها ورددت عليها. ويقبل «حاكم الجزائر»، كدليل على حسن النية وحسن الجوار — لأن الأمر المعني قديم جدًا بالفعل — ألا يعيد الإبل، بل أن يعطيك مقابل ذلك مبلغ «تسعة آلاف فرنك». وكلفني أن أعطيك مباشرة من هذا المبلغ «400 دورو» («2000 فرنك») لأثبت لك صحة نواياه. إن «حكومة فرنسا» دولة عظيمة، وإن وافقت على اتخاذ هذا التدبير الكريم تجاهكم، فإنها ترى أن لها الحق في بعض الامتنان والاعتبار؛ ولذلك فقد كلفتني بإعطائكم هذا المبلغ، وأوصيتكم بإرسال اثنين أو ثلاثة منكم، مزودين بصلاحياتكم، إلى مدينة «الوادي»، حيث سيستلم مبعوثوكم فورًا مبلغ «السبعة آلاف فرنك»، وهو المبلغ الإجمالي، بمجرد الاطلاع على تفويضكم ورسالة مني تُثبت هويتهم. ومن المفهوم جيدًا أيضًا أنكم، وفقًا لوعدكم، ستساعدونني في الوصول إلى «الآير»، بينما سيتوجه ممثلوكم إلى «الوادي» لتحصيل «الدوروس» الموعود.»

دون أن يقول أحد كلمة، يبدو لي أن كل شيء تم ترتيبه بما يرضي الطرفين.

عليّ الآن أن أنتقل إلى توزيع «الهدايا»، ومن الضروري توزيعها على الجميع. الوضع صعبٌ للغاية؛ علينا أن نرتب لمنح مبلغ كبير لاثنين أو ثلاثة من الزعماء الرئيسيين؛ لكن لا داعي للقلق بشأن حاشيتهم؛ للأسف، فالجميع هنا «أسياد»، أو شبه «أسياد»؛ لا أحد يُطيع، والزعماء أنفسهم يطلبون منك أن تُقدم سخاءك لجميع الحاضرين. لو استطعنا عزل هؤلاء الزعماء، وجعلهم يأتون بمفردهم

تقريبًا إلى نقطة محددة، لتمكنا من ذلك تقريبًا؛ لكن العادة قائمة: بمجرد أن يتوقف «الأعيان» في أي مكان، وخاصةً للقاء «أوروبي»، يهرع الجميع إلى هناك على الفور، فنجد أنفسنا محاطين بحشد متلهف ومتسول يجب إرضاؤه. من المستحيل الخروج من هذا الوضع ما دام «التوارق» هم «التوارق»، ولم يكتسب أحدهم سلطة ونفوذًا على الجماهير يفرض نفسه على الآخرين ويقودهم فعليًا.

وعلى أية حال، فأنا مضطر إلى المضي قدماً في التوزيع، مع الأخذ بعين الاعتبار الاختلافات بين وضع كل شخص؛ ويبلغ المجموع مبلغاً تقريبياً إلى حد ما («2500 فرنك»)، ولا آخذ فيه في الاعتبار «حق المرور»، الذي سيتم مناقشته أدناه.

من المؤسف أن نُقدّم هذا الكرم لرجالٍ يسخرون منك في الغالب ويعتبرونك أدنى منهم بكثير. لكنني لا أنوي هنا تكرار رثائي من العام الماضي؛ فقد سبق أن ذكر «تقرير مهمتي الأخير» موقفًا مشابهًا تمامًا، ولا يسعني إلا أن أكرر كلامي دون داعٍ. يكفيني أن أقول إن مثل هذه اللحظات مؤلمة للغاية، وأن المرء لا بد أن يكون قد مرّ بهذه الخيارات البغيضة لفهم المحن التي تُخضع «المسافر» لها.

أبدأ كتابة رسالتي على أمل أن تسير الأمور كما اتفقنا عليه هذا الصباح، ومع ذلك، ففي هذا البلد، أكثر من أي بلد آخر، لا ينبغي للمرء أن يحتفل بالنصر قبل أوانه ويتطلع إلى المستقبل. لا أدري إن كانت «الرياح» وأفكار «الأعيان» ستغير مسارها غدًا. هذا الغموض المتواصل تحديدًا هو أخطر خطر على «المسافر». لا أعرف ما يشعر به الآخرون، لكنني أعترف أن هذا النوع من العذاب يُسبب لي معاناة حقيقية، وتوترًا نفسيًا مُرهقًا للغاية.

جاء «الشريف المهدي» إلى «خيمتي» ليأخذ هديته التي لا يريدها إلا سرًا. واضطررتُ لزيادة المبلغ الذي كنتُ أنويه له؛ فقد وجد أنه لا يكفي لتسديد تكاليف جهوده الكلامية البليغة التي بذلها من أجلي. ولا أريد أن أغضبه، لأنه قد يؤذيني بشدة إذا خطر بباله ذلك؛ فهو في الواقع مستقل تمامًا. وأعطاني «تعويذة»، مكونة من «آيات قرآنية» مكتوبة على ورقة مطوية بعناية، والتي من شأنها أن تحميني في الطريق من جميع المخاطر. قبلتها، كقطعة غريبة، حتى لا أغضبه. ولم يقتصر كرمه على هذه الهدية فحسب، بل شرع، في صمت «الخيمة» المنعزل، في سلسلة من «البركات» ووضع يديه فوق رأسي، مصحوبة جميعًا ب»دعوات» قصيرة ولكنها عديدة، بعد ذلك.

كل واحد منهم، قائد موكبي «الحاج»، الحاضر في المقابلة، يرد على «أمين» بكل وضوح.

بعد هذه المراسم التي عاناها «مرافقي فيلات»، أعلن «الشريف» استعدادي لمواجهة كل المخاطر. واختتم حديثه بطلب رشة من «السعوط»، وطلب مني إرسال «إبريق شاي» و«كأسين» له.

هذا الرجل مستقل حقاً؛ فهو لا يتردد في التعامل مع «التوارق»؛ ويعاملهم كرجال قليلي الإيمان: «ليس الفرنسيون، كما يقول لهم، هم الكفار، بل أنتم؛ إنهم لا يأكلون بعضهم بعضاً؛ إنهم لا ينهبون الناس؛ بينما أنتم تعيشون هذه الحياة؛ إنهم يحبون المسلمين، وهم الفرنسيون، وأنتم تنكرون إلهكم!...»

لم يتم تحديد أي شيء هذا المساء، لا زال علينا الانتظار.

«9 ديسمبر». مزلت ادفع للأعيان، أولًا «2000 فرنك» كعربونٍ على ثمن الجمال، ثم «أدا» أو«حق المرور»، الذي حُدّد، كما في العام الماضي، «500 فرنك». وينغمسُ الكبار في خطاباتٍ مطولة. يشعرون أنهم لا يملكون سلطةً لحمايتي على الطريق، أو ربما لا يريدون ممارستها؛ ويقولون: «من الأفضل أن يحميك فقرك، ولذلك نحثّك على السفر وحدك وبدون أمتعة، بملابس رثّة، إلخ. الجمال، المال هو الذي يقتل...» علاوةً على ذلك، هذا يعني أنه لا يُقتل إلا من يملك؛ قد يكون هذا صحيحًا جزئيًا، ولكنه ليس صحيحًا تمامًا، فهناك أيضًا مسألة «الجنسية»، «المسألة الدينية»، التي لها أهميتها، مع أن «التوارق» ليسوا متحمسين.

لقد تبيّن لي جليًا أنه في هذا البلد لا يوجد إلا «سلطان رضا كل فرد». من أراد القتل، يقتل دون أن يكترث لأمره. لطالما زعمتُ أن هذا هو الحال، لكنني اليوم أستطيع تأكيده بوضوح.

فور دفع وديعة «الألفي فرنك»، اجتمع جميع «التوارق» الحاضرين، وبدأ نقاش حادّ وعاصف. بدا لـ«مولاي» و«إخنوخن»، كما أشرتُ أمس، أن من الطبيعي أن يذهب ممثلان أو ثلاثة إلى «سوف» لاستلام المبلغ المتبقي من الإبل، لكنهم جاؤوا اليوم ليعيدوا المبلغ إليّ، طالبين مني الاحتفاظ به مؤقتًا. لم يوافق أحد على الذهاب إلى «الجزائر»، وقال الجميع: «فورولن يمر، ولن يذهب أبعد من ذلك»، حتى يدفع المبلغ كاملًا. أجبتُ بأنني نقلتُ طلبهم إلى «الحكومة» فحسب، وأن «الحكومة» ردّت بضرورة حضورهم لتحصيل المال من «الوادي». يستحيل

عليّ أن أجعلهم يُدركون أنني، إلى حدٍّ ما، وكيلهم الوحيد في هذه القضية، وأنني حصلتُ على ثمن جمالهم، ولكنني لا أملك المال؛ وأن «الحكومة الفرنسية» وحدها هي القادرة على دفع ثمنهم، وأنه من الإنصاف تمامًا أن يُلبّوا طلبهم، ولو بكلمة شخصية. تكلموا جميعًا في آنٍ واحد، بنبرةٍ منزعجة، ولا يريدون سماع أي شيء. يبدو أنهم يُصرّحون بأنهم لن يُرسلوا عملاء إلا إذا عدتُ أنا و«الحاج» معهم.

بذلتُ قصارى جهدي لإقناع «آغ يما» بالموافقة على أن يكون أحد العملاء؛ فهو يعرف «الجزائر» جيدًا، وطمأنته بأنني لا أفكر في جلب «عملاء أزجر» إلى «الجزائر» أو «باريس» (كما عبّروا عن مخاوفهم)، بل إلى «الوادي» فقط. وأكدت لهم مجددًا أنهم في هذه المدينة سيتقاضون أجورهم نقدًا لا جمالًا (وهذا لمحو مخاوفهم الأخرى)، وأنه بمجرد حصولهم على الأموال، سيُمنحون حرية كاملة للعودة إلى ديارهم.

حوالي الساعة الثالثة، وصل «مولاي» أخيرًا إلى «خيمتي» ليستلم مبلغ «الألفي فرنك» الهدية. وبدأ التوزيع فورًا، أمام جميع الحاضرين، بين مُلّاك الإبل، جميعهم هناك. استمر هذا الحفل طويلًا، وفي نهايته، أعطاني «الأعيان» إيصالًا بمبلغ «400 دورو» («ألفي فرنك»). ولأن «مولاي» و«إخنوخن» لم يكونا يحملان طوابعهما، فقد بقيا في «خيمتيهما»، فكتب «مولاي المهدي» الإيصال ببساطة أمام جميع الحاضرين، مع أسماء «الأعيان» الشهود.[1]

لاحقًا، عاد «أغ ييما» إلى «خيمتي» وتحدث معي باللغة التالية: «منذ هذا الصباح، نوقشت مسألة رحيلك إلى الجنوب. يرى البعض أنه يجب عليك ترك الطريق خاليًا وتزويدك بأدلة: أنا، على سبيل المثال، و«شقيق هاما»؛ بينما يقول آخرون، على العكس من ذلك، أصحاب الجمال التي تمت مداهمتها، لا بشكل قاطع؛ ويكررون: «لم يحضروا لنا ثمن الجمال كاملًا، وبالتالي لن يمر فورو». من ناحية أخرى، فإن الوضع غير واضح تمامًا: لن تُجبر على اتباع طريق «غات»؛ فالناس يخشون أن يحدث لك مكروه على الطرق التي تعبر «طاسيلي». كل يوم، نصادف «الأهقار» هناك، قادمين من الشرق أو الغرب، وبالتالي، نحن أيضًا خائفون على هذا الطريق، حتى أننا نخشى على رؤوسنا. على أي حال، سنتخذ قرارًا هذا المساء وسنخبرك؛ لكن النقاش صعب ولم ينتهِ بعد.»

1-هذه الوثيقة موجودة لدى «الحكومة العامة للجزائر».

لقد قلت، في الواقع، عندما أعطوني الإيصال الخاص ب»الألفين فرنك»، إنني سئمت من التعرض للخداع بهذه الطريقة، وأنني سأغادر غدًا دون أي هوادة إلى «الشمال»، حاملاً معي رأيًا مؤسفًا قدر الإمكان عن «الأزجر» وما يسمى ب»صلاحهم».

يعود «مولاي» مرة أخرى، ويكرر بشكل أساسي ما قاله لي بالفعل: «إن أصحاب الإبل هم الوحيدون الذين يمكنهم أن يكونوا مرشدين إلى الجنوب، لكنهم يرفضون ذلك بشكل قاطع؛ ومن المستحيل علاوة على ذلك إقناعهم بالذهاب بمفردهم إلى «الجزائر»، كعملاء لتلقي الأموال، إلخ.»

يطلب مني «إخنوخن»، بإلحاح شديد، تمديد إقامتي غدًا، آملًا أن يتمكن من حل الأمر كما أريد. أقبل مرة أخرى، على الرغم من التعب الشديد، بسبب سوء نية كل هؤلاء الناس. ماذا! لقد قبلوا أولاً دفع العربون تمامًا؛ كما قبلوا أيضًا إرسال عميلين أو ثلاثة إلى «الوادي»؛ وأكدوا لي أنهم يجهزون كل شيء لمغادرتي إلى الجنوب بدون أمتعة؛ وفي اليوم التالي تغير كل شيء، لا شيء يفي بوعودهم، يجب أن يبدأ كل شيء من جديد! أليس هذا وضعًا لا يُطاق؟ ألا يجب أن أرى بأسف كل هؤلاء «الأوغاد» وهم يلتهمون طعامي ويضعون «دوروس» في جيوبهم؟ والتفكير في أن هناك أشخاصًا في «فرنسا» لا يزالون يأخذونهم على محمل الجد، والذين يعتقدون أنه يجب معاملتهم كشعوب متحضرة. يا لها من «أوهام»، وكم ستكون مفيدة لهؤلاء «الحالمين»، إقامة بضعة أشهر بين «التوارق» بمهمة طلب بعض المعروف منهم. من غير الحكمة دائمًا الحكم على الأشياء من بعيد؛ من الأفضل أن نلتزم بما نراه بأعيننا، وهذا ما فعلته؛ لذا اضطررتُ إلى تعديل نظرتي ل»التوارق» بشكل كبير، فقد أتيحت لي الفرصة، في مناسبات عديدة، للبقاء بينهم. أي رجل حسن النية، يجد نفسه في نفس الظروف التي مررت بها، لا يمكنه إلا أن يؤكد وجهة نظري في تقدير هذا «العرق»؛ ومرة أخرى، أُخفف بشدة من حيوية انطباعاتي الأولى، وقت كتابتي لهذا المقال؛ إذ أسجل في «مذكرات رحلتي»، المكتوبة يومًا بيوم، حدة الأحاسيس التي شعرت بها، و»الاشمئزاز» الذي شعرت به في ذلك الوقت، والمسجلة بشكل تلقائي.

في المساء، اندلع شجار عنيف بين «الشريف مولاي المهدي» و»أغ يمة»، بحجة أن الأخير، وهو «أمغيدي» فحسب، يقترب منه كثيرًا أثناء حديثه مع «الحاج». وبعد تبادل «الشتائم»، تبادلا «رمي الرمال» على وجهيهما، وهو ما يُعدّ «قمة الوقاحة»

في الصحراء. استل «الشريف» سكينه واندفع نحو «أغ يمة»، فاضطر «الحاج» إلى الإمساك بذراع «الشريف» لمنع إصابته بجروح خطيرة. وكانت النتيجة النهائية وابلًا من الضربات تلقاها «أغ يمة» من «عصا» وجّهها إليه «الشريف».

«10 ديسمبر» - إقامة. - يصل أربعة «فرسان» على ظهور «الخيل» في الحال، برفقة «خامس» عائد من «غدامس». الأربعة الأوائل هم من قبيلة «يادهانارن»، وهي قبيلة تابعة لـ«أزجر»، تعيش بين «طاسيلي» و«آير»، في «سهل أدمر» بشكل عام. سمعة هذه القبيلة سيئة، والحقيقة أن ممثليها الأربعة هنا ليسوا على نفس المستوى. «ملابسهم»، التي تشبه «ملابس جميع التوارق»، لكنها كانت بيضاء بالكامل سابقًا، قذرة بشكل مثير «للاشمئزاز»؛ «وجوههم» شريرة، و«خطواتهم» ثقيلة للغاية. يجلسون خلف حفنة من «الأشجار»، وينظرون إلينا كـ«حيوانات فضولية»، لأنهم لم يروا «أوروبيين» قط، ومن الواضح تمامًا أننا لا نتعاطف معهم.

أما بالنسبة لـ«المهاري» القادم من «غدامس»، فقد جلب «الأخبار» التالية: لم يظهر «مهاجمو الأهقار»، الذي لاحظت مروره في «تيماسانين»، في محيط «غدامس»، لا بد أنه سارضد قطعان «سوف» أو «نفزاوة». إن «المهاري الأربعة عشر»، الذين رأينا آثارهم بالقرب من «البيض»، في «16 نوفمبر»، هم بالفعل ما كنا نعتقد: لقد كان «كوان تيتي» و«والداه» هم الذين كانوا يطاردون «لصوص جمالهم»، الذين غادروا إلى «عين صالح». «مهاجمين» آخرين من «أدزجر» وخاصة «إيمانغاساتن»، قد أخذ للتوبعض الجمال من «أورغاما»؛ وطاردوهم، ولكن عندما وصلوا إلى «درج»، أوقفهم «سكان المدينة» ومنعوهم من المضي قدمًا، ووعدوهم بإعادة «حيواناتهم».

أُدعى إلى «مناقشة جديدة». لم تعد كلمات «الأعيان» تبدو لي صريحة كما كانت في الماضي؛ إنهم يبحثون عن كل أنواع «الأسباب السيئة»، ويثيرون باستمرار مسألة عدم دفع الإبل بالكامل على الفور. أكرر لهم في هذا الموضوع ما قلته لهم بالفعل، أي أنهم إذا أرادوا أموالهم، فما عليهم سوى الذهاب والحصول عليها في «الوادي». فيجيبون على هذا بأن لا أحد يريد الذهاب إلى هناك. أما بالنسبة لمسألة «المرشدين»، الذين سيأخذونني نحو الجنوب عبر «الجبل»، فيزعمون أنهم لا يستطيعون العثور على أي منهم. اقترحوا مبدئيًا «أغ ييما»، لكن الأخير

يرفض بشدة. يبدو لي أن وصول «اليادهانارين» الأربعة، المذكورين أعلاه، قد أثر على «عقول الزعماء»، ويبدو لي أن تصرفاتهم قد تأثرت بذلك. يطلبون مني بضع «ساعات» أخرى للمناقشة.

أخيرًا، لخّص إخنوخن و»مولاي» موقفهما على النحو التالي: «ننصحك بالعودة إلى الجزائر، فنحن الآن في حالة شلل بسبب سوء نية الشعب؛ جميع رجالنا تقريبًا غائبون، وهم جزء من مهاجمي كوردان، ولا يمكننا تحمل أي مسؤولية. والأمغاد، الذين أُسرت جمالهم، لا يريدون سماع أي شيء، ولن يوافقوا تحت أي ذريعة على السماح لك بالمرور وقيادتك، إذا لم تُدفع لهم أموالهم . وهؤلاء الأمغاد أناس بلا دين ولا قانون (ناس شينين بالعربية)، ولا يمكننا فعل أي شيء ضدهم. لو دُفعت الإبل بالكامل، لكننا جميعًا قد وقّعنا على المسؤولية عن رأسك. ومع ذلك، لا نريد أن نقول لك: ارحل، فقد قدمت لنا الكثير من الخير، وإذا طلبت ذلك، فسنعطيك رجلًا واحدًا كدليل، عبدًا أسود، لأن «المرشدين الآخرين الوحيدين الموجودين يرفضون اصطحابك إلى العير، حتى تُدفع جميع الإبل».

أجيب على هذا بأنهم يسخرون مني، وأنهم يعلمون جيدًا أنه لا يجوز تقديم عبد كمرشد، وحتى لو كان لديّ من التسامح أو الغباء ما يكفي لقبول وضع مماثل، لكنت وجدت نفسي منقطعًا منذ اليوم الأول، إما بسبب هجران مرشدي، أو بسبب الصعوبات التي واجهتها مع أول معسكر صادفته، والتي كان مرشدي سيفتقر فيها تمامًا إلى الهيبة والسلطة. وأضيف أنني كنت سأقبل على الفور لو كان الرجل الأسود من إخنوخن، المدعو أهومار، لأن الأخير رجل موثوق به لدى الزعيم أكثر منه عبدًا، وعلاوة على ذلك، فهو معروف جدًا ومخيف للغاية حتى في الآير، وأكثر قدرة من أي شخص آخر على مساعدتي في النجاح، ولكن للأسف لم يكن «أهومار« هو من عُرض عليّ.

أختم بالقول لهم: «نظرًا لسوء نيتك الواضح؛ << نظرًا لقلة الامتنان التي أظهرتموها لي، للجهود التي كان عليّ بذلها من أجلكم، فيما يتعلق بإعادة جمالكم؛ نظرًا لرفضكم تزويدي بأدلة، على الرغم من السخاء الذي وزعته عليكم؛ كل ما تبقى لي هو العودة <<< إلى بلدي. يجب أن أخبركم أن تديروا دفع رصيد جمالكم بأنفسكم ولا تقلقوا بشأن ذلك بعد الآن؛ ولكن، «لأُظهر لكم أنني أكثر إخلاصًا منكم، وأنني حريص على الوفاء بجميع عهودي بنفسي، أدعوكم مرة أخرى لتعيين

اثنين منكم لمرافقتي إلى الوادي، وسنعطيهما السبعة آلاف فرنك المتبقية على جمالكم. «سيتشاورون مرة أخرى ويقولون لي: « إذا عاد شعبنا، الذين سنعينهم، إلى بلادنا بأموال الجمال، فلن يكون زعماء الأزجر وحدهم هم من سيقفون بجانبكم، بل سيقف بجانبكم جميع سكان الأزجر. سنقودكم بعد ذلك، وبشكل جماعي، إلى أي مكان تريدونه ... « أجبتهم على الفور : « سأسجل هذا الوعد وسأذكركم به، ولكن في هذه الأثناء أعطوني أسماء الرجلين اللذين سيرافقانني، وأسلمهما خطاب اعتمادهما لدى السلطات الفرنسية، التي سأقدمهما إليها.»

لقد وعدوني بأن كل شيء سوف يتم ترتيبه بهذا الخصوص في صباح اليوم التالي، فصرفتهم، وقد حزنت لرؤية أنني ما زلت معتقلاً ومجبراً على العودة إلى الجزائر، فقط لأنني لم أتمكن من دفع المبالغ التي وعدوا بها للتوارق.

«11 ديسمبر». أقوم باكرًا بإرسال «ريجيا» إلى «حاسي» لملء جميع براميلي وسقي جميع جمالي؛ القافلة محمّلة، ولكن لا أتمكن من الانطلاق إلا بعد الساعة التاسعة صباحًا.

كان لا بد من إعطاء مالٍ لأربعة من قبيلة «الياذنارن»، بناءً على طلبٍ خاص من «إخنوخن»، الذي ذكّرني بأن قبيلتهم تسكن الطريق المؤدي إلى «الآير»، وأنه من الجيد ترتيب معاملتهم لي مُسبقًا. كما كان لا بد من إعطاء شيءٍ ما لـ«مختار»، «حم عبد النبي»، العائد من «أهقار»، والذي كان يرغب بشدةٍ في الانضمام إلينا للعودة إلى خيام صهره الواقعة بالقرب من «تيمسانين».

«إخنوخن» و«مولاي» وبعض «الأعيان» الآخرين يطلبون الطعام للعودة إلى معسكراتهم؛ وأنا مضطر للموافقة على طلبهم.

أخيرًا، ودّعنا، فقد حُسمت الأمور. الرجلان المُختاران للقدوم إلى «الوادي» هما «محمد آغ يمة» و«محمد بن عبد الملك» [1]؛ ولن ينضم إلينا هذا الأخير إلا غدًا أو بعد غد، بينما من المُرجّح أن ينضم إلينا «آغ يمة» غدًا، فقد غادر هذا الصباح وسيبيت في خيمته بـ«وادي تخمالت».

في لحظة الفراق، أقسم لي «مولاي»، و«إخنوخن»، و«بلجندي»، و«دام مومن»، بآلهتهم العظيمة، أنه بمجرد دفع ثمن الجمال، فإنهم سيقودونني إلى

1- لقد علمت منذ ذلك الحين أن هذين الرجلين كان من المقرر أن يحصل كل منهما على «100 دورو» (500 فرنك) إذا أعادا المال مقابل الجمال؛ ولا شيء إذا لم يحصلا على أي شيء؛ وقد وافقا على اغتنام هذه الفرصة.

«الآير»، مما يضمن سلامتي تمامًا.

ويصرّ«دام مومن»، ويضيف: «اطلب من ممثلينا أن يخبرونا، عندما يعودون، في أي وقت تريدون أن تكونوا في «عين الحجاج»، سنكون هناك بأنفسنا في التاريخ الذي حددتموه، ومن هناك سنغادر مباشرة إلى «السودان» (يطلق «الأزجر» بالفعل اسم «السودان إلى أير»)، عبرطريق سهل وحيث لن يأتي أحد ليعيقنا، هذا ما نقسم به، وسوف ترون ما إذا كان الأعيان يعرفون كيف يوفون بوعودهم».

أيّد «إخنوخن» بكلمات قليلة كلمات «دام مومن» ووعوده، وأضاف: «يجب أن تمرب»ساقن»، وستبقى هناك يومًا كاملًا تنتظر مهرًا ربما أرسلته إليك ليخبرك بالأخبار. لا تقلق بشأن ما قد يحدث في الشرق (أفعال أوتحركات «الإمام غسّان»)، سأهتم بالأمر، وسأعتني به وحدي؛ لكن التزم الغرب والشمال فقط. إذا كانت لديّ أخبار مهمة لأخبرك بها من أي جهة كانت، فسأرسل لك مهرًا وأسلمك رسائل أشرح فيها ما أعتقد أنه الأفضل فعله. أنت تغادر صديقنا، ونأمل أن تردّ بالمثل، مع تحياتي.

انضمّ إلى موكبي «بخا بن محمد» وأحد أصدقائه، العائدين إلى «وادي تيخمالت»؛ كما رافقني «الترجي مختار» الذي نادرًا ما يفارقني أثناء المسيرة. وأخبرني: «من الأفضل لك أن تتبع الطريق المعاكس الذي سلكته للوصول إلى هنا، بدلاً من المرورعبر«عرق إسوان». وفي الواقع، سارمهاجمو«أهقار» نحو الشمال الشرقي، وربما حتى شمال «غدامس» – لدي أسباب للاعتقاد بذلك لأنني عائد من «أهقار» – سيمر بالتأكيد عبر«عرق إسوان» في طريق عودته، بعد أن أخذ بعض الجمال، وسيتجنب الطريق إلى «تيماسانين»؛ وأخشى، بالتالي، أن يجد آثارك في هذا العرق، وأنه سيطاردك بفرسانه الأربعة والسبعين. أقول لك ما أعتقد أنه صحيح، والأمر متروك لك لاختياروفعل ما تريد».

أتصور أن «مختار»، لا يعلم بعد أننا سنمر قريبًا من «تيمسانين»، وبالتالي ليس بعيدًا عن خيامه، ويرغب في أن أستأنف رحلتي لأسافر معه إلى «الزاوية»، وبالتالي يضمن غذاءً جيدًا يوميًا. وأعتقد أن هذا هو سبب حديثه، وباختصار، هناك احتمال كبير للقاء المهاجمين عند المرورمن الغرب كما هو الحال عند المرور من الشرق، لذلك أنا مصمم على اتخاذ هذا الاتجاه الأخير(الذي، علاوة على ذلك، أشار إليّ «إخنوخن»). سيكون هذا أكثرإثارة للاهتمام، من الناحيتين الجغرافية

والجيولوجية؛ لأنه سيسمح لي بوضع مسار جديد ومفيد للغاية، بالتوازي مع مسار رحلتي في «يناير 1894» وليس بعيدًا عنه. في هذه الحالة، سأضطر للذهاب إلى «تابانكورت» للشرب؛ وهذا يعني أحد عشر أو اثني عشر يومًا بدون ماء، ولكن هذا ليس مخيفًا في هذا الوقت من العام، خاصة وأن «العرق الجنوبي» مغطى في كل مكان هذا العام بطعام أخضر جميل للإبل.

اليوم نتبع نفس الطريق الذي سلكناه في الرابع من «ديسمبر»، ولكن في الاتجاه المعاكس، ولكننا نخيم، قبل «وادي أوبركات» بقليل، عند النقطة الخامسة، في وادٍ صغير في «التلال ب»، وهو واد يوجد فيه القليل من النباتات للجمال.

بالقرب من المخيم، على «التلال ب»، جمعنا أنواعًا مختلفة من الحجر الرملي. (العينة رقم 127 مكرر. حجر رملي حديدي ذو نقوش غير محددة، يُحتمل أنها نباتات – بداخله كرات كلسية). توجد في هذه الأحجار الرملية نقوش مملوءة بطين أحمر يبدو أنه يشغل الفراغات التي خلّفتها الأحافير. وبعض الأحجار الرملية الأخرى مثقوبة بشدة، بينما يغطي بعضها الآخر عروق غير منتظمة يبدو أنها ناتجة عن بقايا سيقان نباتية.

لقد تم تسليمي «خطاب اعتماد الممثلين الاثنين لأزجر»، وهذا هو الترجمة:

(بصمة طابع بريدي غير مقروء) في الأعلى:

«من القائد السعيد، الفارس المجيد، السلطان «مولاي بن خداج»؛ من صاحب البركة الظاهرة، والأنوار الساطعة، المحبوب، السلطان، سيد «محمد»، ابن المرحوم السلطان «الحاج محمد إخنوخن»؛ من جماعة «أزجر»، إلى الزعيم السلطان الكامل، وإلى جميع الفرنسيين.

اللهم وفقك في سبيلك وسدد خطاك في طريق هؤلاء المرسلين!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تعلم – وفقك الله للخير وحفظك – من الشر الذي أتى به قومك («فورو» وأصحابه) إلى «الأزدجر»؛ وأنهم رأوهم بعين طيبة؛ وأنهم احتفلوا بقدومهم، واستقبلوهم استقبالًا حسنًا.

ولكن لا بد من القول إن الالتزام الذي قطعه «فورو» ورفيقه العام الماضي بشأن إعادة الجمال لم يتم الوفاء به بالكامل.

ولهذا السبب يعود فريقك دون أن يحصلوا على الرضا الذي رغبوا فيه (أن يتم

مرافقتهم وإرشادهم في «الآير»).

دفعوا «400 دورو» (2000 فرنك) ثمنًا لعشرين جملًا. وبقي سبعون جملًا يجب دفع ثمنها.

إن «الأزجر» يرسلون إليك وفدًا خاصًا بهم لا يجوز أن يتجاوز «إل-كيد». صلاحياتهم بيد «فورو» و«الحاج عبد الحاكم». سيقدم لكم الأخير، كتابيًا، إيصالًا شاملًا وعامًا بكل ما أُعطي لهم.

ما يقوله المبعوثون سيكون جيدًا، وما يفعلونه سيكون جيدًا.

إذا أوفيتم بوعدكم بشأن الالتزام الرسمي الذي تعاقدتم عليه، فيما يتعلق ببقية الإبل، فإننا سوف ندعم المشاريع التي قدمها «فورو» (أي «وصوله إلى الآير»).

أسأل الله أن يحفظكم تحت شريعته، ويهديكم إلى الطريق الذي يرضيه، ويعطيكم عونًا منه؛ ويمنحنا عون الإيمان، ويحمينا هنا على الأرض وفي الحياة المستقبلية.

كتب بأمر «محمد المهدي بن محمد عبد الله رحمه الله.[1]

هذه اللحظة هي الأنسب للتأكيد على نقطة جوهرية: عندما أسجل محادثاتي مع الطوارق أو أنقل المعلومات المستمدة منها، فإنني ألتزم بدور «الناقل الأمين» فحسب. لا أُدخل أي إضافات من عندي، بل أكتفي بالترجمة الدقيقة. وإن حذفت أحيانًا بعض التفاصيل، فذلك لأنها تبدو لي إما غير موثوقة، أو تافهة، أو غير مناسبة للإدراج في تقرير بهذه الطبيعة.

والجدير بالذكر أنني لم ألجأ قط إلى مترجم في حواراتي العابرة أو المناقشات الجادة مع الطوارق. فقد كنت أعبر عن أفكاري مباشرة بالعربية دون وسيط، وأتلقى الردود منهم دون تشويش. وقد سهل هذا الأمر كون أبرز الشخصيات التي تفاعلت معها ذلك العام – مثل مولاي (الذي كانت عربيّته محدودة) وإخنوكن وبلجندي وداومومن – كانوا جميعًا يجيدون العربية بطلاقة، باستثناء الشريف الذي ينحدر من أصل عربي ولا يتقن لغة التاماشق أصلاً.

إن الاعتماد على المترجمين الفوريين – وأنا المستكشف الصحراوي الوحيد

1- هذه الرسالة بين يدي الحكومة العامة لـ«الجزائر». ترجمتها أعلاه هي ترجمة «السيد باروخ»، المترجم العسكري لـ«فرقة قسنطينة».

منذ عهد فلاترز الذي تجنبت هذه الممارسة لعلمي بمخاطرها الجسيمة – هو أسوأ منهج ممكن. فمهما بلغت كفاءة المترجم، لن ينقل أفكارك بدقة كما تعبر عنها بنفسك، وسيفلت منك دوماً بعض الفروق الدقيقة في ردود الطرف الآخر، التي قد تكون جوهرية في سياق النقاش.

تتعقد هذه الإشكالية بشكل خاص مع «الطوارق»، حيث تُبنى المحادثات على مسار عمل مُعد مسبقاً، قائم على وثائق ومراسلات سابقة ومقابلات مدروسة. هنا يصبح استخدام الكلمة الدقيقة – وليس مرادفاتها أو تفسيراتها – مسألة حتمية. أي انحراف عن هذا المسار، حتى لو بدا هيناً، قد يعرض كل الجهود للفشل، إذ كيف يُعقل أن تُزرع أفكارك في ذهن الآخرين بصورة دائمة ومتماسكة عبر وسيط؟

خلاصة القول: لا يُمكن تفويض شأنك الحيوي لغيرك، فالشخص لا يُجسّد ذاته إلا من خلال كلماته الخاصة.المسألة معقدة للغاية، لا سيما مع «التوارق». هناك نهج سلوكي متفق عليه مسبقًا، مُحكم ومدروس بعناية، لأنه يعتمد على وقائع ومقابلات ورسائل سابقة، نهج سلوكي لا يستطيع المستكشف الخروج عنه ولن يحيد عنه؛ في هذه الحالة، الكلمة الصحيحة هي التي ينبغي استخدامها، لا مرادفًا أو تصحيحًا. ويُغامر المرء بتعريض كل شيء للخطر إذا لم يتصرف بنفسه، لأنه من الصعب جدًا، إن لم يكن من المستحيل، أن يُلهم الآخرين بأفكاره الخاصة، وأن يُغرس فيها، إن جاز التعبير، في جميع الأوقات وفي جميع الظروف.

باختصار، لا يمكن للإنسان أن يدير أعماله بشكل صحيح إلا بنفسه، ومن المستحيل أن يتجسد في طرف ثالث.

(4) بعض المعلومات

الثروة. بين «الأزجر»، يوجد عدد قليل جدًا من الأغنياء بين «الجواد» (النبلاء)؛ فالثروة تقريبًا في أيدي «الأمغاد»، وبعضهم ميسورو الحال.

«إخنوخن» استثناء، وهو يكاد يكون الوحيد من بين «الجواد» الذي يملك شيئًا. لديه قطعان كبيرة من الأغنام، و3 إبل على الأقل، كل منها يضم 150 جملًا، ومنازل في «غات»، وعدد كبير جدًا من العبيد.

لا يملك «وان غيداسن» و«مولاي» شيئًا يُذكر؛ أما «عنكروف»، فيتلقى من القوافل هدايا أو ضرائب: سودًا وأقمشةً وملابس؛ لكنه لا يملك شيئًا غير ذلك.

يملك وحده نحو 100 خيمة.

الوضع مشابه لدى «الأهقار»، حيث يمتلك عدد قليل جدًا من «الجواد» ممتلكات. تتركز ثروة المجموعة بشكل رئيسي في أيدي قبيلة «إيساكامارين»، وهي قبيلة مستعبدة. ويترتب على ذلك أن من استولوا على الأقنان أو «الأمغاد» سيخضعون أيضًا لـ «الجواد»، الذين يعتمدون جميعًا بشكل أو بآخر على مال «الأمغاد»، إما بالقوة أو بالإقناع.

التجارة والتبادلات - الأشياء التي تبدولي الأكثر طلبًا من قبل «التوارق» هي:

1. قطن أزرق غامق رخيص الثمن، أحد جانبيه يبدو كـ «الساتان».
2. القطن الأزرق (rouennerie) ذو خطوط بيضاء صغيرة جدًا، أو ذو مربعات زرقاء وبيضاء صغيرة جدًا (هذا هو القماش الشائع في مئزر الطهاة).
3. القندورات[1] أو العبايات المصنوعة من الصوف الأبيض، مثل تلك المصنوعة في «مزاب» وبين شعب «الشامبا».
4. قماش أحمر وأسود وأزرق، رقيق وسميك جدًا.
5. قطن أبيض، قميص، سميك قليلاً.
6. الشاشية الحمراء.[2]
7. مقصات صغيرة ومتوسطة الحجم.
8. التبغ المستخدم للتدخين والمضغ والتبغ الورقي؛ 9 «ثو».

يغطي «الأزجر» أنفسهم أحيانًا بـ «حولي/حوالي»[3] وهي عباءة كبيرة من الصوف الأبيض (وهي أيضًا سلعة مطلوبة بشدة)، يُزين طرفاها بخطوط متناوبة بين اللامعة وغير اللامعة. هذه «الحوالي»، التي تشبه إلى حد كبير «حولي» «بسكرة» و «الزاب»، وإن كانت مصنوعة من قماش أكثر إحكامًا، يتراوح طولها بين 3,50 و 4 أمتار وعرضها بين 1,80 و 2 متر تقريبًا. تُصنع في «قورارة»، ومنها تأتي إلى «عين صالح»؛ ومن هذه المدينة، تُنقل بواسطة «إساكامارين» إلى سوق «غات» حيث يشتريها «الأزجر». يبلغ سعرها بـ «غات» 11 «ميكتالًا» أو 29 فرنكًا و 70 سنتًا.

يزعم «التوارق» أن القطن الإنجليزي الذي يشترونه، وخاصةً «المالطي»، رديء

1-الغندورة (أو القندورة) هي في الأصل لباس واسع فضفاض طويل، يُشبه العباية أو الجلباب، وهي شائعة في شمال إفريقيا وأجزاء من الصحراء الكبرى..(المترجم).

2-غطاء الراس/الطاقية.

3-الحولي/العبا هي اللبس التقليدي في كل البلاد الليبية.

الجودة ولا يُدوم طويلًا؛ بينما يجدون قطننا الأزرق المذكور آنفًا، والذي حصلتُ على كوبونات منه، أفضل بكثير، ويفضلونه. وسيقبلون هذه الأقمشة بالتأكيد لو وُجدت أسواقٌ في بلادهم أو بالقرب منها.

للتوضيح أنني لا أدعي هنا أني أقوم بإحصاء، حتى لو كان غير كامل، للمواد التي يمكن تقديمها لـ «التوارق»، فأنا أقتصر على تسجيل ما سمعته ولا شيء أكثر.

العملات المعدنية.

تُباع عملات «الدورو» الفرنسية (فئة 5 فرنكات) بأسعار مرتفعة في «غات»، حيث يتراوح سعرها بين 5,40 و5,50 فرنك. أما عملة «البوثير»، أو تالر «ماريا تيريزا»، وهي العملة المتداولة في هذه المنطقة من الصحراء، فتشهد انخفاضًا في قيمتها، حيث لا تتجاوز قيمة «البوثير» الواحدة 4,50 إلى 4,60 فرنك. أما عملات «الدورو» الفرنسية ذات الحواف المخططة، فتفقد قيمتها، ويصعب قبولها.

العيرية.

نهب أفراد من«أولاد سليمان»، المتحالفين مع 3 فصائل من «توارق التبو»، آخر قافلة ملح تُسمى «العيرية» نهبًا كاملًا في «بلما». وأخذو كل شيء، من جمال وأحمال وغيرها (ومن المؤكد أن هذا الحدث هو ما أدى إلى نشر برقية في الصحافة الفرنسية خلال صيف عام 1894، تفيد بأن «التوارق الأهقار» نهبوا واحات «كوار»). وفي هذا العام، انتقامًا، انطلق «التوارق كلوي» و«كل غراس» وأهالي «دمرغو»، وهم عادةً من ينقلون «العيرية»، في قافلة ملح تضم 3000 حصان و50000 جمل وعددًا كبيرًا من الرجال، لمهاجمة مهاجمي العام السابق. لا داعي للقول إن هذه المعلومات، التي أنقلها كما وردت إليّ، تُبالغ بشكل كبير في أعداد الرجال والإبل والخيول؛ فالطريق الذي يجب قطعه وعر للغاية، وقليل المياه والنباتات، ولا يسمح بأي حال من الأحوال بمرور هذا العدد الكبير من الخيول. علاوة على ذلك، عندما يصل عدد الإبل، بجميع أنواعها، إلى 10000، يُعتبر الإبل قويًا جدًا.

المهاجمين. كما ذكرتُ سابقًا، لم يعد الجمع الكبير الذي نظمه «الأزجر»، وخاصةً «الأوراغين»، بعد، وليس لدينا عنه سوى أنباء مبهمة ،(ديسمبر1894). إنه لأمرٌ نادرٌ حقًا أن نسمع عن هجراتٍ جماعيةٍ لذكور قبيلةٍ بأكملها، تاركين وراءهم مسافاتٍ بعيدة. وهؤلاء الناس بالكاد يعيشون إلا على الحيوانات المأسورة، وإذا

كان الحصاد مثمرًا، فإنهم يُطيلون مدة الغزو إلى أجلٍ غير مسمى.

انضم «الأزجر» إلى عدد من «التبو» و«التوارق» في هذه الغارة. وينقسم هؤلاء إلى فصائل عديدة: 3 من هذه الفصائل تربطها علاقات جيدة بـ«الأزجر»، بينما يخوض الآخرون حربًا معهم. وبالمثل، هناك حالة حرب بين هذه الفصائل الثلاثة وجماعات «التبو».

وفي شهر نوفمبر من عام 1894، تقدمت قوة عسكرية مؤلفة من 70 رجلاً من «التبو» حتى «غات»؛ ودخلت قرية «تادرم» (ضاحية تبعد 800 متر عن «غات»)، وقتلت 3 رجال داخل المنازل، ثم سرقت حوالي 50 جملاً من قافلة كانت تخيم تحت أسوار المدينة، وغادرت بهدوء دون أن تظهر الحامية التركية أي شيء؛ ويبدو، علاوة على ذلك، أن هذه الحامية تتصرف دائماً بهذه الطريقة.

باختصار، غزاة «أهقار»، والغزاة القادمين من «عين صالح»، وغزاة «أزجر»، وغزاة «التبو»، إلخ، لا يوجدون إلا في الصحراء. وبغض النظر عن انتماءاتهم، يتمتع الغزاة الصحراويون دائمًا بنفس التنظيم؛ فالرجال الذين يؤلفونهم، سواء كانوا «توارق» أو «عربًا»، لديهم نفس العادات ويستخدمون نفس الحيل والأساليب. وإن طبيعة المهاجمين، وطريقة تجنيدهم وركوبهم، تمنحهم قدرة فائقة على الحركة وخفة لا تُضاهى، مما يسمح لهم، دون صعوبة، بالقيام بحركات كبيرة في ساعات قليلة جدًا.

في الواقع، لا يحمل البدو في «الغزو» سوى أسلحتهم وقربة أو قربتين من الماء، ودوابهم فقط؛ لا شيء يأكلونه في معظم الحالات؛ ويعتمدون على الحظ أو على الصيد، حتى لو لم يمنحهم هذا الصيد سوى «الجربوع» و«الجرذان» وحتى «السحالي الرملية الصغيرة». لا شيء صغير جدًا بالنسبة لهم، فهم يأكلون دون استثناء كل ما يجدونه، حتى الخضراوات. ويترتب على ذلك أنهم دائمًا على استعداد، إما للمضي قدمًا، أو في بعض الأحيان، للفرار. وفي هذه الظروف، وبدون قافلة، يمكن لافراد الغزوة قطع مسافة 70 أو 80 كيلومترًا في اليوم دون صعوبة؛ ويتحركون ليلًا ونهارًا، مع بعض فترات التوقف من وقت لآخر، كما هو الحال في كثير من الأحيان - فإنهم يتمكنون من التهام 120 إلى 140 كيلومترًا في غضون 24 ساعة؛ ويستغل «المهري» فترات الراحة - التي تحدث دائمًا عندما يكون ذلك ممكنًا في نقاط مغطاة بالنباتات لإكل كمية كافية من النباتات حتى

لا يضطروا إلى المعاناة من الجوع؛ ومن البديهي أن الحيوانات لا تسمن على هذا النظام الغذائي، لكنها تستطيع تحمّله لفترة طويلة، خاصةً إذا كانت في حالة جيدة من الدهون وقت المغادرة. بالإضافة إلى ذلك، وكإجراء احترازي، يحتفظ الأثرياء، الذين ينتمون إلى «الغزوة»، دائمًا بـ3 أو4 جياد إضافية ليحتفظوا دائمًا بـ«مهري» مستريحة وجاهزة.

البيانات السابقة تشرح بشكل وافٍ لماذا ينجح «الغزاة» دائمًا تقريبًا في مشاريعهم الجريئة: فهم ينقضون فجأة، وبأعداد كبيرة، على قوافل ثقيلة مع حراسة ضعيفة، أو على قطعان يحرسها عدد قليل من الرجال أو عدد قليل من «الزنوج».

وسوف يواصل المهاجمين، حتمًا وبسلام، مسيرة مغامراتهم ونجاحاتهم، وسوف ينجزون بسعادة، في أغلب الأحيان، الانقلابات التي أعدوها بعناية مسبقًا، أو يستولون على الفريسة التي تخدمهم الصدفة بمقابلتهم، طالما كانت هناك صحراء مستقلة لا تحكمها دولة منظمة بشكل جدي، وطالما كان هناك بدو في هذه الصحراء.

باختصار، البدوي هو الذي يخلق «الغزوات»، وهو، في ثلاثة أرباع الوقت، الذي يعاني منها.

أخبار متنوعة.

القوافل القليلة القادمة من الجنوب في «غات» مصابة حاليًا «بالجدري» ؛ ولذلك يُجبرون على التخييم بعيدًا عن المدينة. وفي إحدى هذه القوافل، توفي سائق قافلة بسببه في المخيم، وتوفي 3 آخرون على الطريق؛ ولم تُسجل أي حالات حتى الآن في المدينة نفسها.

مرزق.

يبدو أن هناك 8 أو10 سجناء إيطاليين لدى الحكومة التركية في «مرزق». وهؤلاء أفراد مدانون بجرائم مدنية ارتكبوها في «طرابلس»، وقد أرسلهم «باشا» المدينة إلى «مرزق» لقضاء عقوبتهم. قتل أحد هؤلاء الأوروبيين مؤخرًا عربيًا في «مرزق»، وكان قد حُكم عليه بالسجن المؤبد. جميعهم يتحدثون العربية باستثناء واحد وصل مؤخرًا.

لا أدري إن كان هذا يعتبر خطأ من جانب مخبري، وربما يكون هؤلاء الأوروبيون

هم «الشاميون» الذين أبلغ عنهم القائد «مونتييل» إلى «مرزق» أثناء زيارته لهذه المدينة: إلا أن «أغ يما» الذي تحدث إليهم يؤكد أنهم إيطاليون، وأنه أقام في «تونس» مدة طويلة ويعرف كيف يتعرف على اللغة الإيطالية.

مرزق في حالة ركود تام، ويشكو الجميع هناك من ركود التجارة، منذ غزو رباح لبورنو. من بين مئة تاجر من مرزق، غادروا إلى برنو قبل أكثر من عام، لم يعد أحد؛ بعضهم قُتل، والآخرون محتجزون قسراً في البلاد من قبل المغامر رباح أو أتباعه. من بين هؤلاء التجار من استطاعوا أن ينشروا أخبارهم، وقالوا إنهم لم يعودوا قادرين على العودة إلى الشمال.

هذا [الرباح] يُقلق التوارق كثيرًا، فهم لا يعرفون عنه شيئًا، ويُمطرونني بأسئلة عنه. من أين أتى؟ من هو؟ ماذا يريد أن يفعل؟ إلخ. يبدو أن غالبية قواته مُسلّحة ببنادق وينشستر! وعلى أي حال، منذ ظهوره في بورنو، لم تستقبل مرزق أي قوافل كبيرة قادمة من السودان، ومن هنا جاء اليأس والنحيب بين تجار هذه المدينة؛ «رباح نهب البلاد» هو خلاصة خطاباتهم.

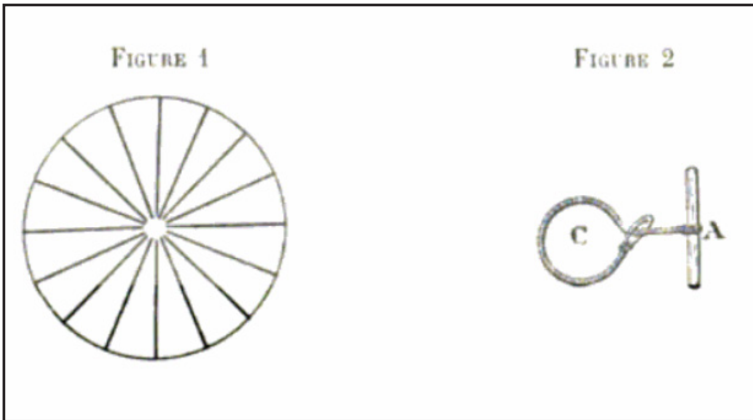
أشياء متنوعة.

ترتدي نساء الأزجر، مثل نساء الإسكامارين، أساور سودانية الصنع، مصنوعة من خرز أوروبي. هذه الأساور بحجم الخنصر، مصنوعة من الجلد المغطى، من الخارج فقط، بخرز صغير جدًا، أخضر باهت، أو أزرق باهت، أو أبيض؛ وهي مرتبة بشكل متماثل، بحيث تُمثل أشكالًا هندسية منتظمة.

وأما الرجال، غالباً، أو جميعهم تقريباً، يرتدون سواراً حجرياً فوق الكوع، وقد سبق وصفه مرات عديدة.

أداة غير معروفة، ومع ذلك يستخدمها ليس فقط جميع التوارق، بل جميع الصحراويين من توات إلى مرزق وما بعدهما، وهي فخٌّ مبتكرٌ للغاية مصممٌ لاصطياد الغزلان. يتكون من: -1 دائرة خشبية رفيعة، مزودة بأسلاك تشبه عجلات السيارات، ولكن بدون محور، مما يعني أن طرف الأسلاك، بالقرب من مركز الدائرة، يكون حرًا، كما هو موضح في الشكل 1 أدناه. يتراوح قطر الدائرة بين 8 و12 سنتيمترًا. فوق هذا الجسم، الذي يُوضع مسطحًا بدفعه برفق في الرمال أو في الأرض

بعد فكّ قطعة من الأرض، نُركّب حبلًا مسطحًا، يُدعى «ج»، ينتهي بحلقة



«أ» (الشكل 2)، يُحيط بقطعة خشب طولها 15 إلى 20 سم. يدفع الغزال ساقه بين الأسلاك التي تُمسك به فورًا (تجدر الإشارة إلى أن الحبل « ج» المفتوح على مصراعيه يُحيط بساقه في هذه اللحظة). يُحرّك الغزال المُحرج ساقه التي تمسك بها الأسلاك الصغيرة للتخلص من الشيء، ويُضيّق الحبل حتمًا؛ ثم يبدأ بالهرب بأقصى سرعة، فتكسر قطعة الخشب التي في نهاية الحبل ساقها؛ لا شيء أسهل من الإمساك بها.

تتميز جميع أدوات التوارق تقريبًا بكونها مزينة بزخارف أو منحوتة من الخشب، ويشمل ذلك الملاعق، وقمم أعمدة الخيام، وأواني حفظ الحليب والماء، والأقماع المستخدمة لملء القرب، وكذلك الأعمدة المخصصة لدعم الهودج على الجمال. وينطبق هذا الاهتمام بالزخرفة حتى على أدوات تحريك العصيدة البسيطة؛ وهي عبارة عن قطعة خشبية مستقيمة يتراوح طولها بين 40 و50 سنتيمترًا، يكون نصفها العلوي (الذي يُمسك باليد) مغطى بنقوش زخرفية. تُستخدم هذه الأداة لمزج السميد بالماء الساخن لضمان تجانس الخليط، وصولاً إلى مرحلة الطهي الكامل لهذا الحساء الكثيف الذي يسميه العرب «العصيدة»، وهو الطبق الأساسي في مطبخ التوارق.

إلى جانب هذا النوع من الحساء، الذي لا يُنصح به كثيرًا، لدى «التوارق» طريقة شواء تُنتج لحمًا لذيذًا. إليكم كيف يقومون بذلك: تُحفر الأرض أولًا لعمل تجويف يُشبه غطاءً كرويًا، يجب أن يتناسب حجمه مع حجم القطعة المراد طهيها. تُشعل

ناركبيرة نسبيًا في قاع التجويف بالكامل؛ وعندما يحترق الخشب ولا يتبقى سوى الجمر الساخن، توضع قطعة اللحم، سواءً لحم الضأن أو الغزال أو الظباء أو أي جزء من هذه الحيوانات، ببساطة فوقها؛ ثم تُغطى ببعض الجمر، ممزوجًا بالرمل أو التراب حسب طبيعة الأرض المتاحة (الرمل يُفضل بشدة). وتُشعل نار متوسطة فوق هذا، وتُترك لتنطفئ من تلقاء نفسها، وبعد 2 أو 3 ساعات يُنضج اللحم تمامًا ويصبح جاهزًا للأكل. اللحم ممتاز، وعندما تُؤكل القطعة وهي باردة تمامًا، تُصبح طبقًا مثاليًا تمامًا.

(5) في العرق "الإيسواني" وفي العرق الكبير. العودة

12 ديسمبر – «باخا» و«مختار» يواصلان مرافقتنا. «مختار» لا يملّ من التسوّل وطلب المزيد، فأدعه على حاله غير مبالٍ بتوسلاته.

نزلنا من الوادي الذي خيّمنا فيه، متجهين مباشرةً نحو «ساغين». في المنطقة أ، منطقة من وديان الحجر الرملي مثل رقم 127 مكرر، ممزوجة بحصى من الحجر الرملي الأسود رقم 126؛ ثم منطقة من الحجر الرملي مع عناصر مسطحة صغيرة، ممزوجة بالأرقام السابقة وصخور فتاتية من (العينة 132 - بعض الصخور الجيرية؛ حجر رملي ديفوني ذو آثار ميكانيكية؛ حجر رملي مع كرات مجوفة من الليمونيت بداخلها رمل).

في المنطقة (ب)، يضيق الوادي بين ضفتين، منخفضًا جدًا، وإن كان واضحًا جدًا، من الحجر الرملي في كتل كبيرة تتكون من طبقات أفقية رقيقة متعددة، يفصلها أحيانًا القليل من الطين وتتفكك بسهولة بالغة. (العينة رقم 133. حجر رملي انشطاري). لا يتجاوز ارتفاع تلال PP 25 إلى 30 مترًا. يبلغ ارتفاع تلال Q حوالي 40 مترًا، ويصل ارتفاع قممها الصغيرة إلى 50 مترًا. في المنطقة (ب)، ينمو سفح معزول من «الكورنكا». بعد المنطقة (ب)، توجد طبقة من الحجر الرملي الأسود Z، المذكور سابقًا؛ ثم طبقة من الصخور ذات اللون الأحمر البنفسجي المخطط، على شكل شظايا صغيرة. (العينة رقم 134. حديد أوليجيست).

في المنطقة ج، ما زلنا نسير على أرضٍ رمليةٍ متنوعة الألوان، حيث وجدنا عليها قطعةً من ساقٍ باليةٍ لنبات «بوتيريوكرينوس» (العينة رقم 135). لا يمكن أن تأتي هذه البقايا إلا من التلال المحيطة، حيث جلبتها المياه إلى السهل السفلي.

بين wad R والتلال Q، يوجد ما يكفي من الحجر الرملي على الجبس في غبار أبيض، بارز في أماكن صغيرة؛ ثم توجد تلال مكونة بالكامل من أحافير (العينة رقم 136 - حجر جيري سبيريفر). لا تظهر هذه التلال سوى قممها، التي تتجاوز الأرض بمتر أو 2 متر فقط. وهي أقل مباشرة من الصخور التي تشكل التلال Q، والتي ترتفع إلى شمالها، وقريبة جدًا. تتكون التلال Q من الحجر الرملي الأبيض والحجر الرملي الرمادي والحجر الرملي الوردي، وأحيانًا في شظايا كبيرة، وأحيانًا في ألواح سميكة إلى حد ما. (العينة رقم 137 - حجر رملي انشطاري). في D، يوجد ما يكفي من الحجر الرملي الأسود، رقم 126، والذي يتراكب على الحجر الرملي للتلال Q، ولكن في طبقة رقيقة من الحصى فقط. D هي منطقة «شابا» صعبة إلى حد ما.

في الجنوب، توجد تلال «غور» و«شاباس» متعددة. في الشرق، عند سفح تلال «غور» أو جنوب صغيرة، متراكبة عليها، تبرز قمم تلال مكونة بالكامل من صخور، أحيانًا كبيرة جدًا، مكونة من أحافير (العينة رقم 138: حجر جيري سبيريفر وحجر جيري «لوماشيلا» مع براشيوبود).

تتكون التلال S، والتي تراكبت كما قلت على الحفريات السابقة، من الحجر الرملي في الحصى الكبيرة أو الشظايا غير المنتظمة الكبيرة، أو أرباع الصخور التي تقترب من رقم 140 أدناه.

في T، تلال أو غور من الحجر الرملي الأحمر (العينة رقم 139. الحجر الرملي) مختلطة مع بعض الحجر الرملي الأبيض؛ تتبع هذه الغور غور «إيسويتار» وتشكل استمرارها نحو الشرق. في F، ريج من الحجر الرملي الأحمر قادم من صخور سلسلة T. في G، تلان صغيران غير مهمين في منتصف «الحمادة»؛ وهما مكونان من الحجر الرملي في شظايا كبيرة (العينة رقم 140. الحجر الرملي مع بعض الانطباعات الميكانيكية). في H، ريج مسطح من الحجر الرملي الأسود والحجر الرملي الرمادي الناعم، تليها هضاب متناثرة مع حطام الحجر الرملي المسطح والصغير، رمادي اللون بشكل عام، والتي ستتصل بالتلال التي تعمل كضفة شرقية لـ واد «تيخامالت»، والتي تتكون من الحفريات. (العينة رقم 141. الحجر الجيري في رينشونيل وفي برودكتوس مع بيليروفون.) في I، يصبح ريج ناعمًا جدًا؛ في J، ألواح كبيرة من الحجر الرملي الرمادي، رقيقة. في تلال K، التي تشكل ضفاف

وادي «تيخامالت»، المكون بالكامل من أحافير العينة رقم 141. نخيم في ذراع يمنى صغيرة من وادي «تيخامالت»، على قمة «عفارن أويشيخران»، وفي شرقها، عند النقطة التي يتسع فيها الوادي بشكل كبير.

في المساء دار حديث طويل مع «الترجي مختار». تكلّم قليلاً في كل المواضيع، ويمكن استخلاص ما يلي من كلامه: سأل: «هل ينوي الفرنسيون الاستيلاء على بلاد «التوارق»؟» فأجبته بالنفي، وأكدت له أننا لا نسعى للسيطرة على البلاد، بل هدفنا فقط حرية العبور الآمن والعبور بسلام.

تابع «مختار» قائلاً: ««التوات» لا تخضع لأي سلطة، هي بلاد الفوضى، ولا أحد يسيطر عليها حقًا. والوضع هناك مؤسف، فهي أرض اللصوص والمستلبين، كل من يسرق أو يقتل يلوذ بالفرار إلى «التوات». أنتم فقط، أيها الفرنسيون، قادرون على حكم هذه البلاد وقيادتها بشكل سليم. ويجب عليكم احتلالها لضمان الأمن والنظام. أؤكد لكم أن «التوارق» من «أهقار» و«أزجر» سيكونون ممتنين لكم لضمان سلام الصحراء؛ سيسعدون، وهذا مؤكد.»

أوضح «مختار» دور «الحاج المهدي ولد بجودة» قائلاً: «هو نفسه أول محرّض على الغزوات، وهو «القاطع الرئيسي في البلاد». وقيل إن المنطقة كانت تابعة لسلطان «فاز»، لكن هذا غير صحيح؛ فهو بعيد جدًا، ولا سلطة له هناك، ولا يمكنه ضمان الأمن وحكم البلاد بأمان إذا لزم الأمر. لذلك، من الضروري أن تشغلوها.

ثم أكمل: «أعلم أنكم في «تمبكتو». في يوم من الأيام، ستضطرون إلى الاستيلاء على جميع المدن في شمال غرب أفريقيا. والمسلمون هناك لا يعرفون كيفية إدارة الشرطة، ولا يعرفون كيفية الحكم، وهم يأكلون بعضهم بعضًا، وغير قادرين على توفير السلام والهدوء. لذلك، الأمر متروك لكم لتولي ذلك.

وأخيرًا، تساءل عن العلاقة بين فرنسا وسلطان «إسطنبول»، وأجبتُه بالإيجاب.

13 ديسمبر - غادرنا «مختار» و«بخا» هنا. توقف الأول في منزل صديق في وادي «ليزي»، ثم عاد إلى خيمته عبر «عين الحجاج»؛ وعاد الآخر إلى منزله، وتوقف أولاً في خيمة أخته الواقعة في «عفارة». ونسير في وادي «تخاملت»، بعد عبور منطقة صغيرة أ، من حصى الحجر الرملي المختلطة بحطام الصخور الأحفورية رقم

141، المحددة أعلاه. في ب، عبرنا واد فيضان، واسع جدًا، محاط من 2,50 إلى 3 أمتار، مع طبقة رملية ويحده «إيثيلس» و«طرفة»؛ ثم قطعنا عبر عرضه بالكامل معبر فيضان كبير في «تخامالين»، م، على حافته الغربية التي خيمنا عليها في يناير الماضي. هناك، تنمو بكثرة كتل من «الغزل» و«الدرين» و«المركبة» و«الحرطة»، إلخ، ولكن كل هذا جاف تمامًا في هذا الوقت. التربة، المُخَدَّدة بقنوات صغيرة مُتَعَرِّقَة، تتدفق عبرها مياه الفيضانات بعد الفيضان العام للسهل، رملية طينية، وقليلة التشقق بسبب رواسب الطبقة العليا. الطبقة B، المعروفة باسم وادي «تيليويت-ماتكول»، تُمثِّل منحنىً كبيرًا في الشرق، يُشكِّل حدَّ «المَعْدَر»، وعند النقطة B، تظهر أمامنا مرة أخرى؛ نعبرها هنا بصعوبة بسبب ضفافها شديدة الانحدار، المُحاطة بأدغال كثيفة من شجرتي «إثيل» و«طرفة».

بعد ذلك مباشرةً، ترتفع قاعدة «الحمادة» ج، وهي ضفة شديدة الانحدار من الحجر الرملي (العينة رقم 142 - حجر رملي من نوع «أورثوسيراس» ذو نقوش ميكانيكية). يتوّج هذه الضفة «حمادة» متموجة وصلبة، تُشرف على النهر من جهة الشرق بمسافة تتراوح بين 15 و20 مترًا. بينما كنا نتناول الغداء، ظهر عند سفح الجدار الصخري، رجل من قبيلة «التارجو»، برفقة كلبين، وكانت خيامه في الواد، غربنا قليلاً، وطلب منا الطعام.

حمادة ج صلبة عمومًا، وخاصةً على قمم التموجات التي تقطعها؛ حيث توجد أنواعٌ متنوعةٌ جدًا من الحجر الرملي هناك. (العينة رقم 143. منتج الحجر الرملي). تُقطع هذه الأحجار الرملية أحيانًا من أسطحٍ عاديةٍ مع عناصر صغيرة من الحجر الرملي المدلفن، وتتناثر عليها نتوءاتٌ من صخور الجبس في نقاطٍ قليلةٍ فقط.

أحيانًا تُرى ألواح رقيقة جدًا من الحجر الرملي الرمادي الفاتح، تأخذ شكل وردة نصف مفتوحة، يكون نصفها السفلي مدفونًا في الأرض، وتكون بتلات الوردة في حجر رملي رقيق جدًا. بعد D، تتكون «الحمادة» عمومًا من شظايا صغيرة مسطحة من الحجر الرملي الرمادي، ممزوجة بالعناصر السابقة. في P، السطح مغطى بألواح رقيقة من الحجر الرملي مع بعض النقوش. (العينة رقم 144).

حجر رملي بساميتي مع الانطباعات.

في شرق، نوع من ازدهار وادي تيخامالت، أو خليج طويل جدًا ذو مدخل ضيق، كما هو الحال في z بالنسبة لبقية المناطق؛ عند حدوث فيضانات قوية، تمتلئ

هذه الحلقات بالماء وتشكل ميشيرات . تربتها طينية عارية، رملية قليلاً. يُطلق على الوادي الواقع في شرق اسم أوريغيليت؛ mتربته طينية أيضًا في معظم سطحه، ولكن بالقرب من ملتقاه بالوادي، تمتلئ بقليل من الرمل الناعم المغطى ببعض النباتات.

هذا الخليج E، محدود ويهيمن عليه، من الجانب الشمالي، خط أول من التلال الصغيرة، FF، التي تتصل بالضفاف الشرقية لوادي» تخامالت»، والتي يبلغ ارتفاعها من خمسة إلى ستة أمتار فقط. تتكون تلال F من الحجر الرملي الفاتح اللون في طبقات أفقية رقيقة، متراكبة على الجبس الذي يبرز أحيانًا. يرتفع مستوى ثانٍ من التلال الصغيرة، F ‹F›، فوق تلال FF؛ وهي تتراوح من ثمانية إلى عشرة أمتار وتتكون من الحجر الرملي البني الصلب جدًا، وأحيانًا تكون مختلطة بحصى الحجر الرملي الكبيرة المدلفنة. في وسط هذه الأحجار الرملية، عند النقطة G، نجد بعض المواقع الصغيرة جدًا حيث نجمع، بكميات صغيرة، الحطام المصقول من صخور (العينة رقم 145. الحجر الجيري السيليسي).

يمتد حمادة الخامس حتى حافة النهر حيث ينتهي هنا على الأقل - على منحدر شديد الانحدار. يتكون فقط من الحجر الرملي بأنواعه المختلفة، على شكل ألواح أو صخور أو شظايا كبيرة جدًا؛ وأحيانًا تتكون هذه الصخور من كرات ملتصقة، متوسطة الحجم، سوداء أو بنية. أما الحجر الرملي البني الخشن فهو الغالب.

في الجزء H، في وسط الحجر الرملي، أجمع بعض المطبوعات بحالة سيئة وتزجيج أبيض. (العينة رقم 146. حجر رملي، ربما يحتوي على سيليكا أو عقيق أبيض).

باختصار، كان مسارنا اليوم بالكامل على طول الحمادة على الضفة اليمنى لوادي تخامالت، مع البقاء بالقرب من هذا النهر. ورغم صلابة صخور هذه التربة، كان من الأفضل لنا السير على الحمادة بدلًا من شق طريقنا عبر نهري إثيلس وطرفة، وعبر سيول عديدة في الوادي العام مرارًا وتكرارًا.

نحن نُخيّم في وادي تيخامالت نفسه، على بُعد حوالي 2500 متر من مخيمنا الذي أقمناه في يناير 1894، بالقرب من ساغن. نحن على بُعد 100 متر من البئر المُسمّى حاسي أدجيجر أو أدجيجر. يقع هذا الأخير في منتصف النهر، ولكن ليس في أحد التيارات المُعتادة (سيول) التي تتبعها الفيضانات وتملأها. بالقرب من البئر،

يوجد تلٌّ مرتفعٌ جدًا مُتوّج ببعض صخور إيثيل. يمرّ أقرب تيار إلى جنوب البئر، ويتكوّن قاعه الجاف من رمل ناعم، وقليل من الشستوز، وممزوج ببقع من الطين والحجر الرملي الناعم. (العينة رقم 147 - رمل مع شظايا من الشست). يوجد في القاع، بالإضافة إلى صخور إيثيلزوالطرفة، كمية من صخور الدرين، وإلى الشرق قليلاً منّا، كتلٌ من صخور الغزل.

تُبنى الزرايب، التابعة للأزجر أو الإيفوغاس، في كل مكان تقريبًا وسط الواد، في محيطنا؛ وأكثرها عددًا في أمغاد الأزجر، ومعظمها فارغ، إما لغياب أصحابها أو سكنهم مؤقتًا في مكان آخر. وتبعًا لعادة التوارق الدائمة، يترك أصحابها في هذه الزرايب كمية من الأشياء والأواني المتنوعة التي يجدونها لاحقًا.

في المساء، رأينا رجلاً تارقياً من قبيلة إيفوغاس يصل إلى المخيم، برفقة رجل أسود يتقن العربية ويجيد لغة شمبا ورقلة. كان هذا الرجل، واسمه توتة، قد زارورقلة وحتى الأغواط. كان حينها برفقة تارقي آخر، عبد الحكيم، وكلاهما جاءا للبحث عن العقيد فلاترز، الذي كانا سيرافقانه خلال الجزء الأول من رحلته الثانية. كان رجلاً يتمتع بأخلاق كريمة ولهجة ودودة؛ ويحدثنا عن عبد النبي ووان تيتي، إلخ. بعد أن تناول العشاء مع رجالي، عاد إلى زريبته القريبة للانضمام إلى قومه. زريبته هي الوحيدة المشغولة في تلك اللحظة.

14 ديسمبر. علينا انتظار ممثلي الأزدجر هنا، ووعدتُ إخنوخن بالبقاء أربعًا وعشرين ساعةً عند هذه البئر في حال كان لديه أي اتصالٍ معي.

كانت الليلة شديدة البرودة، وانخفضت درجة الحرارة إلى ما يقارب أربع درجات تحت الصفر. جمالنا فقيرة الطعام، لقلة النباتات الخضراء خارج نهر درين، وطبيعة بلاد التوارق قاسية ووعرة، وحيواناتي لا تهتم بها كثيرًا.

عاد توتة إلينا صباحًا، وأخبرنا أنه كان في رحلة صيد لبضعة أيام في العرق قرب تاجنتورت؛ وكانت كثبانها الرملية مليئة بالجراد الذي يلتهم كل شيء؛ وُلِدَت هذه الجنادب هناك، وهي بنات من رأيتهم في يناير الماضي، وهم يصلون إلى هنا في أسراب كبيرة من الجنوب الشرقي. توتة، الذي يتبعه اليوم جميع أفراد أسرته: زوجته وأطفاله وامرأة سوداء، إلخ، يتحدث مع رجالي بينما كانوا يسقون جمال القافلة، وهم املأ البراميل. أحضر لي أعمدة خيام منحوتة بشكل بدائي نوعًا ما، ودفعت له ثمنها بسخاء، وأضفت مرايا تصدير لزوجته وأطفاله. وزعتها بسخاء

أكبر لأن هذا التارغي - وهو أمرٌ مثيرٌ للدهشة - ليس متسولًا.

في فترة ما بعد الظهر، انضم إلينا ممثلا «أزجر»، «محمد أغ يما» و«محمد بن عبد الملك»، وجلبا لنا بعض الأخبار: يبدو أن نحو عشرة رجال قد انفصلوا عن مهاجمي «أهقار» وعادوا إلى ديارهم، بينما توجّه رجال آخرون من نفس المجموعة إلى «غدامس»، حيث تم إيواؤهم وإطعامهم من قبل سكان المدينة. كما قام مهاجمون، يتكونون من ستة مهاري فقط، وأصلهم غير معروف، لكن يُفترض أنهم مكلفون من قبل أشخاص من «توات»، باختطاف جمال في جنوب «تيماسانين». هذه الجمال كانت قد ضلت طريقها، وكانت في الغالب جزءًا من الحيوانات القليلة المتبقية لدى «عبد النبي».

مرّ «عبد الرحمن بن دعاء»، وهو أحد معارفي القدامى، هنا خلال الأيام القليلة الماضية في طريقه إلى خيامه في «وادي ليزي» أو «وادي تيجودجلت»، وكان برفقته اثنان من أهل «سوف» في «الجزائر»، كانا على جمال محملة بالبضائع.

في الليل، توقف في المخيم رجل من قبيلة الإمام غاساتن، يُدعى أحمد بن جبور، سبق لي أن التقيت به في وادي إن أرامس في رحلة سابقة. زرايبه موجودون هنا، مع زرايب توتة؛ لكنه كان في مخيمات أخرى، وعاد بناءً على نصيحة توتة، ليبيع لقائد حرسنا جملًا صغيرًا رأيناه قرب البئر. ولا يمكن إتمام الصفقة لأن بن جبور يطلب ثمنًا باهظًا لحيوانه. وهذا هو الحال دائمًا بين التوارق، الذين لا يخشون طلب ضعف أو ثلاثة أضعاف قيمة أي شيء؛ وهم بطيئون للغاية في خفض أسعارهم إلى مبلغ مناسب، حتى فيما بينهم. وللحفاظ على أسعار الباقي، اعتادوا، في مجموعة من الخيام، تعيين رجل لديه سلطة البيع للجميع؛ وهو وحده من يتناقش مع التجار الأجانب. هكذا كانت الأمور دائمًا بين الأهقار، وخاصةً بين الإساكماران، وعندما ذهب شخصٌ يُدعى شامبا، المعروف لدى الجميع كتجار، إلى بلاد التوارق لشراء الحمير والإبل. وقد توقفت هذه الحركة اليوم بعد اغتيال الأخوين ماعت الله، اللذين أرسلهما شامبا ورقلة إلى ميعاد طلبًا للسلام، على يد أولاد مسعود. قُتل الرجلان غدرًا، ومنذ ذلك الحين انقطعت العلاقات، باستثناء الأزجر الذين ظلوا دائمًا، منذ عهد المهاجمين الكبار، على علاقة طيبة مع جماعة شامبا ورقلة.

لقد تم الآن نسيان قضية حفرة شاوش، وقضية تارات، التي كانت في الواقع

مجرد انتقام للقضية السابقة، وعلاوة على ذلك، فقد تم دفع الدم بالدم، وأصبح الشعبان بريئين.

15 ديسمبر - نغادر بعد أن ملأنا خزان المياه وسقينا الجمال قليلاً. والطريق أمامنا طويل قبل أن نصل إلى نقطة سقاية، وعلينا اتخاذ الاحتياطات اللازمة. من هنا، سأقود تقدم المهمة بمفردي تمامًا وباستخدام البوصلة.

يُشكل نهر تيخامالت، عند ارتفاعنا، فتحة شرقية واسعة جدًا، نعبرها بشكل قطري وبصعوبة، سواء بسبب النباتات أو بسبب الفروع الصغيرة العديدة التي حفرتها مياه الفيضانات في الوادي؛ ولم نصل إلى سيوف الحدود التي خيّمنا عليها في يناير/كانون الثاني عام 1894 إلا بعد 2500 متر من السير، في نهري درين وإيثيل. بعد ذلك مباشرة، نسير على حمادة ب، مغطاة بطبقة من الحجر الرملي البني تتكون في الغالب من حصى بنية أو حطام صخري صغير (العينة رقم 148 - الحجر الرملي).

ثم ندخل حلقة «د» من الوادي، التي لا تزال هنا مُربكة للغاية - تحدها من الشرق تلال صغيرة «ج» في صخور (العينة رقم 149 - حجر رملي حديدي مع ذراعيات الأرجل، وسبيريفر، إلخ). يتميز قاع الوادي «د» بتربة طينية حيث لا تزال آثار الفيضانات القديمة ظاهرة. تنمو هنا بعض أشجار الطرفاء والغسال، لكن كل هذا جاف كالحطب؛ فقط أشجار الوادي الرئيسي، الممتد غربًا، تبقى خضراء بعض الشيء. يحد هذا الوادي الرئيسي من الغرب خط من الكثبان الرملية الصغيرة.

تحتوي التلال «ج»، بالإضافة إلى صخور العينة 149، على أحجار رملية بيضاء وودية مُرتبة في طبقات رقيقة. في التلال «هـ»، تتبع جزيرة كبيرة من الحجر الرملي شديد الصلابة جزيرة صغيرة أخرى من نفس النوع. في وسط هذه الأحجار الرملية، يوجد حجر رملي مُكوّن من صفائح رقيقة جدًا تُشكّل وردة نصف مفتوحة، كما ذكرتُ سابقًا.

في سهل F، يتكون من حجر رملي خشن من أنواع مختلفة، على شكل ألواح كبيرة، مما يجعل المشي صعبًا للغاية. (العينة رقم 150. حجر رملي مع شظايا من ثلاثيات الفصوص من جنس الدلمانيت والدولوميت. حجر رملي حديدي. حجر رملي مخطط. حجر رملي أسطواني ذو سيقان نباتية مصبوبة).

ثم نعبر واديًا، يتبعه سهل G، شديد الصلابة، مغطى بألواح كبيرة من (العينة رقم 151. حجر جيري حبيبي). في H، وبعد عبور وادي تيموزوغين، الذي تهيمن عليه الحمادة بحوالي 25 مترًا، نجد حجرًا رمليًا أحمر نبيذيًا على حجر رملي أبيض متراكبًا في طبقات رقيقة صغيرة. من وقت لآخر يخترق الحجر الرملي الأبيض أسفله طبقة الحجر الرملي الأحمر النبيذي المتراكبة. توجد لهذه الأحجار الرملية أسطح مختلطة من ريج ناعم يتكون من العنصرين أعلاه، ولكن تضاف إليها صخور رقم 151 وسيقان بوتيريوكرينوس البالية، بالإضافة إلى حطام بوليبيرس. (العينة رقم 152. حجر بوليبيرس الجيري). في I، منحدرات صغيرة جديدة بطول 25 مترًا والتي تقودنا إلى حمادة؛ تتكون هذه المنحدرات، أو سلسلة التلال الحافة، من الصخور 151، ممزوجة بشظايا من الحجر الرملي الأحمر والأبيض. بالإضافة إلى ذلك، بعض شظايا من البوليبات، وبقايا الحجر الرملي البني، وبلورات الكالسيت. في J، صخور شديدة الصلابة، على شكل ألواح رمادية كبيرة، ممزوجة ببقايا بنية. (العينتان 153 و153 مكرر . أحجار جيرية حديدية؛ أحجار جيرية من أورثيس).

بعد السهل J، الذي يصبح تدريجيًا reg، نمر عند سفح التلال K، المكونة من صخور تحتوي على أحافير متنوعة: بوليبيرس، بوتيريوكرينوس، إلخ. (العينة رقم 154: حجر جيري مع بوليبيرس، سبيريفر، بوتيريوكرينوس، وتشونيتيس). في L، سهل مع ألواح كبيرة من الحجر الجيري مع أحافير. (العينة رقم 155: حجر جيري مع بوليبيرس، أورثيس، إلخ). في Z، منخفض كبير تحده تلال متعرجة من الصخور 155. في N، reg من الحجر الرملي البني الذي يستمر في W، على التلال، وهو مختلط ببضع شظايا من بلورات الكالسيت والصخور البيضاء المقابلة. (العينة رقم 156: حجر جيري متكتلي مدمج).

لقد خيّمنا في وادٍ صغير في الحمادة، حيث لم يكن هناك، كما هو الحال في جميع المناطق المحيطة، أي طعام للإبل؛ وكنا سنضطر إلى عدم طهي أي شيء للعشاء لو لم أقم هذا الصباح - كإجراء احترازي ولأنني أعرف المنطقة - بتحميل الحيوانات بالحطب وهي فارغة.

نرى أنه من اليوم فصاعدًا، يميل الحجر الرملي إلى الاختلاط بالحجر الجيري والجبس. بدأت كثبان العرق الجنوبي بالظهور في الأفق أمامنا، وهي قريبة جدًا من الغرب. والحمادة هنا أوسع - أو على الأقل يتقدم العرق جنوبًا بشكل سلاسل

معزولـة أقل مما كان عليه في طريقنا في يناير الماضي، حيث نحن شرقه. كما أن السـهل، على هـذا الجانـب، كان أكثر صعوبـة على أقـدام الإبل؛ آمل أن نكون قـد انتهينـا مـن التضاريس الوعـرة غـدًا.

إن صخـور Poteriocrinus في هذه المنطقـة لها، كما افترضت وأشرت في العام الماضي، اتجـاه قريـب مـن الشـمال الغربي والجنـوب الشرقي، والعينـات التي تم جمعهـا اليـوم تـؤكـد فقـط تقييماتي السـابقة.

يتبعنا اثنان من التوارق بضمير حي، لكنهما متجمدان، لأن الليالي، وحتى الأيام، كانت باردة لمدة يومين.

16 ديسـمبر.نتقدم نحـو حمـادة اليـوم السـابق، التي لا تتغير طبيعتها؛ فهي لا تزال عبارة عن حصى من الحجر الرملي البني، بدون نباتات، وتشكل سهلًا متموجًا واسـعًا.

في ب، جُمعت عينة (عددها كبير جدًا) تبدو وكأنها أحفورة. (العينة رقم 157. حجر رملي بطبعة صليبية، ربما عضوية). بعد قليل، تظهر بعض الحطام المصقول من صخور الحجر الجيري متناثرة، وبأعداد قليلة جدًا، على الحمادة. (العينة رقم 158. صخور الحجر الجيري). في ج، نمر بالقرب الشـديد وإلى الشرق من منخفض أو حـوض كبير يبدو أنه حـوض مغلق؛ على أي حـال، إذا كان به تدفق، فلا بد أن يكون في الغـرب والجنـوب الغربي بعيـدًا عـن أنظارنـا. يتميز هـذا الحـوض بأرضيـة حجر رملي خشـنة للغاية من الأبيض المصفر، وتلال شـديدة الوعـورة ترتفع على سـطحه المسـطح، وكذلك ضفافه، من نفس الطبيعة. هذا التقسـيم الطبقي هو الـذي يدعـم في النهاية الحمـادة الرمليـة البنيـة التي نعبرهـا، والتي تبرز أحيانًـا في الصخـور الخشـنة المكسـورة في الوديـان الصغيرة للهضبـة.

في د ننزل من الحمـادة، في قـاع وادي السـكيف، بضفـة يبلـغ ارتفاعهـا حوالي عشرين متراً Z Z. الصخـور التي تتكون منها هي دائماً نفس الحجـر الرملي الأبيـض المصفر الخشـن جـداً.

هنـا تأتي ملاحظـة جغرافيـة بالغـة الأهميـة لـم يُبلّـغ عنهـا بعـد، حتى مـن قِبـل دوفيرييـه. أشـار هـذا الأخير إلى وادي السـكيفاف على أنـه منخفـض بسـيط، عبره، لكن دون تحديد أصله أو نهايته؛ والآن، يُعدّ منخفض السكيفاف واديًا، بل واديًا كبيرًا؛ وهـو امتـداد لـوادي طراط، القـادم من مرتفعـات طاسـيلي، ويمتـد أولًا نحـو

الشمال، ثم ينحني نحو الشمال الغربي، متبعًا السفح الجنوبي لكتلة إغيلي، ويستمر عبر عرق إيساوان ليتدفق في مكان ما في نقطة لم تُكتشف بعد، أي في وادي إيساوان، وهو في الواقع أقل أهمية بكثير من نفسه.

إما في وادي إيغرغار مباشرة، أو ربما في دجوا، في شرق تيماسانين، عند مصب مسدود اليوم إلى حد ما بالرمال.

على أي حال، وادي السكيفاف، عند نقطة عبوري له، واسع جدًا؛ ضفافه مرتفعة وواضحة المعالم، ولا يقل طول قاعه عن خمسة كيلومترات. شرقًا، تنتشر في هذا الوادي سيوف صغيرة حديثة التكوين، تمتد على الوادي الصغير الذي يُشكل قاع الوادي؛ وهذا الوادي مغطى بأصداف نهرية. (العينة رقم 109. كوربيكولا فلوميناليس).

تتكون الضفاف الشمالية، في المنطقة (ف)، من نفس الحجر الرملي الموجود على الضفاف المقابلة، لكنني جمعت كمية كبيرة من بقايا النباتات هناك. (العينة رقم 160. نبات حرشفي، إلخ. حجر رملي من نبات حرشفي). تقع هذه البقايا النباتية تقريبًا على نفس خط العرض الذي جمعته العام الماضي، شرقًا قليلاً، ولكن على ضفاف وحواف نهر السكيف نفسه.

ومن الواضح أننا نتعامل هنا مع نفس الشريط من الأرض المتصلة والثابتة.

السهل G، الذي يلي الضفتين F مباشرةً، والذي يتراكب عليهما مباشرةً، يتكون بالكامل من صخور الحجر الجيري Productus. (العينة رقم 161. حجر جيري مع Productus و Spirifer كبير بالقرب من S. Aperturatus؛ Chonetes، إلخ.) هنا، من الواضح أنه الاستمرار الشرقي لشريط نفس الحجر الجيري الكربوني الذي صادفته العام الماضي، ويتجه هذا الشريط تقريبًا نحو الشمال الغربي والجنوب الشرقي، كما هو الحال مع أحجار Poteriocrinus الجيرية التي تم الإبلاغ عنها أمس، مع تداخل من الحجر الرملي Lepidodendron بين الحجرين الجيريين.

على الحافة الشمالية الغربية لسهل G يوجد هذا الحجر الجيري في طبقات رقيقة مضطربة قليلاً، متراكبة على غبار الجبس المختلط بالرمل.

السهل الأول هو أيضًا من نفس الحجر الجيري رقم 161، وهذه الصخرة تظهر بشكل متكرر في أحواض سلسلة الكثبان الرملية H، التي غطت رمالها هذا الذي يبدو أن تراكمه حديث نسبيًا

جمعت في سلسلة جبال H بعض أحجار الصوان المكسورة وقطعة من الفخار. هنا ندخل منطقة سلاسل الكثبان الرملية التي يفصل بينها غاسيس ونخيم تقريبًا على قمة إحدى هذه السلاسل. نجد هناك القليل جدًا من عشبة الحد والدرين والإهبيل. هذا العشب الأخيروفيرولكن الإبل لا تأكله، على الرغم من أنها لم تأكل أي شيء على الإطلاق منذ أول أمس. لم نصل بعد إلى منطقة النباتات الرائعة في هذا العرق، وما زلنا قريبين جدًا من الحمادة وبالكاد يمكننا أن نتوقع الوصول إلى المراعي حتى بعد ظهر الغد؛ كما تشير إلينا آثار الظباء النشطة التي نلاحظها حولنا؛ ولا تبتعد هذه الحيوانات أبدًا عن النباتات الخضراء.

ابتداءً من الساعة الرابعة فصاعدًا، يصبح الطقس غائمًا باتجاه الجنوب، وتظهر ومضات كبيرة من البرق عبر السحب، مما يجعل أي ملاحظة مستحيلة اليوم.

17 ديسمبر- لا يوجد هنا ما يرضي الحيوانات، أويكاد، لذا انطلقنا رغم الطقس العاصف والممطر. بعد عبور السلسلة الجبلية التي كنا نخيم فيها، والتي ترتفع إلى 80 أو 100 متر، مشينا على طول الوادي A الذي يُشكل عند النقطة P منخفضًا هائلًا، والذي يبدو لي أنه مجرى نهر واسع يمر عبر السد T، ومن المرجح جدًا أنه يتبع واديي Tarakkate وManzohate اللذين ينبعان من الشرق في سلسلة جبال Eguélé.

تتكون تربة هذا الغازي وتلال SS، أو ضفاف الحدود الشمالية والجنوبية، من الحجر الجيري الرمادي الذي يحتوي على كميات فقط من الأحافير. (العينة رقم 162 - سيقان بوتيريوكرينوس. بطنيات القدم. بوليباري قريبة من سياثوفيلوم، شظايا من إيومفالوس. - كاربو نيفر). من الواضح أنها استمرار لشريط هذه التضاريس نفسه، الذي رُصد العام الماضي في شمال غربنا، والذي عُثر عليه مختلطًا بالحجر الجيري في برودكتوس. هنا وهناك على هذا الحجر الجيري، تتراكب طبقة رقيقة من الحجر الرملي البني ريج في حصى مصقولة، وخاصة على قمة التلال، في ب. هناك، يظهر ريج وحده، ولكنه بالتأكيد مدعوم بالحجر الجيري 162 المذكور أعلاه والذي تبرز ألواحه في بعض النقاط.

بعد النقطة «ب»، ننزل المنحدر الشمالي لهذه التلال. هنا، تبدو التضاريس غامضة بعض الشيء، ولكن مع ذلك، يُحتمل أن تكون هذه ضفاف وادي جديد،

أو بالأحرى فرع صغير من النهر المجاور «أ»، والذي سيلتحق به بعد قليل؛ علاوة على ذلك، الأرض مغطاة بأصداف نهرية (العينة رقم 163. كوربيكولا فلومينياليس). يُحدث هذا الوادي هديرًا عنيفًا ويثير الرمال ويمنع الحكم السليم. على أي حال، من المرجح جدًا أن يكون الوادي «z» إما واديًا جديدًا أو فرعًا زائفًا للنهر «A». لا بد - إن لم أكن مخطئًا - من وجود تطابق بين هذا النهر والمنخفض «G» في 29 يناير 1894، وهذا المنخفض الأخير ليس سوى استمرار للوادي نفسه. ما يُرجّح قبول هذه الفرضية هو أن السلسلة المتصلة والمحددة بوضوح، «نتن»، والتي تُشكل الضفة الجنوبية للنهر «غاسي» أو النهر «A»، تمتد بعيدًا باتجاه الشمال الغربي، ويبدو أنها تُشير بالتأكيد إلى حافة وادي.

في C، نفس كمية الحجر الرملي البني، في الحصى، ولكن مخلوط مع القليل من الرمل، وبعض الحصى الكوارتز الصغيرة المدلفنة، والتي تظهر لأول مرة هنا.

بعد عبور الكثبان الرملية وصلنا إلى غاسي د، مع تربة من النبكة والريج الناعم، مغطاة بأصداف نهرية (العينة رقم 163. كوربيكولا فلومينياليس) وبعض الحطام من الحجر الجيري رقم 162 أعلاه. هل هذا فرع آخر من النهر؟ الفرضية ليست سخيفة لأن هذا الغاسي يتدفق غربًا إلى الواد أ، والذي يفصله عنه إلى الجنوب فقط الكثبان الرملية غير المهمة التي عبرناها للتو. على الحافة الشمالية للغاسي د، عند سفح المنحدرات الأولى لسلسلة الكثبان الرملية ر، جمعنا بعض شظايا الحجر الرملي في كرات ملتصقة وحجر رملي مختلف (العينة رقم 164 حجر بودينغ مع عناصر صغيرة، أو حجر رملي خشن)؛ لكن هذه الصخرة لا تظهر هنا وربما تم نقل هذه الشظايا، ما لم تكن الكثبان الرملية قد غطت تكوين الحجر الرملي هذا في هذا المكان، وهو أمر يبدو مستبعدًا جدًا بالنسبة لي. في نفس النقطة وجدت قطعة عظم وحطام فخار.

في المنطقة الشرقية، توجد غازات من الحجر الرملي البني من النوع «ريج» تتخللها بعض نتوءات من الحجر الجيري رقم 162، والتي تُشكل بالكامل ضفاف المنطقة «GG»، وهي منخفض كبير يبلغ عمقه حوالي عشرة أمتار، وتحيط به الكثبان الرملية. الجزء «و» من هذه المنخفضات الطينية مصنوع من الحجر الرملي البني الناعم من النوع «ريج»، ممزوجًا ببعض شظايا صخر جديد، وجدتُ منه أيضًا حطامًا صغيرًا مع أحجار «بوتيريوكرينوس» الجيرية (العينة رقم 165).

مشابه للرقم 176، على الأرجح في سيربولس).

الحجر الجيري،

نحن نخيم في وقت مبكر جدًا لأن النطاق الذي دخلناه للتو (المحطة أ) يحتوي على كمية كبيرة إلى حد ما من خصلات شعر الهد، ويجب منح جمالي الجائعة الوقت للاستفادة من هذه الفرصة حتى تتمكن من التعافي من صيامها لمدة ثلاثة أيام.

طوال اليوم، هبت رياح جنوبية شرقية عنيفة للغاية، رفعت الرمال، وأعمتنا، وأبعدت أي عقبة قد تكون أمامنا، وبالتالي دفعتنا إلى مسافة كبيرة.

الاتجاه المحتمل لحزام الحجر الجيري بوتيريوكرينوس هو غرب 35 درجة شمالاً، شرق 35 درجة جنوباً أو شمال غرب ربع غرب، جنوب شرق ربع شرق.

18 ديسمبر - المغادرة مع قليل من المطر. هبطنا أولاً على طريق غاسي أ، بالقرب من الجنوب الغربي. تربة هذا الطريق من الحجر الرملي البني العادي، المكوّن من حصى مدحرجة، ممزوجة بكمية كبيرة من الرمل. تظهر هنا وهناك نتوءات من الحجر الرملي الخشن ذي اللون الأحمر الباهت، والذي يتفتت بسهولة. توجد بعض حصى الكوارتز، ولكن بأعداد قليلة. التربة العادية رقيقة جدًا، و(باستثناء صخور الحجر الرملي البارزة) متراكبة على الحجر الجيري رقم 162، لأننا نجد هنا وهناك حطامًا ونتوءات قليلة جدًا من هذه الصخرة الأخيرة؛ حتى أنني جمعتُ شظايا متآكلة جدًا من سيقان نبات بوتيريوكرينوس (العينة رقم 106 - جزء من سيقان نبات بوتيريوكرينوس).

في الحوض BB، وسط سلسلة من الكثبان الرملية التي ترتفع قممها الرئيسية بين 120 و150 مترًا، توجد أحواض مغلقة ذات تربة جيرية رمادية اللون في حطام (العينة رقم 167 - أحجار جيرية متنوعة في صفائح صغيرة). يتكون الحوض C من نفس الحجر الجيري 167، ولكننا نلاحظ أيضًا وجود تلال صغيرة من الترافرتين (العينة رقم 168. حجر جيري ترافرتيني، حديثة). يظهر أيضًا الجبس، مختلطًا بعناصر أخرى.

في غاسي د، نفس الحجر الجيري رقم 167، لكن الترافرتين لم يعد موجودًا؛ نتبع، في هذا غاسي، منخفضًا Q، على شكل حشوة؛ هناك يدعم الحجر الجيري 167 طبقة من غبار الجبس الأبيض والأخضر والأسود، وهو غبار يغرق فيه المرء

كثيرًا ويرتفع في كتل سميكة تحت مسيرة القافلة.

وتنتشر على أرضها الأصداف النهرية (العينة رقم 171، Melania tuberculata)، وكذلك على أرض المنخفض الشرقي، الذي يقع على مسافة أبعد قليلاً؛ وكذلك كثبان السلاسل R وS.

هنا وهناك، وسط جبس الاكتئاب Q، تبرز الصخور. حجر رملي خشن رمادي اللون مع طبقات عمودية ورقيقة للغاية.

في المنطقة F، توجد غازات مغلقة من صخور ريج البني، تنتهي غربًا بانخفاض E، وهو امتداد للمنطقة Q فقط؛ ولكن بين القسمين ترتفع سلسلة عالية جدًا من الكثبان الرملية R. في المنطقة E، نجد بقايا من الحجر الجيري رقم 167 ممزوجة بحصى من الحجر الرملي البني والأحمر؛ كما نجمع أحجارًا رملية خضراء ونوعًا من التكتلات الحمراء والبيضاء (العينة رقم 169 - صخور مقسمة للدراسة؛ أحجار رملية مخضرة). وأخيرًا، توجد أيضًا صخور مكونة فقط من أحافير (العينة رقم 170. حجر جيري لوماشيلا؛ حجر جيري مع بطنيات قدم عديمة الرأس وبيلروفون (تضاريس أولية). حجر جيري مع بيلروفون ومورشيسونيا، إلخ). على أرضية هذا المنخفض توجد ورشة عمل ما قبل التاريخ أجمع فيها أدوات الصوان وأحجار الرحى من الحجر الرملي الأبيض والمدقات، إلخ.

في منطقة GG، توجد غاسيس صغيرة، أو أحواض مغلقة، محصورة بين سلسلتي R وS. ندخل هنا إلى منطقة مشابهة، بل قريبة من تلك التي مررنا بها في 28 يناير 1894. تتسع السلاسل، وهذا هو العرق نفسه. لم يعد للسلاسل اتجاه واضح؛ إنها كتلة رملية متراصة، تتخللها أحواض أو غاسيس مغلقة؛ تلين المنحدرات وتطول، باستثناء الجانب الشمالي الغربي.

يظهر الكوارتز المتساقط بشكل متزايد في الأحواض؛ وتستعيد النباتات كثافتها، على الرغم من أنها ممثلة حصريًا بواسطة نباتين: هاد ودرين.

بعد عبور كتلة الكثبان الرملية الجنوبية بأكملها، نعبر غاسي 1 الكبير المغلق، الذي تتكون تربته من الكوارتز المدلفن، في عناصر صغيرة مغمورة بكثافة في الرمال. يظهر في هذا الغاسي بروزوحيد من الحجر الجيري بوتيريوكرينوس.

خيّمنا على الحافة الشمالية لهذه المنطقة. كان الطقس مُهدّدًا طوال اليوم، ثم تحسّن في المساء، وبدأ الجوّ يبرد.

19 ديسمبر - بعد عبور السلسلة التي قضينا فيها الليلة، نزلنا إلى أحواض مغلقة تُشبه غاسي، أ و ب. تربتها ريج تتكون من بقايا صخور متنوعة، من الحجر الرملي والحجر الجيري، ممزوجة بالعديد من حصى الحجر الرملي البني المدلفن والكوارتز الأبيض والوردي (عرق). تُمثل هذه الصخور (العينة رقم 172: حجر جيري سيليسي، أحمر، رمادي، مخضر، في طبقات صغيرة). في غاسي ب، تراكب ريج على طبقة من غبار الجبس الأبيض والأصفر الذي نغرق فيه. يُهيمن على هذا الغاسي، على عمق يتراوح بين 7 و8 أمتار، إلى الشمال الشرقي، بالقرب من خط سيرنا، هضبة ق. مليئة ببعض السيوف غير المهمة المتناثرة على تربة الحمادة.

السلاسل مشوشة، كما يحدث دائمًا عندما يكون المرء بالقرب من العود، لكننا بلا شك على العود الشرقي، ووجود حمادة على يميننا في هذا الاتجاه لا يفشل في مفاجأتي كثيرًا، لأن الرمال تمتد إلى أبعد من ذلك بكثير إلى الشرق عند هذا العرض، كما لاحظت في يناير 1894؛ لذلك أفترض أنه يجب أن نكون هناك في وجود هضبة كبيرة، محاطة بالرمال من جميع الجوانب، ولكن كثبان حدودها الشرقية بعيدة جدًا وتهرب من رؤيتنا؛ يجب أن تكون هذه الهضبة التي تحمل بعض حركات التلال جزءًا من، أو على الأقل متصلة، إما في الهواء الطلق أو تحت العود، بالكتلة الصخرية الصغيرة التي عبرت على العود الشمالي في 2 يناير 1894. لذلك، أكرر، السلاسل مشوشة ومتشابكة؛ ومع ذلك، وكما كان الحال في العام الماضي على نفس خط العرض، يبدو أن الرئيسيين يتخذون اتجاهًا عامًا للشمال 35 درجة شرقًا مغناطيسيًا، والجنوب 35 درجة غربًا مغناطيسيًا، وخاصة أمامنا وفي الغرب، حيث يوجد في الشرق عدد قليل من التكتلات المعزولة.

بعد عبور هضبة مرتفعة نسبيًا، نقترب، في الاتجاه R، من منطقة تتخللها تلال صخرية وتلال سيوف مختلطة تغطيها الرمال جزئيًا بالفعل. تتكون هذه التلال، في معظم الأحيان، من صخور في شكل حطام صغير (العينة رقم 173. حجر رملي وأحجار جيرية مختلفة) أو من صخور بها شظايا كبيرة في مكانها (العينة رقم 174. حجر جيري حبيبي مصفر). تقع الفواصل التي تفصل التلال والسيوف على تربة كوارتز ريج التي تخترقها أحيانًا نتوءات صخرية رقم 174. في قيعان الأحواض، يكون الريج رقيقًا جدًا ويستقر على جبس مسحوق يرتفع بسهولة، في سحب من الغبار الأسود أو الأصفر أو المحمر، تحت أقدام الحيوانات والبشر. أجمع هناك

بعض الأدوات المصنوعة من الحجارة المقطوعة (ليست صوانًا).

في المنطقة ج، حوض يمتد إلى تلال TT، بارتفاع يتراوح بين 10 و12 مترًا. تتكون تربة هذا الحوض من بقايا الصخور السابقة، وحصى الكوارتز المدلفنة، وبعض حصى الحجر الرملي البني، وكلها فوق غبار الجبس الأسود الذي تُجرى فيه عمليات حفر مكثفة. في المنطقة د، تربة جبسية في صخور ناعمة ومنتفخة، تتفتت بسهولة.

في المنطقة الشرقية، حوضٌ يحتوي على تربةٍ رمليةٍ دقيقةٍ من بقايا الحجر الرملي (العينة رقم 175: حجر رملي خشن؛ رقائق حجر جيري؛ ليمونيت). تختلط هذه البقايا في هذا الحوض بالحصى وحصى الكوارتز مع بعض نتوءات الجبس المتورم. في وسطه، تتكون التربة من كوارتز ناعم مُركّز على الجبس، مع غبار أسود وأحمر.

تتكون تلال TT، التي تحد حوضي CD وE شرقًا، بالكامل من نفس الصخور الموجودة في الموقع رقم 175، في طبقات رقيقة. قبل F بقليل، نغادر الأراضي المنخفضة لنصعد منحدرًا طفيفًا يعبر وادٍ صغيرًا، أو بالأحرى خندقًا صغيرًا، محفورًا في صخور العينتين رقم 173 و174؛ وفوق هذا التكوين مباشرةً، يتكون كامل المستوى F وجميع البريشيا المخلوعة التي ترتفع من F إلى G، من صخور متنوعة للغاية، تضم في موقعها عددًا كبيرًا من الأحافير (العينة رقم 176: أحجار جيرية حمراء مع برودكتوس، وبطنيات القدم، ومورشيسونيا، وغيرها؛ مع احتمال كبير وجود مجموعة متنوعة من السربول).

يبدو أن وادي YYY هو مجرى نهر من شأنه أن يصرف مياه الحمادة الشرقية. في G، هضبة تهيمن على الأحواض السابقة بحوالي 30 مترًا، وتتكون تربتها من الصخور رقم 176 التي تضاف إليها بقايا الحجر الرملي الأسود والبني وعدد لا بأس به من حصى الكوارتز الكبيرة إلى حد ما. في H، نعبر واديًا يتجه غربًا نحو وادي Y، قادمًا من جبال SS الصغيرة، التي تهيمن على هذه الهضبة بحوالي خمسين مترًا. تظهر خصلتان معزولتان من الطرفة في هذا النهر. في I، استمرار الحمادة G، تضاريس متموجة، حتى أنها مملوءة قليلاً، مما يسمح لنا برؤية أن التربة السطحية، التي تتكون من أنواع مختلفة من الحجر الرملي - وخاصة الحجر الرملي الرمادي - متراكبة فورًا على الصخور رقم 176 (العينة الأكثر وفرة هنا هي المنتج).

شيئا فشيئا، على السطح، تنتهي حصى الكوارتز المغمورة في القليل من الرمال إلى استبدال حطام الحجر الرملي بالكامل، وهذا حتى التلال الصغيرة O، وهي تموجات لا يزيد ارتفاعها عن 5 أمتار.

في J، هضبة منحدرة قليلاً ترتفع إلى الكتلة الصخرية K. يتكون هذا المنحدر من الصخور رقم 176 (العينة الأكثروفرة هنا هي Productus). يستمر مستوى الكوارتز السطحي، فوق الصخور أعلاه، حتى الرمال؛ ولا تظهر الصخور الأحفورية إلا عند حركات الأرض O وO›. ثم نصل إلى تلال Z، التي توجد على منحدرها الجنوبي، باتجاه قمتها، شظايا من الصخور (العينة رقم 179: حجر رملي من العصر الحجري الفرعي). يتكون منحدرها الشمالي، المغطى قليلاً بالرمال، على عكس منحدرها الجنوبي، من الصخور (العينة رقم 180: حجر رملي من نوع Serpule، مع بطنيات القدم، مع نفس Productus الموجود في العينة رقم 176).

أمامنا يمتدّ غاسي L، الذي يبدو مغلقًا، أو على الأقل مُحاطًا بتلال رملية رقيقة باتجاه الشمال الشرقي. يمتدّ بعيدًا جدًا نحو الجنوب الغربي دون أي عائق واضح، ووفقًا لما أخبرني به أغ-ييما، من الممكن أن يمتدّ حتى تابالباليت. لا يعلم التارغي ذلك، لكنه سمع أن غاسيًا كبيرًا، يعبر العرق قطريًا، ومن جانب إلى آخر، كان منشأه الجنوبي ليس بعيدًا عن تابالباليت. يمكن تطبيق موقع واتجاه غاسي L على هذه المعلومات التي تُضفي أهمية جغرافية معينة.

تربة L هي في المقام الأول عبارة عن طبقة من الحجر الرملي وحصى الكوارتز المغمورة في الرمال، وكلها ترتكز على الجبس المسحوق الذي يغرق فيه المرء كثيرًا ويرتفع تحت الدرجة، في غبار ناعم للغاية، أبيض أو أسود أو أحمر، اعتمادًا على النقاط. في منطقة V V، في منطقة غاسي، يظهر خط غير منتظم من تلال صغيرة جدًا، يتراوح ارتفاعها بين متر ومتر ونصف، من الجبس الصخري الأبيض، يتفتت بسهولة. عند نقطة التقاءها بالأرض، يمكن تمييز آثار ينابيع قديمة، مع تحجرات كلسية. في هذه المنطقة، كما هو الحال في العديد من المناطق الأخرى في المنطقة، نجد حصى متناثرة كبيرة ومتوسطة الحجم من الحجر الرملي الأحمر والأسود والأصفر (العينة رقم 177، الحجر الرملي)، بالإضافة إلى العديد من شظايا الصخور البنية (العينة رقم 178، الليمونيت الحديدي).

هناك، على أرضية الغاسي، توجد ورشة عمل كبيرة من عصور ما قبل التاريخ.

وكما لاحظتُ دائمًا في هذا العرق، لا يوجد سوى القليل من الصوان، والصخور المقطوعة فقط، وخاصةً الحجر الرملي الأحمر والأسود والمحمرّ من العينة رقم 177.

نحن نخيم على حافة غاسي إل، في الدرة التي تحدها من الشمال الغربي، والتي تغطيها نباتات جميلة من هاد ودرين؛ هذان النباتان أخضران للغاية. وكما هو الحال دائمًا في هذا العرق، فإن الجانب الجنوبي أو الجنوبي الشرقي من الدرة مغطى بالنباتات بينما يكون الجانب الآخر دائمًا، خاليًا منها؛ تنطبق هذه الملاحظة فقط على عرق إيساوان أو عرق تيماسانين.

20 ديسمبر. في الصباح يكون البرد قارسًا للغاية ويغطى كل شيء بالصقيع الأبيض الجميل. نتسلق السلسلة التي سيطرت علينا. هذه السلسلة، مثل السلاسل التالية، والتي أصبحت الآن متوازية تقريبًا، موجهة نحو الشمال 4/1 شمال شرق والجنوب 4/1 جنوب غرب. يتم فصل الدرة، وهذا طوال مسيرة اليوم، عن طريق وديان واسعة من الرمال، ولكن هذه الوديان مقطوعة بشكل عرضي بواسطة العديد من السيوف التي تربط السلاسل معًا؛ والجاسيس، أو الفيدجات الحرة من أي مدى، نادرة جدًا.

تتراوح الممرات بين 100 و130 مترًا في الارتفاع فوق الفيدج؛ أما بالنسبة للعقعق الرئيسية، فهي بين 150 و200 متر. هذا هو العرق الكامل، قوي، واسع، متموج. الغطاء النباتي هناك جميل للغاية: هاد ودرين وسبوت، كلها خضراء للغاية. في فترة ما بعد الظهر، يبدأ الهالما في تغطية أسفل الكثبان الرملية وقاع أحواض الرمال بخصلاته الخضراء؛ إن ظهور هذا النبات هو مؤشر أكيد على اقتراب أودج الشمالية، التي لا تبتعد عنها أبدًا أكثر من أربعين كيلومترًا، إما بسبب تكوين الرمال، أو بسبب الاختلاف في تماسك العرق. نجد، حتى على أسطح غاسيس ذات القاع الصلب، بضعة أقدام من غولغلان ونيشي الجافتين. وسط هذه النباتات، صادفنا آثار قطعان ظباء كثيرة، وكنا سنقتل المزيد منها لو هبت الرياح. مع ذلك، لا داعي للتذمر، فطاولة الصيد نادرًا ما تكون فارغة لثلاثة أيام. الغزلان نادرة جدًا، مع أن الحلما طعامها المفضل، ونقتل عددًا قليلًا منها نسبيًا.

نعبر أولاً غاسي أ، وهو حوض مغلق ذو تربة عادية من الحجر الرملي البني وحصى الكوارتز المطمورة في قليل من الرمل، ثم حصى كوارتز عادية ناعمة جدًا،

على كامل الجزء الشمالي. هنا وهناك، تظهر شظايا مدلفنة من الحجر الرملي الأسود، بما في ذلك تكتلات من حصى الكوارتز. (عينة رقم 184. حجر رملي خشن ويشب متكسر.) تم العثور على هذه القطع المتناثرة في جميع غاسيس هذا اليوم، وحتى في بعض تلك التي تمت زيارتها سابقًا، ولكنها دائمًا في حالة حطام ملفوف أو منقول.

بعد عبور سلسلة جديدة، نسافر عبر gassi B، مع تربة ريج ناعمة، وحصى الكوارتز، عبرها سلسلة من التلال الصغيرة جدًا، لا تصل إلى متر، من الصخور في مكانها، وأحيانًا تكون صخورًا مكسورة كبيرة وذات سطح مصقول، وأحيانًا تكون كتلًا أو شظايا أصغر. (العينة رقم 181، حجر رملي رمادي ناعم.) في CC، أحواض مغلقة صغيرة، على يمين طريقنا، وفي منتصف draà سميكة. في E، حوض من نفس النوع، ولكنه يقع على خط مسيرتنا. تربته عبارة عن حجر بودنغ حيث يبدو أن الحجر الرملي والكوارتز متماسكان بعجينة جيرية. (العينة رقم 182. - حجر رملي كلسي متكسر.) في gassi ،F مغلق مع تربة من حطام نفس الصخرة، رقم 182، مختلطة بأحجار رملية خشنة مختلفة، ومتناثرة مع بعض التلال الصغيرة من الصخور الجيرية، والتي تظهر هنا لأول مرة. (العينة رقم 183. أحجار جيرية متراصة مع شظايا بنية اللون قيد الدراسة). توجد هذه الصخرة إما في تلال صغيرة منخفضة جدًا، أو في شظايا متوسطة وصغيرة الحجم، ناتجة عن تفكك هذه التلال. هذه الصخرة، التي جُمعت شمالًا العام الماضي، تشير بالتأكيد إلى الاقتراب من دجوا. في المنطقة G، حوض صغير، بتربة رملية من رقم 182، وتتناثر فيه تلال صغيرة من الصخرة رقم 183. نُخيّم في خيمة صغيرة محاطة بنباتات رائعة من حد وهالما.

نحن الآن على مرمى البصر، وعلى بُعد حوالي خمسة عشر كيلومترًا، من أحد نتوءات جرف تينغيرت، وغير بعيدين عن النقطة التي وصلنا إليها في الأول من فبراير. وكما ذكرتُ سابقًا، فأنا من يُحدد المسار ويُوجّه المهمة بمفردي، من تاسيلي، وقد وصلتُ تقريبًا إلى النقطة التي أردتُ الوصول إليها، مع أن رجالي أخبروني باستمرار، في الأيام القليلة الماضية، أنني لم أكن أتجه غربًا بما يكفي. في العام الماضي، أخبروني أنني كنتُ أبتعد كثيرًا نحو الغرب. سنرى غدًا إن كان هناك خطأ كبير، عندما نصل إلى دجوا.

لقد وجدت اليوم رواسب جيدة من الصواعق في الكثبان الرملية في النطاق D، وجمعت بعض أحجار الصوان المتكسرة في الغازي B.

في 21 ديسمبر، انطلقنا صباحًا عبر سيوف شاسعة ستتلاشى قريبًا، ليست بعيدة عن هناك، تنحدر تدريجيًا نحو شمال أودج. هذه التلال، ذات المنحدر الشمالي الغربي شديد الانحدار، هائلة، بعضها يتجاوز 100 متر فوق الأحواض التي تفصل بينها، وهو ارتفاع كبير، مع العلم أنها ليست سوى سيوف، وأن هذا الارتفاع لا يُبلَغ عادةً إلا عبر غروف ذي قواعد كبيرة وتفرعات منخفضة متعددة. الوديان المحاطة بهذه التلال العالية مغطاة بالكامل بنباتات هاد وهالما حديثة النشأة ذات لون أخضر جميل. في قاع أحد هذه الأحواض، عند النقطة A، نرى نتوءات صخرية، في ضفاف صغيرة تُشكِّل تلالًا أو صخورًا أو بقايا من الحجر الجيري الأبيض رقم 183 أعلاه، والذي تنضم إليه صخرة مشابهة إلى حد ما. (العينة رقم 185 - حجر جيري مع حبيبات رمل الكوارتز).

ينتهي العرق عند هضبة دجوا، بسهول سيوف واسعة تتضاءل تدريجيًا، وتفصلها عند نهايتها الشمالية مساحات واسعة متموجة، ب وج، مغطاة بنبقة تُغذي نباتات وفيرة من نباتات الحد والهلما والإهبيلة الصغيرة. وقد ازداد هذا الغطاء النباتي منذ رحلتنا العام الماضي، حين وجدنا هذه السهول جرداء تمامًا.

نحن نخيم على حافة الكثبان الرملية، وعلى طريقنا في 31 ديسمبر 1893، إلى الغرب من مخيم ذلك اليوم، وإلى الشرق من طريقي في 1 فبراير 1894.

لقد اصطدتُ ظبيًا ذكرًا رائعًا اليوم؛ ولا أذكر هذا الصيد تحديدًا إلا لأنني، من أجل اصطياد هذا الوحش، اضطررتُ لتحمل أشد ضيق نفس مررتُ به في حياتي. في الواقع، لم أقترب منه، على ارتفاع 250 مترًا، إلا بتسلق، إن صح التعبير، الجانب شبه الشاهق لجبلٍ يزيد ارتفاعه عن 80 مترًا. السكان الأصليون، الذين يمارسون تمرينًا مشابهًا، يصلون إلى القمة باريحية، أما أنا، فلا بد لي من الاعتراف بأنني عندما وصلتُ إلى التلال العالية التي ستُسلمني الظبي، بالكاد استطعتُ التنفس.

22 ديسمبر. الحاج، قائد موكبي، مُقيّدٌ بواجباته مع مجموعة الدواب الناقلة وسائقيها، لكنه صيادٌ شغوف، وراميٌ ماهر، ولا تُتاح له فرصةٌ للابتعاد. نظرًا لكمية الطرائد التي صادفناها، طلب مني أمس الإذن بالصيد بعد الظهر؛ منحته هذا الإذن، وعاد عند حلول الليل بعد أن جرح ظبيين وقتل اثنين آخرين لم

يستطع إعادتهما، ولم يكن معه سوى رجل واحد وبدون جمال. لذلك، في الساعة الخامسة من صباح اليوم، سمحت له بالذهاب، مع رفيق وبعض الجمال، للبحث عن طرائده؛ أشرتُ له إلى الطريق الذي ننوي اتباعه، وعليه أن ينضم إلينا خلال النهار.

نعبر أولاً نهر دجوا، الذي تربته، تحت أقدامنا، طينية رملية حمراء، مغطاة بالجبس في غبار أو ببلورات صغيرة جدًا؛ يُحجب نهر دجوا هنا بخطوط من السيوف تمتد حتى ضفته الشمالية المنخفضة، د، وهي ضفة تتكون من عدد لا نهائي من التلال المتآكلة، المسننة، والمتعرجة، المكونة من طبقات من الجبس الشفاف وطبقات متداخلة من الطين الأخضر والأحمر، تتخللها عروق جبسية؛ يتحول هذا الطين أحيانًا إلى حجر رملي خشن. (العينة رقم 186. صخر طيني أخضر).

في وسط هضبة دجوا، نجد بعض التلال الصغيرة الطينية والجصية والرملية التي تغذي منطقة طرفة الهزيلة والمحتضرة. في شرق، نصعد الضفة المنخفضة D، التي تُشكل الحد غير المنتظم لسهل حمادة ب، المكون بالكامل من جبس متبلور ومنتفخ، مغمور في قليل من الرمال. ثم يأتي المستوى الثاني من الجرف، المكون من الطين الطيني والجبس، والذي تقطعه وديان متعرجة عديدة تحمل أحافير من صخور القمة. (العينة رقم 187. حجر جيري سباثي مع طيات). يلي هذا المستوى الأخير مستوى آخر، ولكن لعبوره نتبع المسار المتعرج والمتشقق لوادي، والذي بدونه يستحيل الوصول إلى قمة الجرف، المكون من مختلف أنواع الحجر الجيري في رقم 187.

نسير من G إلى الحمادة العليا، H، ذات التربة الصلبة جدًا من الحجر الجيري الأموني رقم 187. تتخلل هذه الحمادة أحواض صغيرة مليئة بالنباتات، وأحواض طينية، تصب جميعها في النهاية في وادي تيفيست حيث نُخيم عند سفح غور يحمل الاسم نفسه. نحن على بُعد مسافة قصيرة من تلماس تيفيست التي تحتوي على الماء، تحت حصى الوادي، بعد فترة طويلة من الفيضانات.

لم ينضم إلينا الحاج إلا في الساعة التاسعة مساءً؛ ولم يحضر معه ظبييه فحسب، بل أحضر معه أيضًا ظباء ثالثًا قتله اليوم.

23 ديسمبر - سنتجه بدقة نحو تابانكورت، عبر الخط الأكثر مباشرة، عبر الحمادة. بعد عبور الميجبيد من تيماسانين إلى تيملولين وغدامس، والذي يتبع

الواد ب إلى تلماس تيفيست، ندخل منطقة من الغور التي ترتفع من 40 إلى 50 مترًا فوق السهل أ، الذي عبرناه للتو. هذا السهل أ هو حمادة صلبة للغاية، تتكون من حطام صخور الحجر الجيري مع الأمونيت. (العينة رقم 188. الأمونيت من سينونيان. - حديد الليمونيت.) هناك العديد من شظايا الأمونيت التي تحولت إلى حديد الليمونيت. في ب، حصى من الغور العلوي وبقايا كلسية، تستقر على طبقة من الجبس. غرقت جميع الحشود هنا، منذ ما لا يزيد عن خمسة أو ستة أيام، ولا تزال أرضها رطبة تمامًا؛ لكن المطر الذي غرقوا بعده توقف عند النقطة F، ولم يظهر مرة أخرى أبعد من الجيل J.

في C، التربة هي نفسها الموجودة في B، لكننا هناك في منتصف شعبة معقدة مقطوعة إلى تلال من الطين الرملي والأصفر والجبس، مع طبقات من الحجر الجيري الأحفوري. (العينة رقم 189. - حجر جيري Cerithes ربما مع فوسفات الجير. مشابه لإحدى صخور رقم 195.) نصعد درجة أخرى ونصل إلى D، على هضبة تشكل حافتها، SS، المستوى الثاني من حمادة Tinghert. هذه الهضبة من الحجر الجيري الصلب الرمادي الداكن، مثل الحمادة التي ستليها. في EEE، حمادة شديدة الخشونة من الحجر الجيري الأموني. نجد أنفسنا، في هذه السهل، في وجود العديد من أنواع الصخور. (العينة رقم 190. أحجار جيرية مدمجة. أحجار جيرية متنوعة.) هنا وهناك، تنتشر الأسطح الكبيرة من الصخر 190، إذا جاز التعبير، مع الصخور في شظايا صغيرة تليها. (العينة رقم 191 - فلينت). نسير، بالطبع دون أدنى مسار، ونهدف فقط إلى تابانكورت، لذا فالطريق وعر للغاية على هذه الأسطح الصخرية غير المحددة. بعد أن عبرنا مرتين واديًا شبه خالٍ من الضفاف، وحفرنا أخدوده في الحمادة، وصلنا إلى وادي ثانٍ G؛ لا يزال هذا الأخير يحتوي، في ميشيرا صغيرة، على ماء من الفيضان الأخير؛ حيواناتنا، التي لم تشرب منذ تسعة أيام، تندفع جميعها نحو السائل النافع؛ لكن هذا الماء متجمد، ولا تمتصه إلا ببطء وبكميات صغيرة نسبيًا. في I، أجمع قطعًا من حجر جيري ناعم أبيض مصفر. (العينة رقم 192. حجر جيري حبيبي مصفر).

يتواجد هذا الحجر الجيري الناعم في النتوءات الصخرية، وفي الصخور الكبيرة، وفي وسط الأحجار الجيرية للعينة رقم 190، وخاصةً حول I، على الرغم من وجوده أيضًا في عدة أماكن أخرى في ظروف مماثلة على E hamada. يُشكل

هذا الحجر الجيري صخور قمة جميع الغور التي تُهيمن علينا، TT، في البعيد؛ وفي الحالة الأخيرة، يتراكب على طبقات سميكة من المارل الرملي المصفروطبقات من الجبس. في K، يوجد ما يُعادل الحجر الجيري الرمادي مع شظايا صغيرة من الصخر الأسود رقم 191 وشظايا عديدة وأكبر قليلاً من الصخر (العينة رقم 193 - فلينت). كل هذا مُراكب على طبقة من الجبس المسحوق.

في م، الجبس في الانتفاخات، دبدبة، حتى الوصول إلى قاع وادي إن أراماس، حيث نخيم عند بئر تابانكورت.

تتكون ضفاف الواد، عند قمة نقطة المياه، والحمادة التي تليها، من حجر جيري متماسك وسيليكوني ممزوج بطبقات من الجبس. (العينة رقم 194 - حجر جيري متماسك وسيليكوني صلب وأمونيت سينوني).

نلاحظ حول البئر آثارًا حديثة (لمدة يومين على الأكثر) لاثني عشر مهارا؛ وبعد فحص دقيق لهذه الآثار، حدد شامبا، بلا شك، آثار عدد معين من الرجال الذين يعرفونهم، ومن بينهم: علي بن دوبا، أحد أبناء بن جرجي، إلخ. وبالتالي، نحن في مكان مرور جزء من المهاجمين الأربعة والسبعين من الأهقار الذين كان المذكورون أعلاه جزءًا منهم. وتتحرك الآثار بعيدًا عن البئر متجهة نحو الجنوب الغربي؛ وبالتالي فإن هؤلاء الرجال عائدون إلى بلادهم. والآثار الأقدم، جمع المهاجمين بأكمله وهو يسير نحو الشمال، وعندما جاءت من تيماسانين، وهي أيضًا لا تزال واضحة جدًا؛ حتى أن الغزاة، في ذلك الوقت، حفر خمسة آبار سنقوم بتنظيفها لاستخدامنا.

24 ديسمبر - سنبقى هناك لنمنح الجمال قسطًا من الراحة، ونتيح لها الشرب، ونخزن الماء. وراقبتُ المكان بدقة هذه الليلة - التي كانت شديدة البرودة - لأنني على طريق مزدحم، ولا أعرف أين بقية المهاجمين.

قررتُ عبور العرق مباشرةً من هنا إلى حاسي بلحيران، بدلًا من المرور بمويلح، التي أعرف مسارها جيدًا، وحيث المياه رديئة؛ وجمالي في حالة جيدة هذا العام لأتمكن، دون تهور، من إجبارها على التوقف، وبراحة لا تتجاوز أربعًا وعشرين ساعة، على فترتين من تسعة إلى عشرة أيام من الطريق دون ماء. باتخاذي هذا القرار، أردتُ تحديدًا أن أتمكن من مسح طريق جديد عبر الكثبان الرملية العظيمة. كانت مهمة أتانوكس قد سلكت هذا الاتجاه في الربيع الماضي، لكنها وصلت إلى غاسي الطويل عند ذروة خط العرض الثلاثين، بينما أنوي المرور

شرقًا، تاركًا غاسي الطويل جانبًا تمامًا، وهو ما أعرفه جيدًا، فقد سبق لي مسح كلا الضفتين في رحلتين متتاليتين. كما سأستفيد، أثناء تتبعي الطريق الجديد، من مواجهة أعداد كبيرة من الطرائد أمامي، ورجالي لا يحتقرون أفخاذ الظباء أو فرائس الغزال.

وفي الساعة الثانية بعد الظهر شرب قطيعي كله، ولكن ليس كثيرًا، بسبب نضارة الماء؛ ومع ذلك، لا بد أن يكون كافيًا لهم حتى بل حيران.

نجد بالقرب من البئر على الضفة اليسرى قبرًا جديدًا جدًا، ومن الواضح أنه لأحد الرجال المنتمين إلى قافلة الاثني عشر، الذين ذكرت مرورهم، والذين دفنوا في هذه النقطة.

كانت الأنهار التي قابلناها أثناء رحلتنا بالأمس، على الحمادة، تتدفق، كما أشرت، ولكن هذه الأنهار تتدفق في وادي تيفيست وليس في وادي إن آراماس، الذي لم يتدفق.

وادي تيفيست ليس سوى رأس الواد الذي يصب في تين ياغين، والذي يسميه العرب وادي جميل، وقد عبرناه في طريقنا إلى إيمولاي عام 1893. يوجد هناك نظام جبلي صغير كامل يُشكل امتدادًا للمستوى الثاني من منحدرات تينغيرت، فوق دجوا؛ وهنا فقط، ينقسم هذا المستوى الثاني إلى غور معزول، متفتت بشدة ومسنن. يتدفق جزء من هذه الكتلة المائية بمياهه مباشرة، إلى الشمال، عبر وادي إن أمستكي وروافده، وعبر فروع وادي إن أراماس المختلفة، بينما يُلقي الجزء الآخر - بينما يُفرغ مياهه في النهاية شمالًا في العرق - بها.

أولاً، جنوباً في وادي تيفيست، الذي يحملهم بعد منعطف نحو تين-ياغوين. هذه الكتلة بأكملها من الحجر الجيري، ترتكز على الجبس وكتل ضخمة من صخور المارل الحمراء والصفراء، وعلى طين أحمر وأخضر متماسك، فائق النعومة. توجد أحجار جيرية صلبة متماسكة ذات سيليسية قوية، مع وجود كميات من الصوان المقسم إلى مناطق.

تنمو بعض كتل الفاليزليز على الحمادة التي تحد الضفة اليمنى للواد، على ارتفاع البئر.

25 ديسمبر. انطلقنا إلى أسفل وادي إن-أراماس، الذي تصطف على جانبيه الحمادات، ABC، كلها ذات طبيعة جيرية ومغطاة بالصوان. (العينة رقم 195. -

حجر جيري لوماشيل، ربما مع فوسفات الجير، انظر رقم 189 المماثل صخور عليها نقوش من حجر سيريثيس من العصر السينوني الحجر الجيري مع قنافذ البحر من العصر السينوني العلوي حجر جيري متحجر صغير حجر جيري في طبقات حديدية متحدة المركز حجر جيري رمادي متجانس حجر جيري حديدي حبيبي وصوان.) في وسط كل هذا نجد العديد من نتوءات الجبس. ترتفع تلال من نفس الطبيعة، وعلى شكل غور، على جانبي النهر الذي، من B، له ضفاف مرتفعة قليلاً تتراوح بين 8 و15 مترًا. علاوة على ذلك، تتوقف هذه الضفاف تمامًا عند النقطة D، حيث تتكون بعد ذلك من صخور حجر جيري صفراء ناعمة كبيرة جدًا. (العينة رقم 192 - حجر جيري حبيبي مصفر) عند هذه النقطة يظهر الحجر الجيري البالي الموجود أسفله في جداول متدلية على حافة الواد وبالتالي يشكل نوعًا من الكهوف الصغيرة أو الملاجئ البسيطة.

من هناك نترك مجرى النهر، الذي أصبح الآن وادًا منبسطًا، ويتلوى عبر السهل إلى يميننا، حتى كثبان أودج. نسير أولًا، شرقًا، على تربة الدبدة أو الجبس في نتوءات غير منتظمة، ثم من النقطة F، على طبقة رقيقة من الحجر الجيري وبقايا الصوان التي تستقر مباشرةً على طبقة من الجبس تكاد تكون غبارًا، فنغرق فيها بشكل ملحوظ. تسمح لنا هذه الحالة الخاصة للأرض بالتقاط الآثار القديمة للغزاة الأهقار الأربعة والسبعين؛ لقد سلك بالضبط الاتجاه الذي نتبعه نحن أنفسنا. يبدو إذن أنهم ساروا بالفعل نحو سوف أو نفزاوة لسرقة الإبل هناك، وفي هذه الحالة، فإن الرجال الاثني عشر، الذين لاحظنا مرورهم الأخير في تابانكورت، سيكونون أحد بقايا الفرقة التي تم دفعها أو ضربها في الشمال؟ ربما كان الرجل الذي دُفن مؤخرًا في تابانكورت جريحًا، إلخ. كل هذا مجرد افتراض، ولكنه محتمل، بل لا يسعنا هنا إلا الافتراض. آخر الأخبار التي وصلتنا من التوارق هي: عاد بن خطخات واثني عشر أو أربعة عشر عضوًا آخرين من المهاجمين، وأثناء مرورهم بتيماسانين، قالوا إن الغزاة استولى، في العرق، على بعض الصيادين من سوف. وأجاب الأخير، عند سؤاله، أن هناك العديد من الإبل في هذا الجزء من الصحراء الجزائرية، ولكن أيضًا أن هناك العديد من الناس وأن دوريات الإبل من تقرت والوادي كانت تجوب المنطقة. ثم علمنا أن بن خطخت أعلن أنه لا يريد سرقة القطعان التي يوجد بالقرب منها حماية/بارود، بمعنى آخر أنه كان يسعى فقط

إلى السرقات السهلة والآمنة . وفي هذه اللحظة، ولهذا السبب، عاد بن خطخت، وتبعه اثنا عشر أوثلاثة عشر من رجاله، بينما واصل بقية الغزاة اتجاه الشمال أو الشمال الشرقي.

في الطريق G، عبرنا ميدجبيد العودجي، وبالتالي مساري في 18 فبراير 1892. هناك وجدنا آثار أوان تيتي وقطيعًا كبيرًا إلى حد ما، مما يثبت لنا أنه استعاد جماله بالفعل ويعود بها، حيث تتجه هذه الآثار نحو الشرق.

بعد قليل ندخل إلى الإرج، وبعد عبور الخط الأول من السيوف المنخفضة، نصعد العتبة الصخرية H المكونة من ثلاثة أحجار جيرية متراكبة بالترتيب التالي، بدءًا من أدنى الطبقات:

العينة الأولى رقم 196 - حجر جيري أصفر، يحتوي على القليل من الحفريات، مع أنابيب.

العينة الثانية رقم 197 - حجر جيري فارغ مع آثار حفريات.

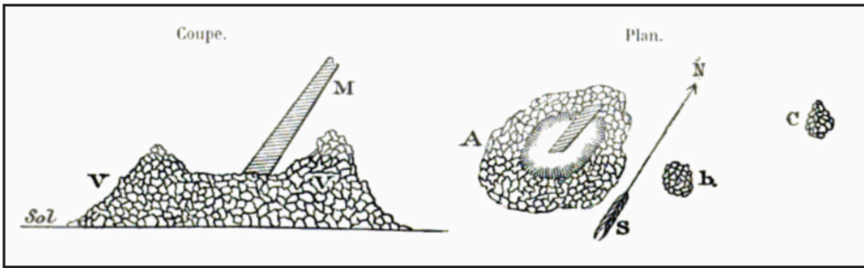
العينة الثالثة رقم 198 - صخور طينية تحتوي على بلورات كالسيت وحجر رملي خشن.

عند الصخرة رقم 198، تتجمع بقايا الحجر الرملي، مُشكّلةً مع الصخرة 198 تربةً علويةً مُتناثرةً بالبلورات المُدرجة في الصخرة 198، وكراتٍ صغيرة من الحجر الرملي. في الصخرة I، سهلٌ من الحجر الرملي مُركّبٌ على الحجر الجيري؛ ويتكوّن هذا الحجر الرملي من حجر رملي كروي، لكن كل كرة صغيرة مُنعزلة (العينة رقم 201. حجر رملي كروي). نجد هناك، في الصخرة I، قبرًا، A، يعود تاريخه بالتأكيد إلى فترةٍ بعيدة، ويرافقه قبران أصغر، B وC. يهيمن على القبر الرئيسي حجرٌ مُتراصٌ M، كان في السابق على الأرجح مستقيمًا، ولكنه اليوم مائل.

يبدو مثل المنهير[1]، ارتفاعه 2.20 متر، وهو مزروع في تجويف صغير محفور في تل على شكل حرف V، تم بناؤه بأيدي الإنسان.

تتكون هذه الصخرة من صخور غير منتظمة الشكل، تمتلئ فجواتها الآن بالرمال. مقابر BetC مشابهة، لكنها أصغر بكثير، ولا تحتوي على منهير. صُنعت الصخرة من حجر جيري مُتراص مأخوذ من المنطقة المحيطة؛ يبلغ عرضها حوالي

1-«منهير» حجر قائم ضخم تم وضعه عمداً من قبل البشر، غالباً في العصور القديمة، ويُستخدم لأغراض طقوسية أو تذكارية.



30 سنتيمترًا وسمكها 12 أو 15 سنتيمترًا؛ ورغم انتظامها، إلا أنها لم تُقطع، بل اختيرت من طبقات طبيعية بهذا الشكل.

عند النقطة K، نصعد ارتفاعًا جديدًا في الأرض، يبلغ ارتفاعه حوالي خمسة عشر مترًا. وهو عبارة عن هضبة من الحجر الجيري الحامل للأحافير (العينة رقم 199. حجر جيري شبه شعاعي مع أحافير صغيرة). نعبر هضبة صغيرة P، مكونة من نفس العناصر، ممزوجة بحجر جيري صلب آخر، ولكنه لا يبدو أنه يحتوي على أي أحافير (العينة رقم 200: حجر جيري صوان وسيليكوني). نسير قليلًا في نوع من الوادي، ونخيم على حافته الشمالية، عند سفح خط صغير جديد من التلال P، مكون من نفس الصخرة رقم 200. نحن هناك في نوع من الوادي، ينفتح على الأودج، ولكنه يضيق في الشمال ليس بعيدًا عنا.

سلاسل الكثبان الرملية قوية وتلك الموجودة في الشمال الغربي قريبة جدًا منا، وقد منعني الوقت المتأخر قليلاً من الوصول إليها لقضاء الليل هناك.

26 ديسمبر. انطلقنا إلى منطقة الإرج، التي في الواقع لا تبدأ من هنا تقريبًا. صعدنا الفجوة في منحدر الحجر الجيري الصغيرة PP، الصخرتين رقم 199 و200.

في A، يوجد ريج من الحجر الجيري أو حمادة من نفس الطبيعة، مع بعض حطام الصوان الصغير، وشظايا متناثرة من الخشب السليكوني. من B، التربة، بين الكثبان الرملية، هي نبكا تليها قريبًا ريج من الحجر الجيري الصلب مع بعض حصى الكوارتز الصغيرة. يتم ثقب هذا الريج هنا وهناك بواسطة نتوءات من الحجر الرملي الوردي الخشن للغاية. تتقاطع السهل، أو بالأحرى غاسي الذي نعبره، مع أسرّة صغيرة من الحشود، بدون ضفاف، متجهة نحو الجنوب الغربي، أي نحو أودج. يوجد في الواقع، هنا بالقرب، في ZZ، كتلة صغيرة جدًا من تلال

الحجر الجيري التي توجد فيها رؤوس هذه الجداول الصغيرة. لقد تدفقت جميعها مؤخرًا وآثار التيار مرئية تمامًا. جرف بيست متعرج بالكامل بهذه المياه وكانت هناك حتى شلالات كبيرة بما يكفي للتسبب في انهيارات أرضية جزئية خلابة للغاية. أعطى هذا المطر الأخير كمية كبيرة من الماء لأن الرمال مبللة بعمق يزيد عن 50 سم؛ سطح الكثبان الرملية، لهذا السبب، صلب للغاية وهذا الظرف هو الأكثر ملاءمة لنا بمعنى أنه يسهل بشكل كبير المشي في العرق. بعد عبور سلسلة صغيرة، نتقدم على gassi C، هذا الممر مغلق على الجانب الشمالي الشرقي؛ تربته من ريج الجيرية ومنحدره نحو الجنوب الغربي مثل السابق. في D، على الجانب الآخر من نتوء من السلسلة، يوجد gassi من ريج الجيرية وحصى الكوارتز الصغيرة التي تغطيها بالكامل Neçi. في E، feidj هائلة حيث تنمو Halma و Had و Drinn و Sbott بكثرة. تغطي هذه النباتات المورقة جوانب الكثبان الرملية وترتفع تقريبًا إلى قمة أكبر oghroud.

نحن حقًا في العرق الكامل العظيم. تتقاطع سلاسل قوية، دون أي اتجاه منتظم للغاية، وتقطع بعضها البعض، تاركةً بينها، ليس ممرات طويلة (لأننا لسنا في منطقة غاسيس العظيمة)، بل وديانًا شاسعة أو فيدج ذات تربة نبكة حيث تنمو نباتات رائعة في كل مكان. تتأرجح ممرات المرور بين 60 و80 مترًا، ويتجاوز الغرود الكبير 250 مترًا، ويبلغ المتوسط حوالي 200 متر. ومع ذلك، يبدو، في المساحة المقطوعة اليوم، أن السلاسل الرئيسية موجهة في اتجاه قريب من الشمال-ربع الشمال الشرقي، والجنوب-ربع الجنوب الغربي، ولكن هذا بدون استمرارية.

إن الحالة المزدهرة التي تعيشها المنطقة تعني أن الصيد متوفر بكثرة، وآثار الظباء كثيرة جداً، أما بالنسبة للغزلان التي رأيناها اليوم، وإذا حسبنا فقط تلك الموجودة مباشرة على طريقنا، فقد بلغ عددها أكثر من مائة؛ ورغم هذه الوفرة، إلا أنه لم يتبق في مائدة الصيد في المساء سوى تسعة حيوانات تم جلبها.

في المسار F، نعبر ممرًا نطل من قمته على أروع تجمع للكثبان الرملية التي يمكن رؤيتها. يتبعه كثيبتان صغيرتان مغلقتان، GG؛ تربتهما الناعمة مغطاة بطبقة من تربة Neçi؛ ننصب الخيام على حافة الكثيب الأخير عند سفح سلسلة عالية تُشكل هنا خطًا متعرجًا هائلًا.

27 ديسمبر. يستمر المسير في العرق، الذي يتسع أكثر فأكثر. تنقطع السلاسل،

وتتقدم أكوام الرمال على شكل كتل ضخمة بدلاً من خطوط متصلة، وتظل بلا اتجاه ثابت. ومع ذلك، تمتد أربع من أضخم السلاسل من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي. الفيدجات ضخمة، في العرض، بسبب المسافة الكبيرة جدًا بينها.

يبدو أن الفيدج F والغاسي H هما الطرف الجنوبي للغاسيس المتجه نحو الشمال الغربي، والذي سينقرض نتيجةً لذلك، مثقلًا بالسيوف أسفل المصب، بالطبع، على الكتلة الرئيسية. على أي حال، هذا يُثبت أننا نقترب من المنطقة التي تُحدّ، شرقًا، الممرات الكبرى للعرق؛ أقول شرقًا، لأن كامل الامتداد الشاسع للعرق الذي يتطور في شرقنا لم يعد يحتوي على غاسي واحد.

في أ، منخفض من طين رقيق مغطى بطبقة ملحية صلبة، وهو حوض مغلق. في ج، منخفض آخر بنفس خصائص سابقه. في د، فُجوة كبيرة. في هـ، حوض ذو قاع جبسي مغطى بطبقة ملحية في بعض المواضع. في و، منخفض مغلق بأرضية مكشوفة من الطين الرقيق. وفي هـ، منخفض مغلق من طين ناعم تعلوه طبقة ملحية صلبة.

تقف القمم الرئيسية على نفس ارتفاع الأمس، أي ما لا يقل عن 250 مترًا. الغطاء النباتي أقل جمالًا مما كان عليه أمس، وخصلات الأشجار شبه جافة؛ وهذا دليل على ندرة أمطار العام الماضي في المنطقة. كما كانت الأمطار الأخيرة شحيحة، إذ وجدنا طبقة رقيقة من الرمال الرطبة، بينما لاحظنا في اليوم السابق، بعد الظهر، ما يصل إلى 70 سنتيمترًا من الرمال الرطبة. لا يزال هناك وفرة من الطرائد.

28 ديسمبر: بعد ليلة قارسة البرودة، انطلقنا في رحلتنا، عابرين سهولًا واسعة جدًا (فيجات) تفصل بينها خطوط من التلال الرملية (غرود). أصبح الاتجاه العام لهذه التلال اليوم منتظمًا، ممتدًا من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي. هذه السلاسل، رغم تباعدها الكبير، ليست متصلة بل متقطعة في أماكن كثيرة. بشكل عام، يمكن وصف المنطقة بأنها سهل شديد التموج تتقطعه سلاسل وقمم، وليست كتلة رملية متراصة.

في الواقع، الأرض التي نتقدم عليها اليوم ليست عرقًا (بحرًا رمليًا) متراصًا تمامًا، بل هي الحافة الشرقية للمنطقة التي تبدأ فيها الـ «غاسي الملحقة» (أودية)، والتي تتجه جميعها نحو وادي طويل. تبقى منطقة «الوار» إلى الشرق والجنوب الشرقي،

وهذه المنطقة هي التي تصب مياهها في وادي طويل عبر الفروع الصغيرة التي ذكرتها للتو. وفي النقطة «أ»، وجدنا «فيدج» (سهل) كبيرًا من نبات النبكة[1] مع بعض نتوءات من الحطام الصخري (العينة رقم 202: حجر رملي فجوي خشن). أما في النقطة «ب»، فقد صادفنا «غاسي» (وادي) دائريًا صغيرًا يتصل بـ «فيدج»، حيث جمعت العديد من بقايا الحمم البركانية الخلوية السوداء (العينة رقم 203). هذا يثبت أن هذه النقطة كانت موجودة، أو على الأقل وصلت إليها الفيضانات القديمة لوادي إيغرغار، أو تدفقات المياه السابقة لهذا الخط. كما يوجد هنا موقع عمل كبير إلى حد ما يحتوي على أحجار صوان مصنعة وقطع فخارية مزخرفة.

في النقطة «ج»، يقع خليج «غاسي د» الذي يتميز بتربة «ريج» (حصى) ناعمة مغطاة بنبات «النيصي». «غاسي د» نفسه، والذي يليه، له نفس طبيعة التربة، ويتجه نحو «غاسي طويل» في الشمال الغربي وينتهي تمامًا جنوبًا عند خطوط عالية من الكثبان الرملية. ينخفض ارتفاع «العقعق» (المنطقة) ليبلغ بالكاد 200 متر.

شرق الرأس الجنوبي الشرقي من «غاسي G» من «الريج» مع «النيصي»، والذي سينضم أيضًا إلى «غاسي طويل» بعد عدة تضيقات؛ وهنا نرى بعض النتوءات من مادة خشنة مكونة من الحصى وحصى الكوارتز المتصلة بواسطة أسمنت كلسي شديد الصلابة (صخر مشابه لذلك الذي أبلغت عنه في عام 1890 في حمادة درعة العطشان).

في منطقة «H»، يتدفق «غاسي» باتجاه الشمال الشرقي بالقرب منا في ممر واسع سنعبره غدًا. أرضه، ذات التربة الخصبة المغطاة بطبقة من «النيصي»،[2] تترك نتوءًا صخريًا في بعض الأماكن (العينة رقم 204: حجر رملي جيري خشن). شاهدنا الكثير من الغزلان والظباء في كل مكان. في «غاسي ج»، قطعنا مرة

1-النبكة (Nebka): تلة رملية صغيرة أو كومة من الرمال تتشكل وتتراكم حول نبات واحد أو مجموعة من النباتات في البيئات الصحراوية وشبه الصحراوية. تعمل هذه النباتات كمصائد طبيعية للرمال التي تحملها الرياح، مما يؤدي إلى ترسبها وتراكمها حول قاعدة النبات، لتشكل مرتفعات صغيرة تساهم في تثبيت الرمال وتشكيل المناظر الطبيعية الصحراوية.

2-النيصي (Neçi): مصطلح جغرافي يشير إلى مناطق في البيئات الصحراوية وشبه الصحراوية تتميز بتربة رملية أو حصوية (مثل «الريج» أو «العرق») مغطاة بغطاء نباتي متفرق من الأعشاب والشجيرات القصيرة. تُعد مناطق النيصي ذات قيمة رعوية وتوفر غذاءً للإبل والماشية.

أخرى آثار غزاة الهقار القدماء؛ كانوا يتجهون نحو الشمال الغربي للوصول على الأرجح إلى «غاسي طويل». وبعد قليل، قطعنا آثار عشرين فارسًا انفصلوا عن هذه المجموعة متجهين نحو الشرق. وأخيرًا، لاحظنا آثار صيادين، من البدو الجزائريين. ربما يكون هذان الأخيران هما من أسرهما الغزاة، كما أخبرنا بن خطخات، في تيماسانين. اقتصرنا على التخمينات، لكن زحف اللصوص نحو بلادهم يثير قلق رجالي كثيرًا، الذين ينغمسون في جميع أنواع الافتراضات المعقولة إلى حد ما.

النباتات شبه جافة من هذه النقطة فصاعدًا. لم نصادف سوى نباتات «درين»، و«سبوت»، و«هالما»، وخاصة نباتات «هاد» في طريقنا جنوب أودجي. لا تظهر على التربة أي علامات على هطول أمطار حديثة.

29 ديسمبر: بدأ «العرق» (بحر الرمال) يفقد ارتفاعه، حيث لا تتجاوز قممه الرئيسية 150 مترًا، بينما لا تتجاوز القمم الأخرى 100 متر. بشكل عام، تتباعد السلاسل بشكل كبير، وكما رأينا، تفسح «الفيدجات» (السهول) المجال لـ «غاسيس» (أودية) متفرقة تتجه نحو «غاسي طويل»، ليس على شكل ممرات واضحة المعالم، بل مع كثبان رملية متكررة نوعًا ما، تعيقها هنا وهناك. في مسار اليوم، يُعدّ الحرفان C وG النقطتين المهمتين الوحيدتين. تتخذ السلاسل بطبيعة الحال نفس اتجاه الممرات، وهي تقريبًا 35 درجة شمالًا غربًا و35 درجة جنوبًا شرقًا.

الغطاء النباتي، الذي ظل جافًا تقريبًا في الصباح، كما كان بالأمس، يستعيد حيويته وخضرته من الشرق؛ وفي هذه السلسلة يظهر نهر «الأزال» لأول مرة. وهذا هو حده الجنوبي، نظرًا لمساره في «العرق». يتبع هذا الحد خطًا مائلًا بالنسبة لخطوط الطول، وهو موازٍ للاتجاه العام للسلاسل. في الواقع، نجد هنا الحد الجنوبي لنهر «الأزال»، عند خط عرض 30 درجة تقريبًا، بينما يقع على الضفة الغربية لنهر «غاسي طويل» عند خط عرض 30 درجة و30 دقيقة، عند ارتفاع «دراش إل أزال». لا يزال وادي غاسي الطويل في الغرب، وليس بعيدًا عنا كثيرًا؛ لذا أقود المسيرة عمدًا إلى أبعد من ذلك شرقًا، وذلك لتجنب الوقوع في وادي غاسي الطويل الذي أعرفه بالفعل. لذا، فإن مساري لا يتجه حصرًا نحو بلحيران، التي أرغب في الوصول إليها مع ذلك، بل شرقها، وذلك للأسباب التي ذكرتها آنفًا. سأكون قد أرشدتُ، بمفردي تمامًا، الرحلة من طاسيلي إلى حاسي بلحيران .

في هذه النقطة، توجد أودية (غازات) ضيقة، ذات تربة «ريج» ناعمة مغطاة بنباتات «النيصي»، وتظهر فيها بعض النتوءات من شظايا الصخور (العينة رقم 204: حجر رملي كلسي خشن). في «ب»، أودية أصغر حجمًا، تحتوي على نفس النتوءات الصخرية لكن بعدد أقل. في «ج»، أودية ذات تربة «ريج» أوسع قليلاً، ويبدو أن هذا الممر يمتد نحو «غاسي طويل» مع تضيقات متفاوتة. في «د»، أودية ذات تربة «ريج» ناعمة جدًا ونباتات «نبكة» مختلطة ببقايا من الحمم الخلوية (العينة رقم 203). في «و»، سهل (فيدج) مغلق مع تربة «نبكة». في «ز»، أودية كبيرة تبدو مسدودة قليلاً، رغم أنها مغلقة بالكثبان الرملية الطويلة (السيوف). من المحتمل جدًا أن تنتهي كل هذه المنخفضات الطينية عند الخليج المفتوح الكبير على الضفة الشرقية لـ «غاسي طويل» حوالي خط عرض 30 درجة و10 دقائق، وهو خليج كنت قد وصفته في رحلتي بتاريخ 8 فبراير 1892.

30 ديسمبر: انطلقنا في مسار الوادي «أ»، الذي يتميز بتربة «ريج» كوارتزية مغطاة بصخور «النيصي»، وسيلتقي هذا الممر بمسار الوادي «ج» الذي عبرناه بالأمس. على حوافه، تنمو نباتات «الحد» و«الصفر» بكثرة. تظهر أمامنا سلاسل من التلال غير المنتظمة؛ لم تعد معظم قممها تتجاوز 100 متر، بينما تظل القمم الأعلى التي تصل إلى 150 مترًا في الغرب وسط الكتلة الصخرية الكثيفة التي تفصلنا عن «غاسي طويل». نرى، في الضباب، على الأفق الغربي، «دراش الختم». في المسار «ج»، توجد أودية «ريج» مع نباتات «النيصي» و«الصفر» و«الهاد»، تتقطعها سلاسل صغيرة، لكنها تستمر في خط عام نحو الشمال الغربي مع العديد من العوائق الرملية.

في المنطقة «د»، عند رأس الوادي «هـ»، توجد نتوءات صغيرة من الحجر الجيري الخام (العينة رقم 205: حجر جيري رملي، غير منتظم، رملي). الوادي «هـ» مكون من الكوارتز العادي، تتخلله بقع من نباتات «النبكة»، وتغطيه نباتات «نيجي» و«هاد». لاحظنا على تربته آثارًا حديثة نسبيًا (من ثمانية إلى عشرة أيام) لثلاثة خيول راكبة تسير نحو الجنوب. يُحتمل أن هؤلاء هم من الشامبا، صيادي الظباء، القادمين من ورقلة.

31 ديسمبر: نسير في الكثبان الرملية الطويلة (السيوف) التي تتبع مسار الوادي «هـ» الذي عبرناه بالأمس. لم تعد هناك «أوغرود» (تلال رملية) بالمعنى الدقيق

للكلمة. لدينا فقط «سيوف» كبيرة وطويلة جدًا ومتعرجة، تشكل «دراوس» (حواجز رملية) رفيعة تفصل بين الأودية المختلفة. جميعها مغلقة نحو الجنوب الشرقي دون استثناء، وستتحد جميعها، ليس بعيدًا من هنا، نحو الشمال الغربي، مع «غاسي طويل»، الذي لا يفصلنا عنه الآن سوى مجموعات تلال صغيرة الأهمية. في النقطة «أ»، توجد منطقة من «السيوف» والسهول الصغيرة (فيدج). في النقطة «ك»، وادٍ مغلق من كلا الطرفين، كان متصلاً بالتأكيد بـ«غاسي طويل» في السابق، حيث أن السد الشمالي له غير مهم وحديث جدًا.

ثم نعبر سلسلة كثيفة من الكثبان الرملية الصغيرة، لا يتجاوز ارتفاع أعلاها 70 إلى 80 مترًا. يلي هذه السلسلة الوادي «P»، تربته من «ريج» ناعم ممزوج بـ «نبكة» ومغطى بنباتات «الحد» و«النيصي» الخضراء. يقع الوادي «P» بالقرب من الجنوب الشرقي، لكنه ينضم، دون سد، إلى «غاسي طويل» على يسارنا. بعد أن قطعنا عند طرفيهما نتوءين متتاليين من كثبان الشرق الرملية، يحيطان بين أذرعهما بخليجين من «ريج» ناعم، نعبر السلسلة «R»، وهي أكثر سمكًا بقليل من النتوءين السابقين، وتتصل بـ«الغورد» النموذجي، المسمى «مرفغ بن صلاح» أو «مختارة بن صلاح». تكون الكثبان الرملية أحيانًا منخفضة جدًا، ومن بعيد، قد يظن المرء أن «بن صلاح» غير متصل بـ«عرق الشرق»، لكن هذا ليس صحيحًا. نخيم عند السفح الشمالي للسلسلة «R».

طوال اليوم، كانت رياح «تشهيلي» تهب بعنف شديد، قادمة من الجنوب الغربي، ومع ذلك كانت باردة جدًا. هذا يُربك بوصلتي، كما لاحظتُ في رحلاتي السابقة.

1 يناير 1895: عادت الرياح، التي هدأت الليلة الماضية، بقوة هذا الصباح، مصحوبةً بطقسٍ مُنذرٍ بالخطر. عبرنا أولاً مضيق الوادي «P»، الذي يمتد قليلاً فقط نحو الجنوب الشرقي حيث يغلق تمامًا، ولكنه ينضم إلى «غاسي طويل» القريب منا في «مرفغ بن صلاح». يتكون هذا المضيق من القليل جدًا من تربة «الريج»، والكثير من تربة «النبكة» الصلبة، مع نباتات كثيفة جدًا من «الحد» و«النيجي». ويكشف عن بعض نتوءات صخور الحجر الجيري (العينة رقم 206).

ثم ندخل السلسلة «S»، وهي واسعة جدًا وصعبة جدًا، على الرغم من أنها تتكون فقط من «سيوف» منخفضة الارتفاع، تفصلها «فيجات» ذات نباتات

جميلة؛ وهذا هو نهاية نتوء سينتهي في الشمال الغربي، على «غاسي طويل» على بعد حوالي عشرة كيلومترات.

خلف هذه السلسلة يوجد وادٍ جديد «Q»، وهو أحد روافد «غاسي طويل»، الذي لا يغلق إلا في الجنوب الشرقي على بُعد 40 أو 50 كيلومترًا منا. تربته في الغالب «نبكة» تتقطع ببعض أجزاء من «الريج». «الريج» مغطى حرفيًا بنباتات «النيصي». أما الأجزاء ذات تربة «النبكة»، فهي تدعم نباتات قوية من «الحد» و«الصفر» و«الإهبيلة»؛ ويظهر «الصفر» هنا، بأعداد كبيرة، لأول مرة. نخيم على حافته الشمالية، عند سفح سلسلة من الكثبان الرملية «K»، التي تُشكل نتوءًا من «العرق الشرقي» يمتد حتى «غورد زينة». تحتوي هذه السلسلة على نبات «الأزال»، وهو نبات اختفى من طريقنا بعد ظهوره القصير.

لا يزال الإعصار في أوج قوته، لكن الرياح الجنوبية الغربية تميل إلى التحول إلى الشمال الغربي. في الصباح، هطلت ثلاث أو أربع زخات مطرية. كانت الرمال متناثرة لدرجة أننا لم نتمكن من رؤية أي شيء، وللحظة، فقدت أنا، برفقة رجلين أو ثلاثة، الموكب.

لقد عثرنا هذا المساء على آثار جديدة لقطعان الشامبا التي لابد أنها ترعى في المنطقة المحيطة.

2 يناير: برد قارس، ورياح شمالية غربية عنيفة. عبرنا بضعة «سيوف» من «دراوك» الصغير (الحاجز الرملي)، الذي قضينا الليل على حافته، والذي يمتد حتى «غورد زينة».

كل السلاسل، تقريبًا، منذ 30 ديسمبر، ليست سوى نتوءات من «العرق» (بحر الرمال) وباختصار امتداده الشمالي الغربي. يمكن تشبيه المنطقة بنوع من المشط الذي سيكون ظهره هو «العرق» الكامل، وستكون الأسنان هي السلاسل، وستمثل الفترات بينها المنخفضات الطينية التي تتوقف جميعها، على مسافة بعيدة إلى حد ما، في كتلة الرمال، والتي يكون طرفها الآخر مفتوحًا على «غاسي طويل».

2 يناير:- ثم نعبر الوادي «ب»، الذي يحتوي على بعض نتوءات من الصخر رقم 207، لكن تربته عمومًا رملية حصوية (ريج) أكثر من كونها «نبكة». يقع طرفه الجنوبي الشرقي على بعد 15 كيلومترًا فقط منا. كانت نباتات «الصفر» و«الهاد» في هذا الوادي جافة، واختلطت، لأول مرة، مع نبات «الضمران» الجاف أيضًا.

لقد تجاوزنا الآن المناطق ذات النباتات الخضراء الجميلة، ومع ذلك فإن الرمال هنا رطبة حتى عمق 60 سم. لكن هذه الرطوبة تعود فقط إلى الأمطار الأخيرة التي لم يكن لديها الوقت الكافي لإحداث تأثيرها الكامل. ندخل على الفور «دراو آر» (حاجز رملي R)، وهو نتوء آخر يتكون من كثبان رملية متوسطة (سيوف)، تهيمن عليه بعض القمم النادرة الأعلى قليلاً. وفي هذا النطاق يظهر نبات «الدرين الصلب» ذو السيقان الطويلة الشبيهة بالقصب لأول مرة. يختفي نبات «السبوت» في نفس الوقت ولن نواجهه مرة أخرى. في منتصف السلسلة، نعبر عند النقطة «ج»، واديًا صغيرًا، تربته مكونة بالكامل من حطام الصخرة رقم 207، وهو مغلق من جميع الجهات. نخيم في السلسلة نفسها، على مقربة شديدة من حافة وادي «بوغرب»، وعلى مرأى من «غرود بلحيران» (تلال بلحيران). لا يوجد هنا سوى نباتات «الأزال»، و«درين دور»، وقليل من «الحد»، لكن هذه الأنواع الثلاثة من النباتات جافة.

3 يناير: استمر الطقس البارد والرياح الشمالية الغربية بقوة لدرجة أنه كان من المستحيل الشعور بالدفء طوال اليوم. بعد عبور آخر كثبان رملية (سيوف) من سلسلة جبال R، والتي نتبعها بعد ذلك لبضعة كيلومترات، نتقدم نحو وادي كبير، وهو وادي «بوغرب»، والذي سيتلاشى بعد المرور بالقرب من آبار تحمل هذا الاسم في «العرق» على بعد 50 كيلومترًا إلى الجنوب الشرقي منا. توجد نباتات «الضمران» و«الباجول» على تربة «ريج» ناعمة جدًا وملساء للغاية؛ نصادف بعض نتوءات الحجر الجيري رقم 207 من الأمس، ثم أخرى من الحجر الجيري الدولوميتي الرمادي المزرق المدمج، وأخيرًا بعض ألواح الحجر الرملي الخشن، بالقرب من آبار بلحيران.

واجهنا طوال اليوم هبوب رياح جنوبية غربية عاتية، أثارت رمالًا كثيفة. خيمنا في «بلحيران»، قرب البرج الذي أقامته الحكومة الجزائرية مؤخرًا، والذي سُمّي «حصن لاليمانت». وجدنا هناك عددًا من الشامبا الذين أبلغونا بأولى أخبارنا بعد أن هنأونا بعودتنا السعيدة.

4 يناير (إقامة): يستمر الطقس القاسي نفسه مع برد قارس؛ رياح وغبار لا يُطاقان، استمر هذا طوال الليل، وتزامن مع انخفاض الضغط الجوي بمقدار 10 ملم. كان من المستحيل رؤية أي شيء حتى على ارتفاع 100 متر؛ حفرت الرياح

قناة عميقة على طول الأمتعة، وتشكل كثيب رملي على عمق 50 سم خلفها، ولم يتشكل إلا بوجود الأمتعة، لأنه سيختفي فور إزالتها - ارتفاعه يزيد عن 50 سم في حوالي ثلاثين ساعة.

لم تتمكن الإبل من الشرب إلا هذا الصباح، وسط العاصفة، ولم تشرب إلا قليلاً بسبب البرد والرمال.

من بين الحاضرين، لا بد من ذكر «علي معطى الله»، الذي تقع خيامه وقطيعه بالقرب من «غورد زينة»، وكذلك شيخ حراس البرج، السكرتير السابق لأحمد بن الشيخ، القائد السابق لشامبا ورقلة؛ هذا الرجل، واسمه طالب عبد القادر، أصله من توات وينتمي إلى قبيلة أولاد عزي المرابطية. يتحدث لغة التوارق بطلاقة، وقد عاش في أهقار لفترة طويلة؛ ويقول إنه يعرف دمرغو وزندر. إنه رجل ذكي للغاية ولكنه يميل إلى التملق كثيرًا، ولا أعتقد أنه يجب أن نثق فيه ثقة مطلقة.

أستغلّ إقامتي لكتابة رسائل مختلفة، منها رسالة إلى الحاكم العام، لأُبلغه بعودتي مع ممثلين عن الأزجر، وأرجو منه التكرم بدفع مبلغ 7000 فرنك المتبقي لهؤلاء الرجال في أسرع وقت ممكن من ثمن الجمال. كما أُبلغ الجنرال دي لا روكي أن الأمر يخصّه، لا سيما بصفته قائد فرقة قسنطينة. سيستلم هذه الرسائل رجالي المتجهون مباشرةً إلى ورقلة. وفي الواقع، أُسَرّح هنا خمسة عشر من رجال حراستي، الذين لم أعد بحاجة إليهم، لأننا الآن في ديارنا وبعيدون عن الطرق المعتادة للغزاة.

5 يناير: تأخرت المغادرة بسبب تسريح خمسة عشر من رجالي، الذين يأخذون معهم تسعة عشر من جمالي، والتي لم تعد لدي أي استخدام لها والتي سيكون الراحة في المرعى أفضل بكثير من رحلة فارغة إلى بسكرة.

بعد عبور الوادي الذي يتبع البرج، في اتجاه الشمال، نعبر الكثبان الرملية الصغيرة (السيوف) التي تنتهي، إلى الشمال الغربي، بفرع السلسلة القادمة من «حاسي بوغرب»، وهي «سيوف» بلا أهمية، والتي تفصلها عن الكتلة الصغيرة المسماة «أوغرود بنت التلي»، وادٍ لا يعدو أن يكون وادي «إيغرغار»، والذي من هناك وحتى «حاسي البكرة»، يصبح مرتبكًا للغاية ومقطعًا بخطوط «السيوف».

ثم نتقدم على ممر من «ريج» ناعم يجب أن يتدفق إلى الوادي «G»؛ نعبر، مباشرة بعد ذلك، «دراو» (حاجز رملي) مكون من «أوغرود» (تلال رملية)، منفصل

عن بعضه البعض، ولكن مرتبط بسلاسل من «سيوف» منخفضة مثل السلسلة السابقة (السلسلة P)؛ هذا هو في الواقع امتداد لـ «العرق» (بحر الرمال) ولكنه منفصل عنه إلى الجنوب الشرقي بواسطة أسطح من «الريج».

ثم نسير على هضبة من صخور «ريج» منحوتة، عند النقطة «أ»، بحوض ذي قاع من صخور الجبس المتفتتة بسهولة. لهذا الحوض ضفاف تتلاشى تدريجيًا غربًا تحت «السيوف»، لكنها تستمر شمالًا شرقًا، ويبدو أنها كانت تُشكل سابقًا أحد ضفاف «إيغرغار»؛ ومع ذلك، فإن كل هذا مُربك للغاية، ويتطلب الأمر إطلالة شاملة على المشهد من أعلى للحصول، في وقت ما، على وصف دقيق للترتيب العام للتلال. توجد مساحات من صخور «ريج» شديدة الصلابة - والتي يُمكن للمرء أن يُطلق عليها اسم «الحمادة» - من الحجر الرملي الخشن مع مزيج من الصخور الجيرية المشابهة لتلك التي وُجدت في الأودية (غاسيس) في الأيام السابقة. وبعض ألواح الحجر الجيري الدولوميتي.

على يسارنا، تقع أغرود بئر بلكتوتة، وعلى يميننا، تقع أغرود بن رحمون وبل فيران. تتصل الأغرود الأولى بسلسلة جبال R، المكونة من أربع أو خمس قمم رملية، لا تربطها إلا تلال منخفضة جدًا. نعبر هذا الخط ونخيم عند سفحه الشمالي. من الواضح جدًا أن السهل أمامنا لا يمكن أن يكون إلا إيغرغار.

تتكون النباتات اليوم من صفار ودامران وباقول للأسطح الريفية؛ ودرين، وقليل من الحد والأزال للأراضي الرملية. جميع هذه النباتات ليست زاهية اللون، بل جافة تقريبًا بسبب قلة الأمطار في المنطقة.

6 يناير: نسير اليوم على ما كان يُعرف سابقًا بقاع وادي إيغارغار، في تربة كوارتزية جميلة. لم أجمع منها أصدافًا من الحجر الجيري فحسب، بل أيضًا بقايا حمم بركانية خلوية، تحديدًا عند النقطة (أ) من مسار هذا اليوم (العينة رقم 208: حمم بركانية خلوية سوداء). من الواضح أن هذه الحمم لا يمكن أن تأتي إلا من نهري أهغار أو تاسيلي اللذين يحملهما النهر. من الواضح أن التلال الرملية الحالية قد سدت، بل وسدت تمامًا في بعض الأماكن، قاع النهر القديم في فترة حديثة نسبيًا.

في النقطة «ب»، توجد تلال يتراوح ارتفاعها بين 10 و15 مترًا، تتكون من الحجر الجيري الصلب والحجر الرملي في كرات ملتصقة. في النقطة «ج»، في منتصف

منطقة «الحد» (نوع من النباتات)، تظهر بعض نتوءات الصخور شديدة الخشونة (العينة رقم 209: حجر رملي كلسي). اليوم عبرتُ طريقي الذي سلكته في الأول من فبراير عام 1892. مررنا على بُعد أمتار قليلة من بئر بوكلوة (الجديدة) الواقعة في منطقة «عِجْرْغَر» نفسها، تحديدًا عند النلال «ب ب». نخيم في «عِجْرْغَر»، على بُعد مسافة قصيرة شرق بئر البكرة (المُعبأة). اليوم، لم يكن لدينا من النباتات سوى «باغيل» و«دَهْمَران»، على تلال «الحد» وفي مناطق «النبكة»؛ و«درين»، وقليل من «أزال» و«أليندا» في الكثبان الرملية الطويلة (السيوف)، وأخيرًا بعض خصلات «الصفر» على الجَناتر. كل هذا جاف للأسف ويُشكل غذاءً سيئًا لحيواناتنا.

7 يناير: نواصل مسيرتنا نحو منطقة إيغارغار. لا تبدو المنحدرات «KKK»، كما قد يظن المرء للوهلة الأولى كخط متواصل من التلال، بل هي مجرد تلال منفصلة (غور) أو حواف للهضبة العليا تتخللها العديد من السدود أو الوديان (كما كان الحال بالأمس بالنسبة لخط KK). تبدو للعين وكأنها خط منتظم وغير منقطع، لكنها في الواقع ليست كذلك. عند النقطة «أ»، ينفتح مجرى نهر، أو تدفق للوادي الرئيسي، يتصل بحوض بن نعاج، الذي يمكن رؤية ضفافه في البعيد عند النقطة «ج»، في الشمال الغربي.

في النقطة «ب»، قطعتُ طريقي في 21 مارس 1892، والذي اتبعته، نازلاً منه، وادي إيغارغار. في النقطة «ق»، توجد الحلقة الغربية من إيغارغار التي تنحني مباشرة بعد ذلك باتجاه الشرق، لتستأنف اتجاهها الشمالي بعد ذلك بقليل. نعبر حوض زيتا ونمر بالقرب من بئرين. في النقطتين «د د»، توجد هضاب ترتفع من 35 إلى 40 مترًا فوق الحوض. وهي تتكون من صخور رقم 209، وهي خشنة للغاية ومتراكبة على طبقات من الجبس والمارل. تربة هذه الهضاب ليست دائمًا صخرًا مكشوفًا؛ فالأخيرة غالبًا ما تكون مغطاة بقليل من الرمال التي تغذي نباتات «رتيم» و«صفر»، وقليل من «باغل» و«ضمران». في النقطة «هـ»، حوض «حاسي الطيب» على يسارنا؛ في المنطقة (ف)، حوض «الطرفة»، الذي نعبره لنصل بعده مباشرةً تقريبًا إلى حوض «أم الروس»، وهو حوض واسع وعميق ذو تربة رملية ونبكة، يُغذي نباتات «الدرين» و«الباغول» و«الضمر». تقع البئر التي تحمل الاسم نفسه في النقطة الشمالية الشرقية من الحوض.

نُخيّم على الهضبة، فوق هذا الحوض مباشرةً، نظرًا لوفرة نبات «الصفر»، الذي سيُوفّر علفًا وفيرًا ولذيذًا جدًا لإبلنا. هبت رياح جنوبية غربية قوية جدًا بعد الظهر.

8 يناير: نواصل السير على الهضاب الجيرية التي اخترقتها الأحواض. في النقطة «أ» نعبر حوض الشيخ الذي ترتفع ضفافه من 35 إلى 40 مترًا، وهي من نفس الصخرة رقم 209. ويحتوي على بئرين من المياه الصالحة للشرب. في النقطتين «ب ب»، توجد هضاب متموجة، مغطاة في كل مكان تقريبًا بنباتات «النبكة»، تتغذى من نباتات «أليندا» و«الصفر» و«الأزال» و«الدرين». في النقطة «ج»، يوجد واد واسع جدًا يسمى «وادي بل هودان». وهو منخفض ذو تربة رملية، يضم تلالًا صغيرة، وكثبانًا رملية صغيرة (سيوف)، مغطاة بنباتات كثيفة جدًا من «درين» و«أزال» و«درين» (وهو ما يُعرف عربيًا بـ «أرض الحيشات»). نجد في هذا الوادي العديد من الآبار: «حاسي بن زيد»، في «د» (ميتة منذ زمن طويل)؛ في الغرب «حاسي حميان» بعيدًا عن أنظارنا؛ في «ك»، «حاسي بلهودان»، إلخ... نعود إلى الهضاب، في المنطقة الشرقية، ومن هذه النقطة لا نجد سوى أحواض صغيرة ذات تربة جبسية. سنخيم بالقرب من «حاسي بولعروة».

9 يناير: من هذا المخيم إلى تقرت، وهي بلد سبق أن وصفتُه في أعمالي السابقة، لم نسلك سوى السهوب المتعرجة، التي تشقها أحواض أو حُفَر ذات قاع جبسيّ. لا داعي لتكرار ما كتبته في مكان آخر هنا. يكفي القول إنه بعد أن خيّمنا اليوم في مطماطة (عينة صخرية رقم 210: حجر جيري وصوان أبيض)، قضينا ليلة 10-11 يناير في سيدي بوهنية، لنصل إلى تقرت في اليوم نفسه. بعد ستة أيام، وصلنا إلى بسكرة، حيث عدنا، في 15 يناير 1895.

كنت قد تركتُ في تقرت، تحت قيادة النقيب بوجات، القائد الأعلى للحلقة، التوارقيين «محمد آغ يما» و«محمد بن عبد المالك»، ممثلي الأزجر اللذين جاءا معي. وكان من المقرر أن تُرسلهما السلطات العسكرية، بناءً على طلبهما، إلى زاوية غمار، قرب سي محمد العروسي، مُقدِّم التيجانية، التي ينتمي إليها هذان التوارقيان، ريثما تُحسم القضية التي أتيا من أجلها. وقبل القيام بهذه الرحلة القصيرة، طلب مني هذان الرجلان الذهاب إلى تيماسين (على بُعد 13 كيلومترًا من تقرت) لزيارة زاوية التيجانية؛ وقد تكرم النقيب بوجات بمرافقتهما إلى تيماسين،

وبعد إقامة دامت يومين، أمر بنقلهما نهائيًا إلى سي محمد العروسي.

وقد برقت بنفسي من تقرت إلى والي الجزائر، طالباً منه الإسراع في حل المسألة، حتى يسمح لي بالمغادرة إلى الصحراء، بعد أن أبلغت زعماء أزجر، برسالة سلمت إلى أغ يما، باليوم والمكان الذي يمكنهم مقابلتي فيه في الربيع.

الجزء الثاني

المقدمة

عند عودتي إلى بسكرة في يناير 1895، تلقيت برقية من قائد السرب فريدل، القائد الأعلى للمنطقة، نصها كالتالي: «أبلغوا السيد فورو بأن الحاكم العام أمر بدفع 7000 فرنك للطوارق؛ وسيتم إرسال هذا المبلغ قريبًا إلى القائد الأعلى في تقرت».

بعد ذلك بقليل، تلقيت عدة برقيات من الجنرال دي لا روك، قائد فرقة قسنطينة. أبلغتني إحداها بوصول النقيب شيفر، مدير الشؤون المحلية، إلى بسكرة، حيث كان سيتوجه إلى تقرت لتسليم المبلغ المتفق عليه للطوارق، وجاء للتشاور معي بشأن تسوية هذه المسألة. أما البرقية الأخرى، فقد تساءلت عما إذا كنت سأكون حاضرًا في تقرت عند التسوية، وطلبت تحديد التاريخ بدقة.

ولما لم يكن حضوري ضروريًا، وكان عليّ العودة إلى باريس لتقديم تقرير عن مهمتي وإيداع الوثائق والعينات التي أحضرتها، وإعادة تنظيم مهمتي للعودة إلى الجنوب في أقرب وقت ممكن، أجبت الجنرال دي لا روك قائلًا: «لا يبدو وجودي في تقرت ضروريًا؛ سأراك في طريقي إلى باريس».

كنت قد التقيت بالنقيب شيفر في بسكرة وزودته بكل المعلومات اللازمة، وطلبت منه تسليم رسالة إلى زعماء «أزجر» أبلغهم فيها بعودتي الوشيكة. كانت الرسالة كالتالي:

«إلى السي محمد بن الحاج إخنوكن، ومولاي أغ خداج، ووان غيداسن، وأنقروف ولد خلافة، وجميع كبار أزجر، تحيات الفرنسي فورو.

لقد وفيت بكلمتي، ووافقت الحكومة الفرنسية على دفع ثمن الجمال بالكامل. الآن بعد أن تمت تسوية كل شيء بيننا، أتيت لأذكركم بالوعد الرسمي

الذي قطعتموه لي بأن تأخذوني إلى «أيير». سأصل إلى «تاكيت» حوالي الأول من مايو، أي بعد أربعين يومًا تقريبًا من نهاية رمضان. أرسلوا إلى هناك الرجال الذين سيرشدونني، وأرجو أن تختاروا قائدًا موثوقًا به، وليكن مولاي أغ خداج نفسه أو شقيق وان غيداسن. لقد وفيت بوعدي، وآمل أن تفوا بوعدكم».

بعد مغادرتي إلى باريس، تلقيت رسالة من النقيب شيفر مؤرخة في 3 فبراير، يخبرني فيها أنه سلم رسالتي للطوارق، وأودع مبلغ السبعة آلاف فرنك في صندوق رئيس ملحق الوادي، وأنهم سيغادرون بحلول 12 فبراير على أقصى تقدير، برفقة حراسة موثوقة حتى غدامس[1]. وفي 23 فبراير، تلقيت برقية أخرى تؤكد مغادرة الطوارق في 13 فبراير.

بعد أن تمت تسوية كل شيء، عدت إلى بسكرة في مارس لأستعد للمغادرة مرة أخرى، حريصًا على الوصول إلى «تاكيت» في الموعد المحدد، والاستفادة من حسن نية الزعماء، على الرغم من صعوبة الرحلة في قلب الصيف.

كنت أنوي المغادرة فور انتهاء رمضان، لكن بطء استعدادات رجالي أخرني حتى أبريل، مما كان له عواقب وخيمة لاحقًا، حيث واجهت عصابة من الغزاة كان من الممكن تجنبها لو انطلقت مبكرًا.

اصطحبت معي مرافقي «فيلات»، وصديقي «إم إل لوروي» لبضعة أيام، بالإضافة إلى سبعة وعشرين مرافقًا من الشعانبة بقيادة الحاج عبد الحكيم بن الشيخ. لم أحصل على أي تمويل جديد، لذا كانت ميزانيتي متواضعة للغاية، مما أجبرني على تقييد عدد رجال مرافقتي، ولو كان بإمكاني مضاعفة عددهم لما اضطررت إلى العودة.

ورغم محدودية الميزانية، كانت آمالي كبيرة، وكنت عازمًا على النجاح هذه المرة. يحتوي هذا الملخص على عدد قليل من الوثائق الجغرافية الجديدة، لأنني اتبعت في الغالب مساراتي السابقة، ومن عين طيبة إلى البيض، سلكت نفس الطريق الذي سجلته بعثة العقيد فلاتيرز.

(1) من بسكرة إلى البيوض

غادرنا بسكرة في 11 أبريل 1895، ووصلنا إلى المخيم في واحة العليا في 18 أبريل، بعد عبور مقران وشربنا في وادي إيتل وفي دزيوة.

النقطة المشار إليها على الخرائط الحالية باسم «أوغلات زورز» هي في الواقع «أوغلات دويبة»، تمامًا مثل الوادي الذي يقع على حافته هذا النبع المائي. تقع زورز غربًا على الطريق المباشر إلى أولاد جلال. درجة الحرارة مرتفعة جدًا، ونواجه يوميًا رياحًا قادمة من الجنوب للأسف. تشعر الإبل بالعطش بسرعة وتمشي ببطء بسبب الحر. تتجمع الأفاعي المقرنة، ويجب علينا إحصاء العشرات ممن قتلهم رجالي.

اضطررنا للتخييم اليوم، الساعة العاشرة والنصف، بسبب سوء الأحوال الجوية. كانت الليلة خانقة، والنصف في الثالثة فجرًا، والسماء ملبدة بالغيوم، ورياح شهيلي الجنوبية الغربية تهب، في البداية باعتدال، لكنها ازدادت تدريجيًا، وسرعان ما تحولت إلى إعصار حقيقي. كان بإمكاننا تحمل هجماتها بسهولة رغم أن مسيرتنا كانت في مواجهة الرياح، على سهل صخري، لكن كان علينا عبور شريط صغير من كثبان العلية الرملية، ثم كثبان الطيبات، والآن، بعد أن وصلنا على مسافة قصيرة من أول هذه التلال، كان من المستحيل علينا رؤية أي شيء، كنا معميين تمامًا، ورفضت الجمال التقدم؛ لم نعد نعرف حتى أين تقع الواحة، وأين تقع بساتين النخيل - وهي جوفاء هنا كما في سوف. لم يتبق لنا شيء نفعله سوى التخييم، وهو ما فعلناه دون أن نعرف مكاننا بالضبط. ولم ندرك إلا في المساء، عندما هدأت رياح الشهيلي، أن الخيام التي نصبت بشق الأنفس كانت في حديقة في الجزء الشمالي الأوسط من الواحة، في مواجهة الكثبان الرملية.

19 أبريل 1895: في هذا الصباح، رافقني «لوروا» إلى قمة التل الذي يفصل منطقة العليا عن طيبة الدهراوية. بعد ذلك، اتجه «لوروا» شمالًا بينما واصلت أنا طريقي جنوبًا.

نُخيّم في حاسي خلدية، حيث اضطررنا لسقي الحيوانات مرة أخرى، رغم أنها شربت الليلة الماضية. إنها تشعر بعطش شديد بسبب ارتفاع درجة الحرارة، فالصيف يبدأ الآن مبكرًا جدًا هذا العام. نشعر بالفعل بوطأة السفر في الصحراء خلال فصل الصيف الحار.

كنت قد قررت في البداية الذهاب عبر سهول «المزابي» أو «بلحيران»، ثم عبور «العرق» (بحر الرمال) من الشرق، والشرب في «تبانكورت»، ثم قطع «العرق» من الجنوب للوصول إلى «عين الحجاج». كان هذا لتجنب نقطتي «البيض»

و«تيماسنين»، اللتين علمت أنهما غير آمنتين في هذا الوقت من العام، وقد حذرتني منهما معلومات تلقيتها من جهات مختلفة. لكن لإتمام هذا البرنامج، كان من الضروري السفر ثمانية أيام على الأقل بدون ماء، من «بلحيران» إلى «تبانكورت». الآن، يخبرني الحاج، قائد موكبي، أنه متردد للغاية في تحمل المسؤولية، في هذا الوقت من العام وعلى الرغم من طول الأيام، في المخاطرة بمثل هذا العبور بجمالي، التي فقد معظمها وزنًا في رحلتي الأخيرة ولم تسترح بشكل كافٍ ولم تصل إلى حالة جيدة بعد. أخبرني أن هذا كان من المحتمل أن يؤدي إلى خسارة القافلة بأكملها بعد خمسة أيام، أو ستة أيام على الأكثر، من المشي، وأنه كان أيضًا، كنتيجة حتمية، خسارة جميع رجال البعثة. في لحظة حرجة، وارتكابًا لتهور خطير نظرًا للموسم، ربما كان بإمكاني محاولة العبور بحيوانات طازجة وسمينة، لكن كان عليّ شراء ستين جملًا، وهي تكلفة كانت ستبلغ حوالي عشرة آلاف فرنك. لم يكن لديّ أي شيء زائد عن الحاجة فحسب، بل كنت أفتقر حتى إلى ضروريات السفر، لذلك لم أستطع اختيار هذه الخطة الجديدة. لذلك، اضطررت، بعد تفكير عميق، إلى اللجوء إلى أقصر طريق لعبور «العرق»، أي من «عين طيبة» إلى «البيض»، وهو طريق يمكننا إكماله في خمسة أيام، وقررت التوجه مباشرة نحو هذه النقطة الأولى.

عندما مر الحاج بتقرت قادمًا إلى بسكرة، في نهاية الشهر الماضي، كان هناك اثنان من توارق «إيفوغا» في «تيماسين»، وقد أرسلوا إليه رسالة مفادها أنه إذا غادرت مرة أخرى إلى الصحراء، فسينضمون إليّ طوعًا في مهمتي للسفر بمرافقة آمنة. ورد الحاج على مبعوثهم بأنه لا يعلم شيئًا عن خططي. ولم أُبلَغ بهذه المحادثة إلا في «دزيوة»، فأرسلتُ على الفور فارسًا، مستأجرًا من هذه القرية، ليحمل رسالة إلى هؤلاء التوارق أخبرهم فيها أنني سأغادر إلى «طاسيلي»، وأنه إذا كانت هذه رغبتهم، فيمكنهم الانضمام إليّ في الطريق، وأشرتُ إليهم بخط سير رحلتي. ولم ينضموا إلينا بعد، وكنت أتوقع تقريبًا أن أراهم يصلون إلى هنا هذا المساء.

تهب الرياح والرمال باستمرار، إنه لأمرٌ مُرهقٌ حقًا: البنادق والأدوات والأقلام والمحبرات، كل شيءٍ مليءٌ بها. العمل صعبٌ للغاية ومؤلمٌ للغاية: العيونُ مريضةٌ وتجد صعوبةً في فتحها، حتى في الخيمة حيثُ تتراكم الرمال باستمرار.

20 أبريل: عبرنا مناطق «العيشات» جنوب بئر «الخالدات». يُطلق على هذا

المنخفض هنا اسم «وادي لفاش»؛ ثم صعدنا مباشرةً إلى الهضاب التي تُشرف عليه، وعبرناها على تربة «ريج» مع نباتات «ضمران» و«باقل». يُقطع «الريج» أحيانًا بمسطحات من «النبكة» التي تُغذي نبات «درين». غربًا، نرى على التوالي «عرق الزيت» و«عرق بوخزانة»، يليهما «عرق حفرة شاوش»، ثم أخيرًا «غور كندوز»، الذي نُخيم شرقه، على بُعد مسافة قصيرة من الرأس الصخري المسمى «خشم الرريح».

انضم إلينا في المساء ساعٍ (ديرة) يحمل رسائل أرسلها لي النقيب بوجات، القائد الأعلى لتقرت. أبلغتني هذه الرسائل في البداية أن الإيفوغا، الذين كانوا في «تيماسين»، قد عادوا إلى «غيمار» وغادروا إلى «غدامس» في الرابع عشر من هذا الشهر؛ وقد نقل النقيب رسالتي إليهم بالفعل، عبر الضابط المسؤول عن مركز الوادي، لكنه شكك في قدرتهم على الوصول إليّ في الوقت المناسب؛ وأضاف النقيب أن هؤلاء التوارق قد تلقوا تحذيرات من أقاربهم بأن الطريق الآمن الوحيد حاليًا هو عبر «غدامس»، وبالتالي، من غير المرجح أن يأخذ هؤلاء الإيفوغا بهذه النصيحة في الاعتبار. كما أبلغني السيد بوجات بمعلومات حديثة وغير منشورة تمامًا وصلت إلى المكتب العربي في تقرت والوادي. يمكن تلخيص هذه المعلومات على النحو التالي: «سيُستقبل السيد فورو استقبالًا جيدًا للغاية من قِبل الأزجر (الذين سيساعدونه بالتأكيد في تنفيذ برنامجه)، ولكن، من ناحية أخرى، يجب عليه الحذر من الأهجار الذين يراقبونه والذين لا ينوون أبدًا السماح لأي فرنسي بالمرور...». وأُضيف أيضًا أن الوضع، في أعقاب الأحداث الأخيرة، كان متوترًا للغاية بين الأهجار والأزجر وأن من المرجح حدوث تصادم بين المجموعتين قريبًا.

20 أبريل: لقد سلمت رسالة إلى الساعي (ديرة) شكرت فيها الكابتن بوجات – الذي كان لي الشرف أن أكون صديقه لسنوات عديدة – على المعلومات التي أبلغني بها للتو.

اثنان من رجالي يغادران أثناء الليل إلى «غورد زينة» حيث سيغيرون المهاري التي يركبونها.

21 أبريل: ندخل منطقة «البعوض» (اسم محلي). وهي مغطاة بالكامل تقريبًا بنباتي «الصفر» و«الدامران»، وكلاهما جاف بسبب قلة الأمطار لفترة طويلة. أما بالنسبة للأحواض المحفورة في هذه المنطقة، أو أسرة الرمال المتراكمة التي تفصل

«البعوض»، فهي لا تزال في تربة خصبة مع القليل من «الدامران» و«الباغول» وبعض بقع «النبكة» المغطاة بنبات «الدرين»، وكلها جافة بنفس القدر. نعبر خط منحدر، غير محدد للغاية وبالكاد يُشار إليه، والذي يُسمى «حبل الدرين»، والذي يمتد باتجاه «غور بكرا» إلى الغرب. إلى اليسار وقريبًا جدًا منا، تبقى كومة الرمل الصغيرة المسماة «عرق المنصوري»، ثم نجد حوض «بن شنتير» الذي يرتفع على حافته «زميلتيل غدامسي»، الذي نحيط بقاعدته للحظة إلى الغرب. من هذه النقطة لدينا، إلى اليمين في المسافة، «غور مخادمة». أبعد قليلاً جنوبًا، عبرنا وشرق «غور طرفاية»، وهي أبعد عنا. أما بقية طريق هذا اليوم، فنقطعها فقط على قمة «جبل القناطر». وتسيطر هذه القمة بانتظام على الأحواض بما يتراوح بين ثلاثين وأربعين مترًا، وهذا أمر ثابت في منطقة «جبل القناطر» بأكملها. نُخيّم عند «سيف ماعت الله»، وهي قمة رملية صغيرة، تُرى من بعيد على سطح «جبل القناطر».

نغادر في هذا الموسم الساعة الخامسة صباحًا، ونستيقظ الساعة الثالثة والنصف. نسير حتى حوالي الثالثة، أو على الأكثر الرابعة مساءً، على الأقل بالنسبة للموكب، لأن قائد «المهاري» – الذي أكون دائمًا جزءًا منه في بلد آمن كهذا – يصل عادةً، سواءً وقت الغداء أو عند نقطة التوقف، قبل الموكب بساعة على الأقل.

هبت أمس واليوم رياح شمالية غربية خفيفة، مما خفف من وطأة الحرارة، لكن حرارة الشمس مرتفعة جدًا، ما يجعل الجو مُرهقًا للغاية، خاصةً من العاشرة صباحًا حتى الثانية ظهرًا. للأسف، عندما يكون الجو هادئًا، أو تهب الرياح الجنوبية، يصبح الجو حارًا جدًا. جمالي عطشانة بالفعل، رغم أنها شربت بغزارة أول أمس؛ فكيف سيكون الحال في «العرق» إذا هبت رياح جنوبية؟

في فصل الشتاء، يكون الجمل حيوانًا رائعًا، ولكن في الصيف لا يملك مقاومة كبيرة للعطش، ويصبح كل مستكشف صحراوي في هذا الموسم عبدًا لقافلته.

لم أسافر ليلاً بعد، مع أن هذه الطريقة في المشي أفضل بكثير، ولكن إذا كان المشي ليلاً مناسبًا مع عدد قليل من الحيوانات، أو على ضوء القمر، فالأمر يختلف تمامًا بالنسبة لقافلة كبيرة وفي الليالي المظلمة، في المناطق الجبلية. تتفرق الإبل، وتختفي بسرعة عن أنظار سائقيها، وبعد فترة وجيزة لا يعود المرء يعرف مكانه؛ أخشى بشدة، باختياري هذه الطريقة في السفر، أن أُضطر إلى انتظار القمر، أو

على الأقل، المسار الذي سيتطلب المشي ليلاً، تحت طائلة عدم القدرة على العبور والبقاء عالقًا بعيدًا عن مصدر الماء.

22 أبريل: نواصل مسيرتنا على الصخر الطيني، من بودنغ الحجر الجيري الصلب، المغطى في أماكن صغيرة بالرمل ونبات «الصفر». نعبر حوض «بلأدهم»، وهو حوض واسع ذو تربة «ريج» مغطاة بنباتي «الدحمران» و«الباغول» ويقع على عمق 45 مترًا أسفل الهضاب؛ نسقط بعد ذلك بوقت قصير في حوض كبير على شكل واد (حوض «لفايا») متصل بحوض «حاسي الغنامي»، دون أن يكون من الممكن التأكد، دون تسوية مسبقة، في أي اتجاه يقع منحدر هذا الوادي. تربة حوض «لفايا» «ريج» على الحواف، وكثبان رملية صغيرة جدًا أو بالأحرى تلال رملية في المنتصف؛ تنمو على هذه التلال بكميات كبيرة جدًا نباتات «زيتا»، ثم «أليندا» و«الباغول». تقع بئر «لفايا» في منتصف هذه التلال، وفي الجزء الجنوبي الغربي من الحوض. ثم نعود إلى أعلى «بودنغ جناتر» الذي سرعان ما يقودنا إلى حوض «حاسي بن نمل» (القديمة)، وهي بئر ميتة اليوم وحل محلها «حاسي بن نمل» الجديدة، الواقعة في جزء آخر من نفس الحوض والذي نخيم بالقرب منه. في هذا الحوض الكبير الذي، مثل الحوض السابق، على اتصال بحوض «حاسي الغنامي»، نجد نباتات جميلة من «أزال» و«هارتا» و«ألندا»؛ هذه النباتات خضراء بما يكفي لهذا العام؛ ومن المناسب إضافة «الدرين». كل هذا ينمو على أكوام صغيرة من الرمال. هذا الحوض أيضًا على اتصال مباشر إلى حد ما بحوض «حاسي مجيرة» الواقع بالقرب منه في الغرب.

نجد عند هذه البئر أحد قادة «شامبا قبلة»، أحمد بن حكموم وشقيقه الشيخ عبد الحكيم، والد الحاج كبير مرافقي. خيامهم وعائلاتهم ليست بعيدة عن هنا، وكانوا عند البئر قبل ثلاثة أو أربعة أيام. وظنّ الزعيم أننا سنُخيّم عند خيامه، فأجبته بالنفي، وأننا سنبقى هنا لحاجتنا إلى الماء.

الجو حارٌّ جدًا لدرجة أنه يستحيل البقاء في الخيمة، حتى وهي مفتوحة من كلا الطرفين. جمالنا لا تحصل على ما يكفيها من الماء؛ فهي تقضي فترة ما بعد الظهر تشرب قبل أن تخرج للرعي.

يبدو أن هناك عددًا كبيرًا من إبل «الشامبا» في «عين طيبة» حاليًا. هناك يجدون طعامًا جيدًا، بينما في الصحراء الكبرى، من ورقلة إلى سلسل ذنون، لا

يوجد ما يؤكل.

رياح ضعيفة ولكنها ساخنة من الجنوب الشرقي طوال اليوم.

23 أبريل (إقامة): نسقي الإبل التي لم ترتوِ أمس. ستخيم عائلة القائد وحاشيته اليوم في «حاسي بوسرول»، على بُعد اثني عشر كيلومترًا من هنا، وسيشرعون فورًا في تنظيف هذه البئر، المليئة بالرمال بكثافة والمعرضة للانهيارات الأرضية. يفضلون التوقف عند هذه النقطة لأن الكثبان الرملية الصغيرة المجاورة مغطاة ببذور نبات «الدرين» (المعروفة عربيًا بـ «اللول»)، وهذه البذور تُوفر غذاءً ممتازًا للإبل. أشتري لنفسي «مهاري» (جمل سريع) من القائد؛ ففي هذا الموسم، من الجيد أن يكون لدينا دواب احتياطية لأريحها من حين لآخر. كما أشتري جملين بحالة جيدة لتعويض جمالي المتضررة من الأحمال. تجدر الإشارة إلى أن عدم جاهزية حيوانات موكبي تمامًا لا يُعزى إلى الاختيار الذي اتُخذ عند شرائها في الأصل، ولكن تجدر الإشارة إلى أنها سارت وحملت، من نهاية سبتمبر 1894 إلى نهاية يناير 1895، وخلال شهري الراحة اللذين منحتهما لها (فبراير ومارس)، لم تجد سوى مراعي كريهة.

إن نقص الغذاء لقطعانهم في محيط ورقلة – وأعني بذلك دائرة نصف قطرها 50 كيلومترًا – أجبر «الشامبا» على الانتقال بعيدًا عن مدينتهم والبحث عن مواقع أكثر ملاءمة. والآن يقع الحد الشمالي للأمطار، وبالتالي للنباتات، على مقربة من درجة العرض 31. ولاستغلال هذه المنطقة، كان من الضروري حفر آبار جديدة؛ وقد حفر «الشامبا» للتو بعضها:

1) بالقرب من «غورد زينة».

2) بالقرب من «غورد الثير».

3) بالقرب من «غورد زوتي».

وبهذه الطريقة يمكنهم الرعي في منطقة «سلسل ذنون» بأكملها، وعلى العود الشمالي من «العرق». وتستخدم أجزاء أخرى، كما ذكرت سابقًا، «عين طيبة».

طلب مني عدد من رجالي، بمن فيهم قائد حرسهم، الإذن لقضاء بقية النهار والليل مع عائلاتهم في «حاسي بوسرول»؛ وسينضمون إليّ غدًا صباحًا في الطريق. لا يزال القائد معي، وبعض أبنائه، وشقيقه، وأقارب حرسهم.

24 أبريل: انطلقنا باكرًا، برفقة القائد وشقيقه لبضعة كيلومترات، ثم ودعانا

عائدين إلى معسكريهما في «بوسروال». واتبعا عادات «الشامبا» في كرم الضيافة، وأهدوني الحليب والطعام. أما الرجال الذين بقوا في خيامهم طوال الليل، فلم ينضموا إليّ إلا عند الظهر تقريبًا.

نسلك طريقًا موازيًا لمسار رحلتي في الرابع من نوفمبر 1894، باتجاه الشرق منه، ونخيم تقريبًا في نفس النقطة التي خيمنا فيها اليوم. مرّ طريقنا أولًا عبر هضاب شديدة التموج ذات تربة رملية وطينية؛ ثم عبرنا سفح «جبل أغرود الملاح»، ومررنا بالبئر المسمى «حاسي بومزة»، ولمسنا «جبل غرود الجريبية» شرقًا، وأخيرًا خيّمنا بين هذه القمة الرملية وقمة «رتماية».

تهب رياح «شهيلي» بقوة من الجنوب الشرقي طوال اليوم، لكنها لا تُثير أي رمال. الحرارة خانقة والرمال تسخن لدرجة أنه من المستحيل، من اليوم فصاعدًا، على الأوروبي أن يمشي حافي القدمين؛ حتى أن السكان الأصليين أنفسهم بدأوا يرتدون نعالهم ويقولون لي إنهم لن يكفوا عن ذلك من الآن فصاعدًا.

نشرب كميات من الماء لا يتخيلها أحد في فرنسا؛ أنا وبحّاري نستهلك أكثر من اثني عشر لترًا من السوائل يوميًا؛ ومن المؤكد أن السكان الأصليين يمتصون كميات أكبر بكثير مما نستهلكه، دون معاناة أو مشاكل هضمية. يصبح الإنسان آلة تبخير، أو إبريقًا إن شئت، وهذا أمر لا مفر منه؛ في الواقع، تبلغ درجة حرارة الإنسان السليم حوالي 37 درجة مئوية، لكننا نتعرض، في معظم اليوم، لدرجات حرارة أعلى من هذا الرقم، لذا من الضروري أن نخفض درجة حرارتنا؛ لخفضها يجب أن نتبخر، ولكي نتبخر يجب أن نشرب؛ هذه هي المهمة الرئيسية للمسافر في الصيف، في الصحراء الكبرى.

لن ندخل المنطقة ذات النباتات الجميلة إلا غدًا؛ فكل شيء حولنا جاف، باستثناء بعض كتل نبات «الدرين»، والتي، كونها مغطاة ببذور نبات «اللول»، توفر لجمالنا عشاءً جيدًا.

25 أبريل - نتخذ نفس الطريق تمامًا كما في 5 نوفمبر 1894، وهو الطريق الذي يأخذنا عبر فيج ضمران رقم 3 ونخيم في فيج ضمران رقم 2، عند حدها الشمالي وبعد عبور السلسلة الشمالية القصوى من سلسلة جبال ذنون.

25 أبريل: لا تزال الحرارة شديدة جدًا بسبب هبوب رياح «الفلفل الحار» دون توقف. أشار مقياس الحرارة اليوم إلى 39 درجة مئوية عند الساعة الواحدة

والنصف ظهرًا، و40.5 درجة مئوية عند الساعة الثالثة والنصف، ومع ذلك، تُغطى السماء بسحب خيطية صغيرة. نتعرض أحيانًا لهبات رياح أشد حرارة من غيرها، وهي الرياح التي مرت لتوها فوق كثيب رملي شديد الحرارة، حيث تكون درجة حرارة الرمال أعلى بكثير من درجة حرارة الهواء الذي يتم امتصاصه بواسطة المقلاع.

معظم إبل «المهاري» التي يملكها الرجال لديّ قد جزّت صوفها، باستثناء الأرجل والسنام والجزء الذي يُستخدم كوسادة للسرج. يُعدّ الشعر المُزال في هذه العملية ذا قيمة عالية، ويُستخدم في صنع الخيام وحقائب الحمولة؛ وهو أحد مصادر الدخل التي تُوفّرها القطعان لأصحابها.

26 أبريل: سلكنا نفس مسار 6 نوفمبر 1894، بالإضافة إلى نصف مسار 7 نوفمبر. نُخيّم عند سفح هضبة «أوغرود» (تل رملي)، بعد مسيرة طويلة ومرهقة للغاية، بسبب رياح «الفلفل الحار»[1] العنيفة المصحوبة بحرارة شديدة. من أبرز المعاناة التي واجهناها عند النزول عدم القدرة على إيجاد أدنى ظلّ بسبب ارتفاع الشمس. كان علينا شرب كميات هائلة من الماء، ورغم ذلك، كان الفم جافًا جدًا، بعد بضع دقائق، لدرجة أنه كان من المستحيل العثور على ذرة لعاب. كانت الإبل منهكة بالفعل لدرجة أنها بمجرد تفريغها من أحمالها، كانت تستلقي أو تتجمع معًا في كتلة واحدة دون أن تتفرق لتناول الطعام؛ هذا الموقف استمر حتى حدود الساعة الخامسة أو السادسة مساءً، حيث تمكنا أخيرًا من دفعهم نحو الخصلات التي قرروا في النهاية تناولها بشفاههم.

27 أبريل: غادرنا المخيم في وقت مبكر جدًا، وبعد نزهة شاقة في الكثبان الرملية، وصلنا إلى عين طيبة في الساعة التاسعة صباحًا.

لا تزال قطعان كثيرة ترعى في المنطقة المحيطة، وتأتي للشرب من العين. عند وصولنا، كان أحد القطيعين يحتل الآبار، وآخر ينتظر دوره. اضطررنا لفعل الشيء نفسه والسير خلفهما.

إن جمال «شامبا» التي ترعى لمدة يوم أو يومين أو حتى ثلاثة أيام في «العرج»

1-رياح الفلفل الحار (Chehili/Sirocco): مصطلح محلي يصف رياحًا جنوبية صحراوية حارة وجافة وشديدة، غالبًا ما تكون محملة بالغبار والرمال. تهب هذه الرياح عادةً من الصحراء الكبرى وتسبب ارتفاعًا كبيرًا في درجات الحرارة، مع جفاف شديد، وتؤثر سلبًا على الراحة والقدرة على الرؤية والتنفس.

(بحر الرمال)، تبقى ستة أو سبعة أيام دون العودة إلى مصدر الماء، ولكن يجب أن نلاحظ أنها تأكل نبات «الهالما» الخضراء، وأنها لا تعمل، وفوق كل هذا تبدو عطشى للغاية.

ومما يزيد الطين بلة، أن الآبار قليلة الماء، إذ لا تمر دقيقة واحدة، لا ليلاً ولا نهارًا، دون أن تُستخدم للري؛ ويوجد حاليًا ما بين خمسة عشر وستة عشر بئرًا محفورة على حافة البركة. وقد انخفض هذا المنسوب بأكثر من مترين، وهو أقل من مستواه الطبيعي الذي لاحظته عند مروري الخريف الماضي، لذا فإن مياه الآبار سوداء اللون وذات جودة رديئة، خاصةً وأنها حُفرت بالقرب من الهاوية، وفي بعضها، يتسرب ماء البركة مباشرةً تقريبًا عبر تجاويف الحواف.

يسجل مقياس الحرارة المغمور في الرمال، عند الساعة الحادية عشرة صباحًا 55 درجة مئوية، وعند الواحدة والنصف 61.5 درجة مئوية؛ هذه المؤشرات كافية لإعطاء فكرة عن الحرارة التي يتعرض لها الإنسان في منطقة وفي وقت حيث الخيمة غير صالحة للسكن على الإطلاق، وحيث لا توجد طريقة للحصول على متر مربع من الظل.

لا نستطيع الوصول إلى الآبار إلا في الساعة الثالثة، وللأسف لم يعد بها ماء أو لا يوجد بها ماء تقريبًا.

أهم الناس الذين تم العثور عليهم في هذه المرحلة – باستثناء بعض «الشامبا» – هم «أولاد زغاية»، وهم في الأصل من زوا عين صالح، ثم زوي آخر لا يزال يعيش في زاوية كحالة، ما يسمى بـ«الباهاوس»، وهو نوع وسيم من البربر ذو لحية طويلة.

سألني الأخير، الذي كان على علم بجولتي العام الماضي في «حاسي المنقار»، عن سبب عدم ذهابي إلى موطنهم. ولأنني لم أُرِد إخباره بأن تعليمات الحاكم العام للجزائر نصحت بعدم تجاوز عين القطارة، أجبته بأنني، لعدم معرفتي بأحد في زاوية الكحالة، فضّلتُ العودة أدراجي. فأجابني: «في المرة الأولى، لا تعرف أحدًا، هذا صحيح، لكن الزيارة تُكسبك أصدقاء». قرر جلب قطعانه إلى هنا للرعي، بالإضافة إلى رعاة الزوة الآخرين، نظرًا لسوء حالة الغطاء النباتي في بلده، حيث قضى جفاف طويل على جميع النباتات. علاوة على ذلك، تربط جميع رعاة الزوة علاقات ودية مع «الشامبا»، ويأتون دون خوف إلى مراعيهم وإلى مدننا الجنوبية.

أخبرني هؤلاء الناس بخبر: مرّ«قويدر بن يونس» من هنا قبل ثلاثة أيام، متجهًا

إلى عين صالح، برفقة أحد «أولاد معروف» (كلاهما من قبيلة سوف). يستقلّون جمالًا محملة بالسكر والأموال؛ هدفهم الرئيسي هو شراء العبيد لجلبهم وبيعهم في الجزائر، وهذه هي تجارة «قويدر» المعتادة.

مرّ بعض «أولاد مختار» وواحد أو اثنان من «الباحماويين» أيضًا في الأيام الأخيرة، متجهين إلى «سوف»؛ وأعلنوا أن قوةً عسكريةً ستغادر عين صالح حوالي 17 أبريل، قوامها خمسون «مهري» (جملاً سريعًا)، تتألف من «أولاد باحمو» وبعض المنشقين من «شامبا»، من بينهم «إمبارك بن الهييب». سيتجه هذا الغزو نحو الشرق أو الجنوب الشرقي، ليغزو «الإيفوغاس»، أو «الإساكامارين»، أو «الإمانغاساتن»، إما باتجاه «غدامس» أو «أمغيد». [1]

أعاني من آلام في العين والمعدة لا تمنحني قسطًا كافيًا من الراحة، وتزداد سوءًا بسبب ارتفاع درجة الحرارة.

28 أبريل: البقاء لإراحة القافلة وسقيها جيدًا، لأن الجمال لم تغسل أفواهها أمس (أي لم تشرب جيدًا). وتُنقل إلى البئر الساعة الثانية صباحًا، ولا تُرسل إلى المرعى إلا الساعة السادسة صباحًا.

إن «العرق» (بحر الرمال) مثير للاهتمام حقًا في هذا الموسم؛ فلا توجد ظلال على جوانب الكثبان الرملية، أو على الأقل تكون هذه الظلال خفيفة تقريبًا مثل الأجزاء المعرضة للشمس. الرمال أقل احمرارًا مما هي عليه في الشتاء وأكثر اصفرارًا. كل شيء مُغطى بنوع من الضباب ذي سطوع قوي جدًا، خانق للتنفس، ومتعب للغاية للعينين. في الصباح على وجه الخصوص، على الرغم من أن التأثير يكون محسوسًا أيضًا في منتصف النهار، فإن الشمس مغمورة بنوع من البخار الثقيل الذي يثبط إشعاعها ويعطي النجم مظهر قرص من الذهب القديم تكون حوافه مشوشة بعض الشيء وتفتقر إلى الحدة؛ على الرغم من ذلك، فإنه يحترق تمامًا.

الصحراء الكبرى بلدٌ قاسٍ صيفًا، وخاصةً منطقة «العرق»، حيث ترتفع حرارة الرمال إلى درجة غير مسبوقة، ولا يُحتمل الطقس إلا في ساعات الصباح الباكر (من الواحدة صباحًا إلى الرابعة صباحًا). اليوم، تحمل الرياح كمياتٍ كبيرة من الرمال، ويزداد الضباب الذي يحجب السماء كثافةً. تحت الخيمة، تتراوح درجة

1- سنرى، بعد قليل، أن هذه المعلومات كانت غير دقيقة جزئيًا؛ وخاصة تلك المتعلقة بالتاريخ والتكوين والعدد. إلى الشمال الشرقي، لا يزال هناك أكثر من 1500 حيوان هنا، سواء من «شامبا» أو «زوا».

الحرارة بين 46 و49 درجة.

على الرغم من أن العديد من جمال البدو لدينا قد عادت بالفعل . وسوف سنغادر غدًا، ولكن بما أنه تقرر الآن أن نسير ليلًا، لتجنيب حيواناتنا التعب الشديد، فلن نغادر عين طيبة حتى المساء، وبالتالي لن نسقي القطيع حتى الغد.

في المساء، تتحول الرياح إلى الشمال الشرقي، مما يُخفف الآلام فورًا، ليس لأن هذا التغيير يُخفض درجة الحرارة بشكل طفيف، بل بسبب طبيعة الرياح الشمالية. يُلاحظ تأثير خاص – من الناحية الفسيولوجية – تُحدثه رياح الصحراء الكبرى على الإنسان باستمرار. فعندما تهب من المناطق الجنوبية الغربية أو الجنوبية أو الجنوبية الشرقية، تُسبب جفافًا شديدًا ومؤلمًا للأغشية المخاطية للفم والأنف؛ وعلى العكس، لا تحدث هذه الظاهرة بنفس الحرارة بالنسبة لمقياس الحرارة عندما تهب الرياح من المناطق الشمالية الغربية أو الشمالية أو الشمالية الشرقية. في الحالة الأولى، يجف الفم بدرجة غير معروفة في أوروبا، ويصبح مُرًّا؛ وكلما شرب المرء أكثر، ازداد الجفاف حدةً، وشرب بشراهة. أما في الحالة الثانية، فعلى العكس، لا يشعر المرء بالعطش، ويحافظ الفم على إفراز اللعاب الطبيعي. سيكون هذا موضوعًا شيقًا للغاية للأطباء لدراسته.

يسود هنا طوال الصيف – مهما كان اتجاه الريح – ضباب رماديّ دائم يُغطي جميع قمم «الأغرود» (التلال الرملية) بطبقة رقيقة من الضباب، حتى مع هدوء الرياح وغياب الرمال المرتفعة المنتشرة في الجو؛ وهذه هي السمة الأبرز للصحراء في هذا الوقت. أما في الشتاء، فعندما تكون الرياح هادئة، تكون جميع التضاريس واضحة وجميلة للغاية، إلا إذا خضعت الأجسام المرئية لظاهرة السراب.

29 أبريل: طوال الليل، كانت آبار قبيلتي بن زغاية وشامبا أولاد بوسعيد مأهولة بقطعانها، ولم ينسحبوا إلا حوالي الساعة السادسة والنصف صباحًا، عندما ذهب رجالي لسقي «المهاري». أحضر لي جميع هؤلاء البدو كمية وفيرة من الحليب الحلو والحامض.

ولحسن الحظ، فإن الرياح تبقى في الشمال الشرقي، ولكنها تثير الرمال التي تغطي السماء بغبار غير محسوس، وفي وسطها تظهر الشمس بدون إشعاع وكأنها تُرى من خلال عدسة ملونة.

تنتظر قطعان الماشية حولنا ريّ مواشينا، وهي عملية لا تنتهي إلا حوالي الساعة

الواحدة صباحًا. تم رفع جميع قرب النبيذ والبراميل المملوءة من أسفل العين. وبجمع حجم هذه الحاويات المختلفة، لدينا مخزون من الماء يبلغ حوالي 1700 لتر.

يُحفظ الماء في البراميل باستمرار عند درجة حرارة تتراوح بين 45 و46 درجة مئوية؛ ولا تنخفض هذه الدرجة ليلاً بشكل ملحوظ، لأن الخشب موصل رديء للحرارة. وتجدر الإشارة إلى أن الماء عند هذه الدرجة لا يصلح للشرب؛ لذلك، نضطر لاستخدام ماء القِرَب، الذي يُحفظ ممتلئًا باستمرار بفضل ماء البراميل. تُعطي القِرَب، بفضل تبخرها السريع، ماءً باردًا نسبيًا.

غادرنا الساعة الخامسة والنصف مساءً وسرنا طوال الليل. ومن المستحيل رسم مسار دقيق أثناء السفر ليلاً؛ علاوة على ذلك، وفي هذه الحالة، لا يمثل ذلك إزعاجًا كبيرًا، لأنني اتبعتُ باستمرار طريق «المجبّد» (المسار المعتاد والواضح) من عين طيبة إلى البيض؛ وهو الآن الطريق الذي سلكته أول بعثة فلاترز التي مسحته بدقة.

30 أبريل: خيّمنا الساعة 5:30 صباحًا في «فيج البيضاء» (السهل الأبيض) وبالقرب من طرفها الجنوبي. مشينا أولًا على سهل صغير ذي أرض مستوية، ثم عبرنا عتبة كثيب رملي كبير نسبيًا أوصلتنا مباشرةً إلى «فيج البيضاء». تتميز «فيج البيضاء» بتربة «ريج» ناعمة ذات تربة «نيصي». على سلاسلها تنمو أشجار «هاد» و«هالما» و«درين»، وكلها خضراء زاهية.

من بعض النواحي، تُعدّ رحلة الليل مع القمر، في هذا الوقت من العام، رائعة بحق، سواءً بسبب درجة حرارة الليل المثالية مقارنةً بارتفاع مقياس الحرارة نهارًا، أو بسبب النعومة الشديدة لخطوط التلال الرملية عند الغروب والكثبان الرملية التي لا تزال غارقة في ضباب ما بعد الظهر؛ كل شيء رمادي، لكنه رماديٌّ برقةٍ لا تُضاهى. هناك انبعاثٌ مذهلٌ من حرارةٍ كامنةٍ لا يستمتع بها المرء إلا بالمقارنة، وبسبب نضارة اللحظة النسبية. إنها صورةٌ يستحيل تجسيدها بأمانة، لكنها رائعةٌ حقًا، والعين لا تكل من تأملها.

هكذا أقضي وقتي مع أسلوب السفر الجديد: وعند وصولنا، حوالي الساعة الخامسة صباحًا، نشرب القهوة، ونرسل القطيع إلى المرعى، برفقة رجلين أو ثلاثة لا يعيدونه إلا في الرابعة مساءً؛ ونتناول الغداء حوالي الحادية عشرة، والعشاء في الخامسة، قبل تحميل القافلة. وبصرف النظر عن هذه الوجبات المتنوعة،

ننعم ببعض النوم. ويؤدي عرباي هذه المهمة الأخيرة على أكمل وجه، أما أنا، فالأمر مختلف تمامًا: لا أستطيع النوم نهارًا بسبب الحر وقلة الظل؛ ولحظات النوم القليلة التي أتمكن من أخذها تتخللها استيقاظات متتالية. ويترتب على ذلك أنني أثناء المسيرة، ليلًا، أنام واقفًا حرفيًا، وأضطر إلى النزول من «مهاري» والمشي للتغلب على التعب والنوم. لعشرة أيام متتالية، وسافرنا على هذا النحو، ولم أنم قط، في المجمل، ساعتين من أصل أربع وعشرين ساعة.

عندما يكون السكان الأصليون على الطريق في هذا الوقت من العام، وحيث لا يكون لديهم موكب كبير، فإنهم يسيرون بطريقة مختلفة تمامًا: يمشون ليلًا، ويتوقفون لمدة ساعة لصلاة الفجر عند «الفجر»، ويستمرون حتى حوالي الساعة التاسعة؛ هناك يتناولون الغداء وينامون حتى صلاة العصر، حوالي الساعة الرابعة، ثم يستأنفون رحلتهم. خلال هذه التوقفات المختلفة، يتركون جمالهم ترعى بحرية، ولا يكلفون أنفسهم عناء جمعها إلا عند الانطلاق. لم أستطع، نظرًا لكثرة ماشيتي، تقليد هذه الطريقة بدقة.

نغادر في الساعة السادسة مساءً للمشي طوال الليل.

1 مايو: كانت الليلة غائمة مع رياح شمالية شرقية خفيفة وباردة نسبيًا. خيمنا في الساعة الخامسة صباحًا في «غاسي الغسال» (وادي الغسال) وعلى حافته الغربية. الجزء الوحيد من الطريق هذه الليلة هو الذي يفصل «فيج البيضاء» عن «غاسي الغسال»؛ يبلغ طوله 6 كيلومترات وليس من الصعب السير عليه. يبلغ عرض «غاسي الغسال»، عند النقطة التي نخيم فيها، حوالي 7 كيلومترات؛ ويستقبل في جزئه الشمالي الغاسيين رقم 3 و4 المقطوعين في مسار رحلتي في 4 يناير 1893. تربته كبيرة في البداية، صلبة، مع بقع مغطاة بـ«النيصي». تم العثور على سيقان جافة ووفيرة من «القوقلان» دون انقطاع في هذه الغاسي؛ لا يستمر هذا النبات الصليبي سوى بضعة أشهر، وفي ربيع عام 1894 وفر مرعى ممتازًا لإبل «شامبا» التي جاءت إلى هنا للاستفادة من هذه الفرصة.

لقد وجدت حيوانات قافلتنا الكثير من الطعام ولا يبدو أنها تعاني من أي ضرر كبير حتى الآن بالنسبة لي؛ والظروف الجيدة التي يعيشون فيها ترجع إلى المسيرات الليلية، والمراعي الجيدة، والرياح الشمالية الشرقية التي تعمل على تبريد الغلاف الجوي قليلاً.

هنا لا يفصلنا عن «غاسي الميجنا» (الذي يقع فيه اختبار البئر الذي حاوله أولاد بو خشبة في الماضي) سوى سلسلة واحدة سميكة للغاية مقطوعة بـ «فيج» صغيرة. ينتهي أحد نتوءاتها، عند «A»، على بعد 7 كيلومترات جنوب معسكرنا، بينما تستمر كتلة السلسلة باتجاه الجنوب الغربي. علاوة على ذلك، سيتحد «غاسي الغسال» جنوبًا مع «غاسي الميجنا» الذي يندمج معه. تتكون تربة «غاسي الغسال» بشكل أساسي من كمية كبيرة من حجر «البودينغ» الجيري الصلب للغاية، وأحيانًا تكون مختلطة بالحصى والحصى من الكوارتز المدلفن، ولكن حجر «البودينغ» هو الذي يهيمن، وبكثرة. في الجزء الجنوبي منه، لم يعد هذا الغاسي يحتوي على «النيصي» أو «الجوجلان»، وتربته عارية.

أستمر في النوم واقفًا، ليس هناك طريقة لتجنب هذا المعاناة وعلينا أن نسير على الأقدام؛ لنغادر في الساعة السادسة مساءً.

2 مايو: خيّمنا في الخامسة والنصف صباحًا على الحافة الشرقية لـ «غاسى الأدهم». أرض هذا الغاسي الأخير من الكوارتز المدلفن، عارية تمامًا. للوصول إليه، عبرنا سلسلة رملية صغيرة تفصله، عند نقطة ما، عن «غاسى الغسال». في منتصف الجزء الذي عبرناه من «غاسى الأدهم» الليلة الماضية، ترتفع جزيرة كبيرة نسبيًا تُعرف باسم «غورد الموسطى»، والكثبان الرملية التي تُكوّنها خالية من النباتات. تجولنا حولها عن كثب، تاركينها إلى الغرب. جزيرة ثانية، أصغر بكثير، أو بالأحرى جزيرة صغيرة، ترتفع على بُعد 6 أو 8 كيلومترات جنوب مخيمنا.

حوالي الساعة الرابعة فجرًا، تحولت الرياح من الشمال الشرقي إلى الجنوب الشرقي، وهي تهب بعنف من الاتجاه الأخير هذا الصباح، رافعةً كتلًا من الرمال تُعمي أبصارنا وتغطي كل شيء. والكتابة أو الرسم في مثل هذا الجو عذاب حقيقي. في الواقع، داخل الخيمة، الحرارة لا تُطاق، والرمال تدخل بسهولة ويسر أكثر من الخارج، بسبب التيارات الدوامية؛ يرفرف القماش بضوضاء مزعجة ومتواصلة، والخيمة نفسها تُهدد بالطيران في أي لحظة. صحيح أن الحرارة في الخارج مُخففة نوعًا ما بفعل عنف الرياح، لكن من المستحيل التفكير في العمل هناك. طوال اليوم، تهب هذه الرياح دون توقف وتُغرقنا تحت الرمال.

المغادرة الساعة السادسة. قضينا وقتًا طويلًا نتتبع الحدود الشرقية لـ «جبل الأدهم»، وهو هضبة كنا نخيم عند سفحها، حيث اصطاد صيادونا بعض الغزلان

اليوم، وطاردوا ظبيين دون جدوى.

في هذه المنطقة، يمكنك أن ترى بوضوح أرضية الوادي الواسعة والمسطحة (الميدجبيد)، والتي تتكون من شبكة معقدة من القنوات المائية الصغيرة والمتفرعة (المراير) التي حفرتها مياه السيول.

والرياح التي هدأت عند غروب الشمس، هبت مرة أخرى، اعتبارًا من الساعة العاشرة مساءً، في هبات عنيفة من الجنوب الشرقي، وأظلم الجو على الرغم من القمر وأصبح مشبعًا بالرمال.

3 مايو: حوالي الساعة الواحدة والنصف صباحًا، كنا نسير، وما زلنا على قافلة «الأدهم»، كنت في المقدمة مع «فيلات» وثلاثة من رجالي، عندما بدأت الرياح، التي تحولت فجأة إلى الشمال الشرقي، تهب بعنف لا يُصدق، وانطلق إعصار حقيقي، لم يعد يسمح لنا برؤية أي شيء. ترجلنا على الفور لإتاحة الوقت للقافلة للحاق بنا، لكن لم يحدث شيء، واستلقينا على الوادي المكون هنا من حصى بحجم البيضة، محميين قدر الإمكان من العاصفة بـ «المهاري» التي كنا نجلس عليها على الجانب المواجه للريح، وانتظرنا. في الساعة الثالثة، لم يحدث شيء بعد، ومع ذلك كان القافلة متأخرة عنا بنصف ساعة على الأكثر. لم يكن هناك سوى خيارين محتملين: إما أنها توقفت لتمر العاصفة، أو أنها تجاوزتنا بالضغط على يميننا أو يسارنا. وأنا أميل إلى الفرضية الأخيرة لأن الإعصار يحمل الرمال وحتى الحصى الكبيرة جدًا ويحدث ضجيجًا يصم الآذان في وسطه من المستحيل رؤية أو سماع أي شيء.

في الساعة الرابعة، أي عند بزوغ الفجر، ركبنا السرج وسرنا باتجاه البيوض، وهو اتجاه معروف مسبقًا للجميع، والذي قادنا إلى ثنية كان علينا عبورها قبل الوصول إلى حفرة الماء. توقفت الرياح فجأة في الساعة الرابعة. بعد بضعة كيلومترات من المشي، وجدنا آثار القافلة، التي سبقتنا، كما افترضت، وفي الساعة السابعة، وصلنا إليها عند السفح الغربي لثنية تشادي. نصب الحاج خيمتي وأفرغ جميع الحيوانات. كان قلقًا للغاية بشأن اختفائي ولا يزال يعتقد أنه سيجدني أمامه؛ على أي حال، كان يعتمد عليّ أن أتوقف عند سفح الممر، وهو نقطة عبور إجبارية؛ ولكنه لم يراني في أي مكان ولم يلتقط أثري أيضًا، فأرسل بالفعل ثمانية أو عشرة من الرجال للبحث عنا وحتى ثنية طريق أودج، معتقدين أننا فقدنا

طريقنا وأننا باتباع سلسلة الكثبان الرملية ربما كان من الممكن أن تخطر ببالنا فكرة أخذ هذه الثنية التي تؤدي أيضًا إلى البيوض.

على الرغم من هدوء الطقس، إلا أن السماء مغطاة بضباب رمادي يمنعنا حتى من تمييز معالم جبل أوغرود الواقع على بُعد أقل من كيلومتر واحد منا. هذا الضباب، الذي يبدو وكأنه قادم من فرن، يحجب كل شيء، ومن خلال ستائره، تبدو السماء والرمال والأرض بلون وقيمة موحّدة. تتحول الرياح إلى الشمال الغربي بعد الظهر، ومع ذلك، يبقى الطقس حارًا جدًا ويستمر الضباب طوال اليوم.

يُصدر الغُرْد من حولنا همهمةً متقطعةً تُشبه تمامًا دقات الطبول (هذا ما يُطلق عليه العرب الغُرْد الذين يقرعون البندير). وقد أتيحت لي الفرصةُ لملاحظة الظاهرة نفسها في رحلاتٍ سابقة، وقد ذكرتُها في تقاريري السابقة.

السلسلة التي نخيم عند سفحها ليست سوى سلسلة جبال المخوتا التي سوف تنقرض قريبًا، إلى الجنوب، على تلة تينغيرت، وتشكل الرأس المتطرف للضفة الشرقية لنهر الغاسي الأدهم، عند النقطة التي تلتقي فيها بالهضبة.

وبما أن المسافة بيننا وبين البيوض قصيرة جدًا، ولا أريد الوصول إلى هذه النقطة في منتصف الليل، فلن نغادر قبل صباح الغد.

(2) لقاء مع الغزاة والعودة إلى بسكرة

في الرابع من مايو، انطلقنا في الخامسة صباحًا، وعبرنا أولًا جبل شادي تينييت، الذي يبلغ سمكه حوالي ستة كيلومترات، بسبب الالتفافات التي اضطررنا لسلوكها. ولم يكن الصعود الغربي والنزول الشرقي صعبين للغاية، أما بقية الطريق فكانت على قمة الجبل المتموجة، والتي لم تُشكل أي عقبات تُذكر للمشي.

عندما نزلت إلى حمادة A، أرسلت رجلين على جمليهما ليكونا في المقدمة، وهما إبراهيم بن الشيخ، شقيق قائد حرسي، وأما بن نجيب، وهو دليل ممتاز وموثوق به من قبيلة الشعانبة. كانت مهمتهما استكشاف الطريق نحو البئر والعودة لإبلاغنا بما يجدانه هناك. سرعان ما لحق بهما أربعة من مرافقي، هم اثنان من أولاد بحبح، وقدور بن الشيخ، وأحمد بن هكوم، لاستعجال سقي دوابهم. أما أنا، فقد سرت خلفهم وأمام القافلة الرئيسية التي بقيت خلفي بمسافة كيلومتر تقريبًا بقيادة الحاج.

وصلتُ إلى مرتفع يطل على منطقة البئر من على بعد كيلومترين، عندما عاد إلينا قدور بن الشيخ بأقصى سرعة على جمله ليخبرنا بأن البئر محتل ومحاط بجيش كبير، مشيراً إلى ثلاث مجموعات من الجمال منتشرة هناك. أرسلته فوراً ليحذر الحاج ويطلب منه الإسراع بالقافلة واللحاق بنا، خاصة الجمال التي تحمل الذخيرة.

بعد لحظات، وصل باقي الكشافة، ثلاثة منهم على الأقدام وواحد فقط راكبًا وهو إبراهيم. أما الأخير، أما بن نجيب، فقد رفض الانسحاب ووقع أسيرًا. روى لي إبراهيم ما حدث قائلًا: «عندما اقتربنا من البئر، ترجلنا خلف كثيب رملي صغير للاستطلاع، وفجأة وجدنا أنفسنا أمام بعض الرجال الذين سلموا علينا كالعادة، ولم يكن في نبرتهم ما يثير الشك. أدركت حينها أنهم من قبيلة الشعانبة مثلنا، لكنهم منشقون وموالون لبوعمامة. لاحظ أحدهم، مبارك بن الهيب، أنني أحمل بندقية حكومية، فأمسكها قائلًا: «معك بندقية حكومية، لا بد أنك ترافق أوروبيًا، أعطني سلاحك». رفضت تسليمها وسحبت مسدسي وصوبته نحوه، فأفلت البندقية وتراجعت. في تلك اللحظة، ازداد عدد المهاجمين، وأُطلقت عليّ طلقتان سقطتا عند قدمي.

في هذه الأثناء، حاول رجل يُدعى ولد الحاج الهايد انتزاع بندقية رفيقي قدور بن بحبح، فقاومه قدور وضغط على الزناد، فأصابت الطلقة ذراع المعتدي وكتفه وأردته جريحًا. أما ابن هكوم، فقد انتزع رجلان بندقيته بالقوة وتعرض لوابل من الرصاص. كان بن نجيب لا يزال معنا، لكنه أصر على استعادة جمله من العدو، ورغم تحذيرات أحد المهاجمين، رفض التراجع حتى قبضوا عليه. كنا نتلقى الرصاص، فأصابت قذيفتان قدور بن بحبح. عندما رأيت أن الموقف يزداد سوءًا، أرسلتُ أخي قدور بن الشيخ ليحذركم، ثم انسحبنا جميعًا. كان عدد المهاجمين قد تجاوز الثلاثين، والمزيد منهم كانوا يصلون إلى البئر».

بينما كان إبراهيم يخبرني بذلك، كانت القافلة قد اقتربت وانضم إلينا الحاج ورجاله. أبلغناهم بالموقف وتقدمنا معًا وتوقفنا على بعد 250 مترًا من العدو. وزعت حوالي عشرين طلقة على كل رجل، فاتخذوا مواقعهم للقتال، بعضهم منبطحًا والبعض الآخر مختبئًا خلف الشجيرات. بقيتُ واقفًا في الوسط مع جماعتي «فيلات» والحاج لمراقبة العدو، بينما تجمعت الجمال خلفنا.

كان العدو منتشرًا في عدة مجموعات: نحو خمسين رجلاً مصطفين على حافة الكثيب المطل علينا، وحوالي عشرين آخرين يختبئون خلف الشجيرات في الأسفل، والبقية على جمالهم أو على أقدامهم بعيدًا. كانت المجموعة التي في الأسفل تطلق النار علينا، لكن معظم رصاصاتهم كانت تمر فوق رؤوسنا. أما الرجال الذين على الكثيب، فكانوا يقومون بحركات استعراضية، يرمون بنادقهم في الهواء ويطلقون صيحات الحرب، بينما كانت مجموعة أخرى تلوح ببرانسها وترمي الرمل في الهواء. فهمت أن هاتين الحركتين الأخيرتين في لغة الصحراء تعنيان الرغبة في التفاوض.

بعد دراسة الموقف، رأيت أنه من غير الحكمة محاولة الاستيلاء على البئر بالقوة. فقواتي قليلة جدًا مقارنة بعدد الأعداء، كما أنهم يحتلون موقعًا أفضل يمنحهم ميزة استراتيجية واضحة علينا.ولم يكن بإمكاني الانخراط بسهولة في عمل عنيف، إذ كان عليّ أن أفكر ليس فقط في اللحظة الراهنة وشخصيتي فحسب، بل أيضًا في العواقب المحتملة لما كنت سأفعله. أحد أمرين: إما أن أنتصر وأن كل شيء على ما يرام، فسيكون التأثير المعنوي كبيرًا، وسيُنتج في الجنوب الجزائري ضربة مضادة مفيدة للغاية لسياستنا. ولكن على العكس من ذلك، إذا هُزمت لسوء الحظ، وإذا فقدت رجالًا، وربما قافلتي، فستكون التداعيات هائلة وستتردد صداها في كل مكان في الصحراء، مما سيُغلق مرة أخرى أمام جهودنا هذا البلد الذي عملت طويلًا على فتح طرقه. لذلك، في رأيي، لم يكن هناك داعٍ للتردد، نظرًا للضعف العددي لمرافقتي؛ لو كان لدي ستون رجلاً في متناول اليد، أو ثلاثون أوروبيًا مدربًا فقط، لفكرت وتصرفت بشكل مختلف تمامًا.

عليّ أن أعترف بأن القرار كان بيدي منذ البداية، وأؤكد لكم أنني لم أتخذ قرار تجنب المعركة الفورية إلا مع الأسف. كان جميع رجالي، بلا استثناء، على أهبة الاستعداد للقتال عند أول إشارة مني، بل بدا أن بعضهم لا يرغب في الانتظار. إن استعدادهم هذا كان يستحق التقدير، خاصة وأنهم علموا من الكشافة أنهم سيواجهون رجالًا من قبيلتهم، الشعانبة. لقد أظهر رجالي من الشعانبة ولاءً كافيًا ليجعلهم مستعدين للسير ضد أبناء دمهم، وهذا دليل على انضباط وتعلق شخصي بي يمنحهم شرفًا عظيمًا، وأنا ممتن لهم على ذلك. ربما لو أُتيحت الفرصة للطرفين للقاء والحديث، لكان الوضع قد اختلف، ولكن لا يمكن إجبار الناس على فعل ما يفوق طاقتهم.

بعد هذا التفكير، أعود إلى وقائع تلك اللحظة. كان الحاج يصر بشدة على التهدئة والمفاوضات، وبما أنه يمتلك تأثيرًا على رجالي أكبر من تأثيري، رأيت أنه من الأفضل موافقته. لخص الحاج رأيه قائلًا: «السلام خير من الحرب. عددنا قليل، والمعركة لن تكون في صالحنا بالتأكيد، لذا أرى أن الدبلوماسية هي الحل الأمثل. كما ترى، إنهم يقومون بإيماءات تدل على رغبتهم في التفاوض، ويجب أن نستجيب لهم. اسمح لي بالتقدم بمفردي لأرى كيف يمكننا الخروج من هذا المأزق؛ أنا متأكد أن الأمر لن يتعدى تقديم بعض الهدايا. أتوسل إليك أن تختار هذا الطريق. لدي قناعة بأنهم لن يهاجمونا فجأة، فهم يدركون جيدًا أنهم سيدفعون ثمنًا باهظًا للنصر بسبب جودة تسليحنا ورماتنا المهرة. لذا، وافق على ذهابي كمفاوض».

وافقت أخيرًا على وجهة نظر الحاج، ولكن أولًا، تحركنا جميعًا بالقافلة والمرافقة نحو حوض صغير يقع على بعد 200 متر شمال البئر. هناك، أنزلنا جميع الجمال وربطنا ركبها دون تفريغ حمولتها. ثم تمركزنا فورًا بكل رجالنا المسلحين على قمة كثيب رملي صغير يفصلنا عن معسكر العدو الذي كان منتشرًا أمامنا، والذي أرسل مجموعات من الحراس في اتجاهات مختلفة بذكاء شديد، بينما كان آخرون يسقون الجمال التي استولوا عليها. وبعد أن تمركز كل طرف في مواجهة الآخر، تقدم الحاج وحيدًا وبلا سلاح ظاهر نحو مجموعة القادة. كنا نحميه ببنادقنا المصوبة، وكان من المؤكد أن أول شخص يحاول إيذاءه سيكون في عداد الموتى، فقد كانت المسافة بيننا قصيرة، وقد تكلفت أنا ومرافقي «فيليت» بهذه المهمة بشكل خاص.

اندلع نقاش حاد على الفور، مصحوبًا بحركات عنيفة كنا نراها بوضوح ونسمع أصواتها المرتفعة. كانت مجموعة من عشرين فارسًا تقف خلف القادة لحمايتهم. بعد حوالي ساعة، عاد الحاج إلينا وقال: «لن تكون هناك معركة، يمكننا نصب خيامنا هنا. لقد نجحت في إقناعهم، وسأطلب منكم الإذن بتقديم هدايا لأكثر ثلاثة منهم نفوذًا، لن تتجاوز قيمتها ألف فرنك، وستخصمونها من رواتبنا، فرؤوسنا أغلى من المال».

أنزلنا أحمال الحيوانات ونصبنا الخيام وثلاثة مراكز حراسة. كان لا يزال لدينا 700 لتر من الماء، وهو ما يكفينا عند الضرورة، لكن جمالنا كانت عطشى جدًا، وهذا هو الجانب الأخطر في الموقف، لأن الجمال العطشى لا تسير أبدًا في الصيف.

وهذا ما دار في الحوار بين الحاج ومحاوريه، حيث كان المقاتلون من غير الشعانبة هم الأكثر تحمسًا لمهاجمتنا. قالوا له: «أنتم تقودون «مسيحيين كفارًا» محملين بالمال والبضائع الثمينة. أنتم مسلمون مثلنا، فلا داعي للقتال، سلموهم لنا وستعودون بسلام، أو اتبعونا إلى توات وستحصلون على نصيبكم. إذا رفضتم، فلن نكون متهورين بما يكفي لمحاربتكم نهارًا، لأنكم ستقتلون الكثير منا؛ لكننا لا نخشاكم ليلًا. سنهاجمكم بلا بنادق، مسلحين فقط بالرماح والسيوف، وسندفع أمامنا مئتي أو ثلاثمائة جمل هائج لتقتحم معسكركم وتسبب الفوضى، ثم نتبعها ونذبحكم واحدًا تلو الآخر. في الليل، لا فائدة من البنادق، ونحن نفوقكم عددًا بأربع مرات. من مصلحتكم تسليم الكفار وقافلتهم إلينا».

فأجاب الحاج على هذا التهديد قائلًا: «لا تتوقعوا مني أن أسلمكم هذا الفرنسي الذي أعرفه منذ أكثر من عشر سنوات، فهو صديق ويكاد يكون مسلمًا، وهو يسافر لرؤية بلدان لم يزرها أحد، ولا يؤذي أحدًا. كلنا نحبه ولن نسلمه أبدًا. إذا كنتم تعتمدون على خيانتي له فأنتم مخطئون تمامًا. اسمي الحاج عبد الحكيم، وكثير منكم يعرفني، لم أخن أحدًا قط ولا أريد أن أبدأ الآن. إذا أردتم هذا الفرنسي، فعليكم أن تأتوا لأخذه، لكن لا تنسوا أننا سندافع عنه، وإذا مات، فسنموت قبله».

ثم أضاف: «لديكم هنا رجال من الشعانبة، أقارب وحلفاء لكم في ورقلة والغولية، وأنتم تعلمون جيدًا ما ينتظر عائلاتهم هناك إذا مست شعرة واحدة من رأس «فورو»؛ ستعتقلهم السلطات الفرنسية وتحاسبهم على جريمتكم. وفي اليوم الذي سترغبون فيه بالعودة إلى دياركم، لن تتمكنوا من ذلك، فالدماء المسفوكة ستمنع أي عفو. وترحب فرنسا بالمنشقين الذين لم يرتكبوا جرائم، لكنها لن تسامح أبدًا من يسفك دماء أحد أبنائها. ليس لدي ما أضيفه، وأنتم الآن تعرفون ما ينتظركم».

بعد هذه الكلمات، اندلع نقاش حاد وعنيف بين أولئك اللصوص، لكن الزعيمين أو الثلاثة، طمعًا في المكافأة التي وعدهم بها الحاج، انحازوا إلى جانبه. ومع ذلك، كان رأي بقية رجال الغزاة، الذين لا تربطهم أي علاقة بقبيلة الشعانبة، مختلفًا تمامًا، حيث كانوا يرددون: «هذا المسيحي، كغيره من بني جنسه، محشو بالذهب والأقمشة الثمينة، يجب أن نأكله». وأضافوا: «لا يمكننا العودة إلى أهلنا

والشيخ بوعمامة لنخبرهم أننا قابلنا كافرًا في قافلة غنية برفقة خمسة وعشرين رجلاً فقط وتركناه يذهب في حال سبيله؛ سيكون هذا عارًا علينا، يجب أن نأكله».

استمر الجدال على هذا النحو، لكن القادة وعدوا الحاج سرًا بأنهم سيمنعون أي هجوم وأكدوا له أنه لن يتعرض أحد لمهمتي بأذى. وقد أكد لي الحاج أنه يثق بكلمتهم تمامًا، ولهذا عاد ليطمئنني. ثم طلب مني الهدايا التي كان ينوي تقديمها لاثنين أو ثلاثة من قادة الغزاة، والتي قدرها بألف فرنك. أعطيته ما طلبه، لكنني أوضحت له أن هذا المبلغ سيُخصم من أجره وأجور رجاله، كما اقترح هو نفسه.[1]

ثم أضفت قائلًا: «لا تنسَ يا حاج أنني لا أتعامل شخصيًا مع هؤلاء اللصوص، وأنك وحدك من يقوم بهذا الإجراء. لا يمكنني الدخول في مفاوضات مع رجال يحملون بنادق حربية فرنسية وهاجموا قافلة فرنسية العام الماضي. لذا، فليكن معلومًا أن لا علاقة لي بالهدايا التي توزعها».

لم يدخل أي من رجال الغزاة إلى معسكرنا، باستثناء رجل أعزل من قبيلة المخادمة جاء ليحضر لنا قربتي ماء على جمله، ظنًا منه أننا بحاجة إليه. في المقابل، تحدث العديد من رجالي مع أفراد الغزاة خارج معسكرهم، وهو أمر طبيعي نظرًا لوجود روابط قرابة وتحالف بينهم؛ وهذا ما دفعني للقول سابقًا إنه ربما كان من الصعب إجبار رجالي على قتال أقاربهم. من خلال هذه الأحاديث وروايات الحاج، جمعنا تفاصيل دقيقة عن هذه العصابة قبل أن يغادر الحاج لتوزيع هداياه.

من الأسباب التي دفعت قادة الغزاة إلى قبول عرض الحاج هو خوفهم من انتقام التوارق الذين هاجموهم للتو، حيث خافوا من أن يطاردهم التوارق ويجدوهم في وجودنا، مما قد يؤدي إلى تحالف بيننا وبين التوارق، وبالتالي هزيمتهم المؤكدة. أعتقد أن هذا الاحتمال كان له وزن كبير في قرارهم.

لكن هذا الاحتمال كان كارثيًا لخططي، فقد دفع رجالي إلى إخباري بما يلي: «نحن أضعف من أن نواصل التقدم الآن. سنخاطر بمواجهة فرق من التوارق الذين يطاردون لصوصهم، وهم يفوقوننا عددًا وسيهلكوننا تحت ضرباتهم. نحن لا نخشى قبيلة «أزجر» لأنهم يعرفوننا ويعرفونك، لكن التوارق الآخرين الذين تعرضوا للهجوم لا يعرفوننا. لذلك، يجب ألا تفكر في مواصلة رحلتك، وإذا خرجنا

1-في النهاية، لم أقم بخصم هذا المبلغ من رواتبهم، لكنني حرصت على عدم إخبار الحاج ورجاله بذلك إلا بعد وصولنا إلى بسكرة.

سالمين من هذا المأزق، فيجب أن نعود فورًا حتى تنظم قافلة أكبروأكثر أمانًا».
وهكذا، اضطررت إلى العودة، لأن رجالي كانوا مصرين على قرارهم، وفي أعماقي لم أكن ألومهم تمامًا.

علمتُ بعد قليل أن بن نجيب قد قُتل جبنًا قرب البئرعلى يد شقيق الرجل الذي جرحناه هذا الصباح. أُصيب في البداية برصاصة في بطنه، فطلب الماء واختبأ تحت برنس أحد الخدم، وهي لفتة تعد عادةً ضمانًا للحماية في الصحراء، لكن مهاجمه أطلق عليه رصاصة ثانية في صدره دون اكتراث، ثم انهال عليه آخرون بضربات السيوف. كان إبراهيم يبكي وهو يخبرني بهذه القصة الحزينة التي آلمتني بشدة، فقد كنا نظن جميعًا أن بن نجيب سيعود إلينا سالماً.

لكن لسوء حظه، كان بن نجيب والشيخ بن بوجمعة مكروهين بشدة من قبل هؤلاء اللصوص لأنهما عملا في السابق على استعادة الإبل التي سرقوها من قبائلنا. لذلك، أقسم اللصوص على قتلهما في أول فرصة، وهكذا شاء القدر أن يقع بن نجيب في أيديهم. لو كان أي رجل آخر أسيرًا لديهم، لكان من المرجح أن ينجو.

كانت هذه هي فرقة الغزو التي كنت قد سمعت عنها، والتي كان من المفترض أن تتكون من خمسين رجلاً فقط، لكن العدد الحقيقي كان خمسة وثمانين مقاتلاً من قبائل مختلفة: منشقون من الشعانبة، والجرامنة، وأولاد با حمو، والزوا، وبعض المخادمة، بقيادة ولد شاشوك ومبارك بن الهيب. وهذا الأخيرهو شقيق أحمربن الهيب، وهو ليس منشقًا، والذي تصادف أنه كان، في العام الماضي، مرشدًا لبعثة أتانوكس؛ الأول، أي تشاتشوك، ينتمي إلى أولاد زيت الغولية.

أكبرمجموعة هي الجرمانية، وهم قادمون من أعالي وادي غير، وهي منطقة نائية جدًا، غادروها في الخامس عشر من مارس (العشرين من رمضان). أما الشامبا المنشقون، فإليهم تركيبتهم التقريبية:

أولاد دبوب........... 8 رجال
أولاد نصير............. 8 رجال
أولاد بو راس.......... 2 رجال
أولاد سيدي........... -
أولاد الحرمة.... .... 3 رجال
بلخيط........... .... 1 رجل

بلغدامسي... .... 1 رجل

المجموع...... ..... 23 رجلاً

أما المخادمة فعددهم أربعة فقط؛ وأولاد با حمو حوالي عشرة.

ويبلغ عدد رجال الزوا نفس العدد تقريباً؛ وبالتالي يبقى عدد رجال الجرمانا قريباً من خمسة وثلاثين رجلاً.

يزعم هؤلاء أنهم يعملون لصالح بوعمامة، الذي أمرهم في البداية بنهب قطعان الماشية في عين طيبة، لكنهم رفضوا خوفًا من الاضطرار لمهاجمة مخيمات الشعانبة. انطلقت هذه الفرقة في رحلة دموية، فاجتمعت في بئر البيوض، ثم توجهت إلى حاسي تابانكورت حيث أبادوا قافلة من قبيلة «إيساكمارين»، ثم إلى تيميلولين حيث قضوا على قافلة من «إيفوغاس». بعد ذلك، استولوا على قافلة من «إيمانغاساتن» في تادجنتورت، ثم اجتاحوا وديان المنطقة، ونهبوا كل إبل التوارق التي وجدوها في طريقهم، وقتلوا كل من قاومهم، بما في ذلك خمسون جملًا تعود للزعيم «إيخنوخن» نفسه، وأسروا عددًا من رجاله ونسائه. واصلوا طريقهم شمالًا حتى عادوا إلى بئر البيوض حيث التقينا بهم.

لم تسلم أي من قبائل التوارق من هؤلاء اللصوص، الذين قتلوا في غارتهم هذه حوالي عشرين رجلاً. ومن بين القتلى اثنان من رجال «إيخنوخن»، كان قد أرسلهما لمراقبة وصولي بعد أن حذرته برسائلي. وعندما رأى هذان الرجلان فرسان الغزو يرتدون الأبيض، اعتقدا خطأً أنهم جزء من مرافقتي، فتقدما لملاقاتهم دون حذر، وقُتلا على الفور.

سرقت فرقة الغزو أكثر من سبعمائة جمل، لكن هذه الحيوانات كانت هزيلة بسبب السير المتواصل ليلًا ونهارًا، مما أدى إلى نفوق عدد كبير منها على الطريق، فلم يبقَ منها سوى حوالي خمسمائة وعشرين رأسًا، بالإضافة إلى دواب رجال الغزو. كما استولوا على حوالي عشرين عبدًا من الرجال والنساء، وكميات من الأسلحة والملابس والأواني بعد نهب جميع القرى التي مروا بها. أما «بن خطخات»، الذي تحدثت عنه سابقًا، فقد جاء إلى المنطقة ومعه حوالي ستين خيمة من الأهقار لأنه علم بمروري القادم وكان ينوي مهاجمتي. لكن أوضح نتيجة لمخططه كانت أن الغزاة سرقوا العديد من حيواناته. حاول مطاردتهم بأربعة عشر رجلاً فقط، لكنه اضطر إلى الفرار بعد أن فقد رجلين وأربعة جمال.

يشرح العبد الذي أُسر من «إيخنوخن» كيف علم الأهقار بخططي؛ فالرسالة التي أرسلتها معلنةً وصولي قُرئت بحماس كبير بين التوارق، وانتشر الخبر حتى وصل إلى مناطق بعيدة في الغرب. وبعد مقتل الحارسين، أدرك التوارق أنهم يواجهون فرقة غزو كبيرة وليس مرافقي، فهربوا إلى وديان تاسيلي. لكن قبل ذلك، وبسبب ثقتهم بأنهم يقابلون قافلتي، تقدموا نحو الفرسان دون حذر، مما مكن الغزاة من قتل بعضهم بسهولة. لقد استخدم الغزاة خدعة معروفة في الصحراء: يقترب الناهب من التارقي ويتحدث معه بود، بينما تكون بندقيته المحملة على ظهره موجهة بمهارة نحو الضحية، فيضغط على الزناد ويقتل الرجل دون أي خطر على نفسه.

أفراد الغزو مسلحون جيدًا نسبيًا؛ فجميعهم يحملون بنادق، وكثير منهم يحملون اثنتين، وأكثر من نصفهم لديهم رماح توارقية وسيوف. وتمتلك المجموعة ثلاث بنادق ليبل وثلاث بنادق غراس قصيرة، استولوا عليها من قافلة إمدادات عسكرية فرنسية العام الماضي. ويدعي «مبارك بن الهيب» أنه اشترى بندقيته، لكن من المؤكد أنه كان حاضرًا في عملية النهب. وهؤلاء الرجال يرتدون ملابس رثة، ويصومون أغلب الأيام، وليس لديهم طعام سوى بعض الحبوب التي سرقوها من التوارق. ودوابهم هزيلة ومنهكة وتحتاج إلى راحة طويلة قبل أن تتمكن من خوض أي مطاردة.

هذه الفرقة هي جزء من عصابة منظمة للغارات تقيم في توات وتيديكلت، وتضم ما بين مائة وخمسين ومائتي رجل. إنها تشبه عصابة «المداغنات» القديمة، التي سُميت بهذا الاسم نسبة إلى زعيمها التارقي «مداغان». وبينما كانت هذه الفرقة تجوب بلاد التوارق، كانت فرق أخرى من نفس المجموعة تسرق قطعانًا شمال الغولية. إن قرب هذه العصابة لم يكن يبعث على الثقة، وكنت أتوقع هجومًا ليليًا على الرغم من تأكيدات الحاج الذي وثق بوعود الزعماء.

لم يكن قرار العودة كافيًا، فقد كان علينا أولًا سقي الحيوانات وملء قربنا. كان بإمكاننا الذهاب إلى بئر آخر، لكن الطريق وعرة والرحلة ستستغرق خمسة أيام، وهو ما لا تستطيعه الجمال العطشى. لذلك، كان علينا الموافقة على رأي الحاج بسقي القطيع هنا. في المساء، دار نقاش حاد بين زعماء الغزو والحاج بشأن الجمال والأسلحة التي أُخذت من كشافتي. وانتهى النقاش في صباح اليوم التالي

بإعادة جميع الجمال المسروقة، باستثناء جمل «قدور بن بحبح» الذي قتل أحد رجالهم. أما جمل «بن نجيب»، فقد تم تعويض صاحبه بجمل آخر ومبلغ من المال. كما أُعيدت البنادق باستثناء تلك التي كانت مع «بن نجيب».

بعد غروب الشمس، جاء سبعة من رجال «أولاد باحمو» يطلبون مقابلتي، بحجة أن أحدهم يعرفني. لكن الحاج رفض طلبهم، معتبرًا أنها خدعة، وأخبرهم أنني لا أستقبل الزوار ليلًا. كان أحدهم بالفعل تاجرًا أعرفه من بسكرة، ولو جاء نهارًا لرحبت به، لكن رجالي عارضوا بشدة أي لقاء في ذلك الوقت. ومن المفارقات، أن أحد رجال الشعانبة في فرقة الغزو أرسل تحياته للحاج، وما إن عرف أنني الفرنسي الذي يواجهونه، حتى ساندني ضدهم، وكل هذا لأنه رأني مرة في تقرت وقدمنا له التمر والقهوة.

بعد حلول الظلام، أبلغ قادة الغزو حراسنا أن الآبار متاحة لنا. أصدرتُ أوامري بسقي الحيوانات على ثلاث دفعات، وكان الرجال المرافقون غير مسلحين حتى لا نثير أي استفزاز. بدأت العملية في الساعة العاشرة مساءً وانتهت في الثالثة صباحًا. التزم معسكر الغزو الصمت ولم يحاولوا القيام بأي شيء، وهو ما لم يفاجئني، فقد كنت مستعدًا لأي هجوم، حيث قمت أنا و«فيليت» بتفكيك خيامنا وتجهيز أسلحتنا لصد أي عدوان محتمل.

5 مايو - انطلقنا في السادسة صباحًا، تاركين الحاج وإخوته لإنهاء مسألة جمل بن نجيب ودفن جثمانه. انضموا إلينا في التاسعة، وأخبرونا أن فرقة الغزو بدأت في تقسيم الغنائم، وهي عملية صاخبة وخطيرة غالبًا. بعد التقسيم، يتفرق رجال الفرقة، حيث يصبح كل رجل مسؤولاً عن حصته ويعود بها إلى عائلته. كنا نسير على نفس الطريق الذي سلكناه سابقًا ولكن في الاتجاه المعاكس، وخيمنا عند سفح جبل تينيت شادي، ثم واصلنا السير طوال الليل.

6 مايو - هبت رياح متغيرة وهطلت أمطار خفيفة خلال الليل. في الصباح، خيمنا في نفس موقعنا السابق على حافة هضبة قاسي الأدهم. حوالي العاشرة صباحًا، هبت رياح شمالية غربية شديدة رفعت الرمال وجرفت الخيمة عدة مرات، لكنها خففت من حدة الحر. انطلقنا في السادسة مساءً، وكان الليل جميلاً وباردًا بشكل غريب، حيث انخفضت الحرارة إلى 13 درجة مئوية، مما يؤكد ما يقوله الشعانبة عن وجود أيام باردة في شهر مايو في الصحراء.

7 مايو - خيمنا في الصباح في موقعنا السابق في غاسي الغسال. كانت رحلات الليل شاقة، خاصة بالنسبة للأوروبيين غير المعتادين على قلة النوم. ومع ذلك، كنت أنا و»فيلات» نتحمل التعب أفضل من السكان الأصليين الذين كانوا يشكون من قلة النوم وركوب الجمال لساعات طويلة. في الحقيقة، بينما كنا ننام ساعتين فقط ونعمل لساعات طويلة، كان معظم مرافقينا ينامون بعمق طوال فترة النهار وجزءًا من الليل على ظهور جمال الأمتعة، وهو أمر محظور لكنهم كانوا يفعلونه في غيابي. وانطلقنا في السادسة مساءً، وكانت مسيرة الليل ممتعة بفضل ضوء القمر والرياح الشمالية الغربية الخفيفة.

8 مايو - أكملنا طريقنا وخيمنا شمال نقطة توقفنا السابقة. وتحولت الرياح إلى الجنوب الشرقي وأصبح الجو حارًا للغاية. ثم غادرنا في السادسة مساءً.

9 مايو - بعد السير طوال الليل، وصلنا إلى عين طيبة في الرابعة صباحًا. وجدنا هناك شقيق القائد «قدور» وآخرين، فأخبرناهم بما حدث مع فرقة الغزو. قرر الجميع على الفور إعادة قطعانهم شمالًا خوفًا من أن يتبع التوارق آثارنا المختلطة بآثار الغزاة ويعتقدوا أن جمالهم سُرقت نحو ورقلة، مما قد يدفعهم إلى مهاجمة القطعان القليلة الحراس في عين طيبة. لم أتفق مع هذا الرأي، فأنا أعتقد أن التوارق أبطأ من أن يتمكنوا من تنظيم مطاردة سريعة. قمنا بسقي الجمال، وسأقوم بسقيها مرة أخرى غدًا.

10 مايو - كنت أخطط للمغادرة هذا المساء، لكن صعوبة عبور الممرات ليلًا أجبرتني على تأجيل الرحيل إلى صباح الغد، مما يعني العودة إلى السير نهارًا. آمل أن تبقى الرياح شمالية، وإلا ستكون الحرارة خانقة. غادر شقيق القائد «قدور» هذا الصباح مع قطعانه، وتبعه الآخرون. بعد يومين، لن يبقى أي جمل في المنطقة، وستعود عين طيبة إلى صمتها المعتاد. يخبرني «إبراهيم بن زغاي»، الذي يعرف المنطقة جيدًا، أن رجال الغزو يكذبون بادعائهم العمل باسم «بوعمامة»، الذي يدين في الحقيقة كل أعمال النهب. ويصفهم بأنهم «كفار» محكوم عليهم بالزوال بعد أن أغلقوا على أنفسهم كل ملاذ.

11 مايو - غادرنا عين طيبة باكرًا وخيمنا عند سفح سلسلة جبال ذنون. وكانت الرياح الشمالية الشرقية تجعل الجو محتملًا، لكنها أغرقت أعيننا بالرمال، وكان البقاء في الخيمة عذابًا لا يطاق.

12 مايو - استمرت الرياح العنيفة والرمال طوال اليوم. وعبرنا سلسلة جبال «سلسل» وخيمنا عند سفح سلسلة «رتماية».

13 مايو - انطلقنا فجرًا وقطعنا مسافة طويلة، مرورًا بعدة مناطق حتى وصلنا إلى حاسي بوسرول، حيث وجدنا خيام القائد «حكموم» وعائلته. سرعان ما حاصرنا الجميع، فاضطررت إلى سرد تفاصيل مغامرتنا مع الغزاة. ساد الحزن عند ذكر وفاة «بن نجيب»، الذي كانت عائلته في المخيم. من ناحية أخرى، هنأونا بحرارة على نجاتنا، وكرر القائد نصيحته لي بألا أسافر مرة أخرى دون حراسة قوية. ثم أخبرني أن خبر رحيلي كان معروفًا ليس فقط في عين صالح، بل حتى في حاسي بوزيد، بسبب سهولة ملاحظة تجمع رجالي في ورقلة.

14 و 15 مايو - بقيت في المخيم يومين لأمنح رجالي فرصة لقاء عائلاتهم. استغليت هذا الوقت لكتابة بريدي، وتسريح نصف حراسي، واختيار الجمال التي ستبقى في المنطقة. وقمت بتنظيف البئر وسقي الحيوانات.

واجهتني في هذه المرحلة من المهمة عقبات حالت دون إجراء عمليات الرصد الفلكي، مثل كثرة السحب، وثبات الرياح ليلًا ونهارًا، واستحالة التقاط الصور في الصيف بسبب غياب الظلال والضباب المضيء الذي يغطي كل شيء.

أخبرني القائد أن رسولًا أرسله النقيب «بوجات» وصل بعد ثمانية أيام من رحيلي، لكنه لم يتمكن من اللحاق بي بسبب عنف الرياح على الأرجح.[1] في صباح الخامس عشر، سلمت الرجال المغادرين تقاريرهم، وأبقيت معي ثلاثة عشر رجلاً حتى بسكرة. انطلقوا في الثامنة صباحًا وتفرقوا في كل اتجاه.

في شهر يونيو، مع بداية الحر الشديد، تُترك الجمال طليقة قرب الآبار، حيث تعود للشرب تلقائيًا كل يومين. أما في الفصول الباردة، فيكون هذا السلوك خطيرًا، لأن الجمال قد تبتعد لمسافات طويلة بحثًا عن المراعي الجيدة دون الشعور بالعطش. ومن الغريب أن الجمال التي يشتريها البدو من التوارق غالبًا ما تهرب عائدة إلى مناطقها الأصلية في الجنوب. إن دراسة عادات هذا الحيوان أمر مثير، لكن من الصعب الحصول على دراسة منهجية من السكان الأصليين، رغم اعتمادهم الكامل عليه في حياتهم.

1-علمت لاحقًا أن الرسالة كانت تطلب مني استقبال وفد من التوارق. وبما أنني لم أستلمها، واصل التوارق طريقهم معتقدين أنني أمامهم، وعاد الرسول الذي كان يرافقهم عبر بئر البيوض بعد أيام قليلة فقط من لقائنا بالغزاة هناك.

يفضل الشعانبة فصل الصيف للصيد، حيث تكون الغزلان والظباء مرهقة من الحرارة وتنام في الظل، مما يسهل اصطيادها. وينطلق الصياد عادةً مع سائق يقود جملين محملين بقرب الماء، ويصطاد لعدة أيام، ثم يتجه إلى نبع ماء آخر ليعيد ملء قربته. وقد يعود الصيادان بغنيمة تصل إلى خمسين غزالًا وخمسة عشر ظبيًا، وهو ما يحقق ربحًا يقدر بنحو ثلاثمائه فرنك في رحلة صيد تستغرق اثني عشر يومًا.

لاحظت أن عرب الجنوب يحددون الاتجاهات دائمًا بالنسبة لشيء بارز ومرئي، مثل قمة جبل أو كثيب رملي، وهو أمر يجعل فهمهم سهلاً وفوريًا.

16 مايو- غادرنا متأخرين، وسرنا عبر الهضاب حتى خيمنا في «سيف ماعطاالله». وهبت رياح جنوبية غربية قوية، تلتها عواصف رعدية عنيفة ممزوجة بالأمطار والرمال، وهو ما كان متوقعًا بسبب الانخفاض الكبير في الضغط الجوي.

17 مايو - كانت الليلة هادئة، لكن النهار كان مرهقًا للغاية بسبب الرياح الجنوبية الغربية القوية والحرارة الشديدة والرمال المتطايرة.

18 مايو- خيمنا في «حاسي خالدية» وقمنا بسقي الجمال. استغرقت العملية أكثر من ثلاث ساعات لأن كمية الماء في البئر كانت قليلة. ومن المخيف رؤية الكميات الهائلة من الماء التي تشربها الجمال، والتي تصل إلى سبعين لترًا لكل منها. في الصيف، يحتاج الجمل إلى الماء كل يومين، وإلا فإنه يتوقف عن السير ويقضي الليل يصرخ من العطش، مما يجعل المستكشف أسيرًا لقافلته.

19 مايو- واصلنا السير لمدة سبعة أيام حتى وصلتُ إلى بسكرة صباح يوم 26 مايو. كانت الرحلة شاقة بسبب الحر الشديد والرياح الجنوبية الغربية «الشهيلي» التي كانت تهب يوميًا بعد الساعة العاشرة صباحًا. وفي هذا الفصل، يحمل الجو كميات هائلة من الكهرباء، لدرجة أنني كنت أستخرج شرارات من سجادة خيمتي عند طيها.

فور وصولي، أرسلت رسالة إلى زعماء «أزجر» أبلغهم فيها بما حدث، وأعلنت عن نيتي استئناف رحلتي إلى «أيير» قريبًا. شرحت لهم أن من هاجمهم هم عرب «بوعمامة»، وليس الشعانبة، وأننا واجهناهم أيضًا، لكننا لم نكن أقوياء بما يكفي لهزيمتهم واستعادة جمالكم. عبرت عن حزني لما حدث، وطلبت منهم الرد على رسالتي، مؤكدًا أنني سأعود قريبًا للوفاء بوعدي لهم. وقد علمت للتو بوفاة

«محمد بن الحاج إخنوخن»، وهو أمر مؤسف للغاية.[1]

نص الرسالة

إلى محمد بن الحاج إخنوخن،[2] وعون غيداسن، ومولاي الخداج، وأناكروف بن خلالة، وجميع أعيان أزجر، زادكم الله في أموالكم.

من الرحالة الفرنسي «فورو»، ومن الحاج عبد الحكيم بن الشيخ وجميع رجال الشعانبة في ورقلة، نرسل إليكم خالص تحياتنا.

نود أن نؤكد لكم، كما تعلمون، أن رجال الشعانبة في ورقلة ليس لهم أي علاقة بالغارة التي تعرضتم لها مؤخرًا، فليس بيننا وبينكم إلا كل خير.

إن من قام بهذا الهجوم هم عرب «بوعمامة»، وهم خليط من قبائل مختلفة مثل أولاد با حمو والزوا والجرامنة ومنشقو الشعانبة، وهي نفس العصابة التي كان يقودها «بو خشبة» في السابق.

كنت قد انطلقت مع الحاج عبد الحكيم وبعض رجال الشعانبة من ورقلة قاصدًا إياكم في سلام وصداقة، لنتحدث كما اتفقنا وتأخذوني إلى «أيير» حسب وعدكم. لكن عندما وصلت إلى منطقة البيوض، واجهت نفس فرقة الغزو التي هاجمتكم، فقتلوا رجلاً منا وقتلنا رجلاً منهم.

لم نكن حينها بالقوة الكافية لقتالهم، فلم يكن معي سوى ستة وعشرين رجلاً بينما كانوا هم أكثر من ثمانين. لو كان عددنا أكبر، لأخذنا إبلكم منهم وأعدناها إليكم لتوثيق صداقتنا، ولكن قدر الله وما شاء فعل.

إننا، رجال ورقلة وأنا، نشعر بحزن عميق لما فعله هؤلاء الناس بكم.

أرجو ألا تنسوا الرد على رسالتي وإطلاعي على أخباركم.

سأعود إليكم قريبًا مع رجالي، حتى تتمكنوا من اصطحابي إلى «أيير» كما وعدتم، فأنا قد وفيت بكل وعودي معكم.

(السلام عليكم).

1-تلقيت لاحقًا رسالة من «مولاي آغ كداج» يخبرني فيها أنه جاء للقائي في مايو الماضي، لكنه انصرف عند سماعه بخبر وصول الغزاة، وسألني عن موعد عودتي.

2-تلقيت للتو خبر وفاة محمد بن الحاج إخنوخن. إن وفاته مؤسفة للغاية، فقد كان كريمًا ولطيفًا جدًا معي. أما ابنه الذي تركه، فلا يزال صغيرًا جدًا ولا يمكن الاعتماد عليه.

(3) الاستنتاجات السياسية

تعاني الصحراء الكبرى جنوب الجزائر من اضطرابات عميقة بسبب الغارات المستمرة التي تشنها فرق الغزو من غدامس إلى عين صالح، سواء في أراضينا أو في صحراء التوارق. تتخذ هذه الفرق من منطقة «توات» وكرًا لها، ورغم عملها في مناطق مختلفة، فإنها تنتمي جميعًا إلى نفس العصابة التي تضم حوالي مائتي فرد، وتعمل في مجموعات صغيرة منظمة تحت قيادة قادة موالين ل»بوعمامة».

هذه العصابة، التي تتكون من مزيج من سكان جنوب غرب الجزائر، يهيمن عليها العنصر المنشق من الشعانبة. وإن وجودها يفاقم انعدام الأمن ويعيق الحركة التجارية الضئيلة أصلًا. ومن المثير للاهتمام أن قوافل قبيلة «أولاد باحمو» لا تتعرض أبدًا للهجوم، لأن أفرادًا منهم يشاركون دائمًا في هذه الغارات.

من غير المقبول أن يستمر هذا الوضع. وفرنسا وحدها القادرة على إنهائه بالسيطرة على هذه المناطق التي تعتبر وكرًا لهؤلاء اللصوص. إن جميع التوارق في الشرق يتفقون على أن السلام لن يتحقق في الصحراء حتى تفرض فرنسا سيطرتها على «توات» و«تيديكلت». إنهم يتمنون ذلك، ولا يفهمون صمتنا على الهجمات التي نتعرض لها، أو ترددنا في الانتقام لمذبحة بعثة «فلاترز». إنهم مندهشون من تساهلنا وتقاعسنا.

من الواضح أن البعض قد يرى أننا تقدمنا بما فيه الكفاية جنوبًا، وأن غزو بلد فقير ومحروم مثل الصحراء لا طائل من ورائه. قد يكونون على حق، لكن ترك أنفسنا عرضة للغارات دون رد هو أمر مختلف تمامًا. دون السعي لتوسيع ممتلكاتنا، من الضروري أن تحتل فرنسا منطقتي توات وتيديكلت، اللتين تنطلق منهما عصابات النهب التي تزعج بدونا ومستكشفينا وقوافلنا. لن يكون هذا غزوًا، بل عملًا من أعمال الشرطة سيفرض نفسه عاجلاً أم آجلاً.

يعتقد البعض أن الدبلوماسية وكسب ود بعض القادة المحليين هو الحل الأفضل، لكن هذه الطريقة لن تسفر إلا عن نتائج وهمية في توات وتيديكلت، فالسكان هناك كثر، ولن يتمكن أي قائد محلي من ضمان الأمن. لذا، يبقى الحل الوحيد هو الاحتلال الفرنسي الفعلي والنهائي لهذه المنطقة. سيستقبلنا السكان المستقرون بأذرع مفتوحة، ولن يقاومنا إلا البدو وقطاع الطرق الذين سيضع

احتلالنا حدًا لأعمالهم.

أما في الجنوب، فنتعامل مع فصائل التوارق المختلفة:

* الأهقار: هؤلاء أعداؤنا، والحل الوحيد معهم هو القوة، ليس لغزو بلادهم، بل لضمان أمن المناطق المجاورة التي يغيرون عليها باستمرار.

* الإيمانغاساتين: رغم انتمائهم لاتحاد «أزجر»، إلا أنهم على خلاف معهم، ويحملون مشاعر عدائية تجاهنا ويرفضون اقتراب الفرنسيين منهم.

* الإيفوغا: هم حلقة الوصل بيننا وبين بقية التوارق. لا يمكن الوثوق بهم تمامًا، لكن لا يُخشى منهم، وبعضهم ودود.

* الأزجر: هؤلاء مستعدون تمامًا لاستقبال الأوروبيين، وقد وعدوني شخصيًا بمساعدتي في عبور الصحراء. إن التسوية المالية لمسألة الجمال التي كانوا يطالبون بها، والتي تمت بفضل جهودي وحسن نية الحاكم العام، ساهمت بشكل كبير في تحسين علاقاتنا. ومع ذلك، فإن سلطة زعمائهم محدودة، ولا يثقون في طاعة مرؤوسيهم.

لقد كان هذا التقارب مع الأزجر ثمرة جهودي على مدى السنوات الأربع الماضية. لا أعتقد أن أحداث أبريل الماضي قد غيرت من موقفهم، فهم يدركون أن من هاجمهم كانوا رجالًا من توات وليسوا من الشعانبة الخاضعين لسلطتنا، وقد أكدت لهم ذلك في رسالة أرسلتها بعد عودتي.

حياة التوارق عبارة عن سلسلة متواصلة من الغارات، مما يجعل الصحراء في حالة دائمة من الفوضى وانعدام الأمن، ويعيق أي تجارة أو تغلغل. هذا الوضع ناتج عن غياب سلطة قوية، بالإضافة إلى التعصب الديني الذي يغذيه المرابطون القادمون من توات وتيديكلت، والذين يعملون كعملاء سريين للحكومة المغربية ويسعون لربط التوارق بها سياسيًا ودينيًا.

لذا، أعود وأكرر: لن نحقق السلام في شمال الصحراء إلا بعد احتلال توات وتيديكلت، فهما محور المقاومة لنفوذنا ومخزن الحبوب لجميع التوارق. أما إحلال السلام في الصحراء الوسطى، فهو عمل طويل وشاق، ويمكن تحقيقه من خلال دعم زعيم محلي ذي نفوذ وتزويده بالمال لتنظيم قوة شرطة تخدم مصالحنا. إن الحكم بالنفوذ المدفوع سيكون كافيًا في الصحراء الكبرى، على عكس توات التي تحتاج إلى احتلال مباشر.

يمكننا استغلال العداء القديم بين الأزجر والأهقار، فمساعدة الأزجر على هزيمة أعدائهم ستحقق لنا مصلحة مزدوجة: سنحصل منهم على ضمانات للمستقبل، وسننتقم من الأهقار الذين أقسموا على كرهنا. يمكننا تحقيق ذلك بتسليح فرقة من الشعانبة لمهاجمة الأهقار، ودعم الأزجر لهم في اللحظة الأخيرة. ستكون هذه العملية غير مكلفة وستؤدي إلى إخضاع الأهقار، وترسيخ سيادة الأزجر، وفتح الطرق إلى السودان. بعد ذلك، يمكننا الانتقال إلى الدبلوماسية، مع التأكيد للأزجر أننا لا ننوي احتلال بلادهم.

النقطة الأساسية هي أنه طالما استمرت حالة الفوضى، فلن تكون هناك تجارة في الصحراء. من واجب فرنسا أن تضحي بالمبالغ اللازمة لضمان السلام في هذا البلد الذي هو امتداد لإمبراطوريتها الأفريقية. فإذا كانت فرنسا قد أنفقت مئات الملايين على غزو تونكين ومدغشقر، ألا يمكنها تخصيص مبلغ صغير، ربما مليوني فرنك، لتوحيد إمبراطوريتها الأفريقية؟

أما دوري الشخصي، فهو أكثر تواضعًا: محاولة عبور هذه المنطقة القاحلة. وسأكون راضيًا تمامًا في اليوم الذي أتمكن فيه من تقديم وثائق هذه الرحلة إلى إدارة التعليم العام، معلنًا إنجاز المهمة التي كلفتني بها. هل ذلك اليوم قريب؟ لا أعلم، لكن كل جهودي تقربه.

الملاحق

ملحق رقم 1: الآبار

في هذا التعداد، سأذكر فقط الآبار التي تمت دراستها لأول مرة لتجنب التكرار.

* عين تيوسكيرين: نبع طبيعي بتدفق منخفض جدًا، ومياهه عالية الجودة على عمق 0.60 مترًا. درجة حرارة الماء 13.8 درجة مئوية، والارتفاع 465 مترًا.

* عين طبلبالت: بئر بعمق إجمالي 2.60 مترًا، منها 1.82 مترًا ماء. مياهه جيدة وتتجدد بسرعة. درجة حرارة الماء 26 درجة مئوية، والارتفاع 472 مترًا.

* عين الحجاج (تاكيت): بئران، إحداهما صغيرة، والأخرى كبيرة رممها «فلاترز» سابقًا. بعد تنظيفها من الرمال، وجدنا أن عمقها 3.30 مترًا، منها 0.70 مترًا ماء. مياهها جيدة جدًا، ودرجة حرارتها 27 درجة مئوية، والارتفاع 526 مترًا.

* منخور عند حدوث فيضان، تتحول هذه النقطة إلى مستنقع واسع، أما الآن فلا يوجد سوى حفر (تلماس) بعمق مترين في طين رملي، وتوفر مياهًا ممتازة. المنطقة غنية بأشجار الأثل والطرفاء. الارتفاع 582 مترًا.

* أوغلات تاسينجا (وادي ليزي): ثلاثة أو أربعة آبار بعمق 2.30 مترًا، منها متر واحد ماء. مياهها ممتازة، ودرجة حرارتها 20 درجة مئوية. جدران الآبار مدعمة بجذوع الأشجار. الارتفاع 575 مترًا.

* حاسي ريجيا (وادي إزكراط): بئر بعمق 6 أمتار، منها 1.20 مترًا ماء. مياهها جيدة شتاءً وشحيحة صيفًا. الارتفاع 640 مترًا.

* حاسي عدجير: بئر مربعة الشكل بعمق 5 أمتار، منها 0.80 مترًا ماء. مياهه ممتازة، ودرجة حرارتها 21.6 درجة مئوية. جدرانها مدعمة بعناية بجذوع الأثل، ولم تجف منذ أكثر من عشر سنوات. الارتفاع 555 مترًا.

* تلماس تابانكورت: سبق لي وصفها. مستوى المياه حاليًا على عمق 1.5 مترًا تحت الأرض. درجة حرارتها 14.8 درجة مئوية. الارتفاع الجديد 365 مترًا.

الارتفاعات

بالقرب من حاسي سميهري	199 مترًا
حاسي مجيرة	171
شمال حاسي رتماية	157
عين طيبة (مستوى النبع)	200
قاسي الخادم	216
قاسي الوسطى	280
قاسي المويلح (الرأس الغربي)	303
قاسي المويلح (الضفة الغربية)	325
مويلح معطى الله	360
البيوض	345
تيماسانين	380
سبعة كيلومترات جنوب الخنفساء	505
تبلبالة	472
بالقرب من تيكبابين	495
عين الحجاج	526
مصب وادي إجران	565
تيهونتلمون	575
منخور	582
وادي أجنادجا	582
وقلات تاسينجا	575
وادي تسات	595
وادي أوبركات	610
حاسي ريجيا	640
تيغمالين (بالقرب من أفارا)	570
حاسي عجير	555
مجرى وادي أسكيفاف	460

على حافة الجوة (21 ديسمبر 1894)	472
قاع تالوق الجوة (22 ديسمبر 1894)	458
قمة جرف تنغرت	580
وادي تيفيست	453
حاسي تابانكورت (ارتفاع جديد)	365
حاسي بلحيران	150
في وادي إغرغر	189
بالقرب من حاسي البكرة	183
قمة بالقرب من حاسي أم الروس	190
بالقرب من حاسي بولروى	155
حاسي مطمات	117

ملحق رقم 2: الملاحظات الفلكية

تقرير عن التحديدات الجغرافية للمهمة

استغل السيد فورو، كما في بعثاته السابقة، العناصر التي جمعها على أكمل وجه، وكانت النتائج مُرضية للغاية. استخدمت البعثة سدسًا ومزواة مغناطيسية وأربعة كرونومترات، وتم تسجيل 927 رصدًا للارتفاعات، منها 46 لخطوط العرض، و45 لخطوط الطول.

لتجنب الصعوبات المتعلقة بالرصد الشمسي في خطوط العرض المنخفضة، استخدم السيد فورو النجوم بشكل حصري تقريبًا، مما أدى إلى نتائج دقيقة. كانت خطوط العرض ممتازة وتطابقت مع التقديرات السابقة، أما خطوط الطول فكانت أصعب تحديدًا بسبب صعوبة الحفاظ على دقة الكرونومترات خلال رحلة برية طويلة. ورغم كل الاحتياطات، وصل عدم اليقين في تحديد الوقت إلى حوالي عشر ثوانٍ، وهو ما يسلط الضوء على ضرورة استخدام تقنية رصد احتجاب النجوم بواسطة القمر في المستقبل لتحقيق دقة أكبر.

باختصار، يمكن اعتبار الأساليب التي استخدمها هذا المسافر نموذجًا للرحلات الاستكشافية من هذا النوع.

تقرير ف. أولترامار، عالم فلك في المرصد، باريس، 10 أغسطس 1895.

ملحق رقم 3: علم الأرصاد الجوية

أُجريت جميع الملاحظات باستخدام أدوات معايرة. كانت ظاهرة السراب أقل تكرارًا هذا العام. أما ظاهرة اختلال البوصلات، التي تُعزى إلى احتكاك جزيئات الرمل بفعل الرياح، فقد تكررت، واكتشف مرافقي «فيلات» أن تبليل زجاج البوصلة يوقف هذه الظاهرة مؤقتًا.

مقتطفات من سجل الأرصاد الجوية

يناير 1895 كان الجو غائمًا، ثم غائمًا جزئيًا، ثم أصبح غائمًا بالكامل طوال الليل. في الصباح، كانت هناك رطوبة خفيفة، وظلت السماء غائمة في السابعة صباحًا، ثم بدأت السحب تخف حوالي التاسعة صباحًا. كانت السماء مغطاة، ثم غائمة جزئيًا، ثم أصبحت جميلة.

(جدول بيانات)[1]

صفت السماء.

غطاء سحابي بنسبة ثلاثة أرباع (4/3)، والجو منذِر.

كان الجو ضبابيًا، ثم أصبح صافيًا.

ظلت السماء صافية؛ عند منتصف النهار أصبحت السماء غائمة جزئيًا، مع حرارة ثقيلة ورطوبة طوال فترة ما بعد الظهر. عند غروب الشمس، أصبحت السماء ملبدة بالغيوم تمامًا. حوالي الساعة الثامنة مساءً، هطلت أمطار خفيفة، وفي التاسعة هبت رياح شرقية خفيفة، وظلت السماء ملبدة بالغيوم طوال الليل.

حوالي الساعة الثانية صباحًا، تصبح السماء ملبدة بالغيوم؛ وفي الخامسة صباحًا، تظهر هالة قمرية كبيرة؛ وخلال النهار، تكون السماء مليئة بالغيوم الصغيرة؛ وعند غروب الشمس، تزداد الغيوم؛ وتكون السماء ملبدة بالغيوم تمامًا في حوالي الساعة السابعة مساءً؛ وتسقط بضع قطرات من المطر في حوالي الساعة الثامنة مساءً.

كان الجو غائمًا، ثم غائمًا جزئيًا، ثم أصبح غائمًا بالكامل طوال الليل. في

1-وضع الناشر صور لجداول المعلومات مصورة من الاصل وهي صور غير واضحة. اشرنا لمكانها ويفضل الرجوع للاصل، (المترجم)

الصباح، كانت هناك رطوبة خفيفة، وظلت السماء غائمة في السابعة صباحًا، ثم بدأت السحب تخف حوالي التاسعة صباحًا. كانت السماء مغطاة، ثم غائمة جزئيًا، ثم أصبحت جميلة.

(جدول بيانات)

صفت السماء.

غطاء سحابي بنسبة ثلاثة أرباع (4/3)، والجو منذِر.

كان الجو ضبابيًا، ثم أصبح صافيًا.

ظلت السماء صافية؛ عند منتصف النهار أصبحت السماء غائمة جزئيًا، مع حرارة ثقيلة ورطبة طوال فترة ما بعد الظهر. عند غروب الشمس، أصبحت السماء ملبدة بالغيوم تمامًا. حوالي الساعة الثامنة مساءً، هطلت أمطار خفيفة، وفي التاسعة هبت رياح شرقية خفيفة، وظلت السماء ملبدة بالغيوم طوال الليل.

حوالي الساعة الحادية عشرة مساءً، اشتدت الرياح الشرقية وهبت طوال الليل على شكل هبات. في السابعة صباحًا، استمرت نفس الرياح بنفس القوة، وكانت السماء ملبدة بالغيوم ومنذرة. حوالي الحادية عشرة صباحًا، تحولت الرياح إلى جنوبية غربية، ثم استقرت عند الظهر باتجاه الشمال الغربي وهي تهب بقوة. أصبحت السماء صافية حوالي الساعة الثالثة مساءً، وهدأت الرياح وأصبح الجو جميلاً عند غروب الشمس، مع انخفاض حاد في درجة الحرارة. تلاشت آخر السحب حوالي السابعة مساءً، وظلت السماء صافية طوال الليل.

كان اليوم جميلاً وباردًا قليلاً. حوالي الساعة العاشرة صباحًا، هبت رياح شرقية متوسطة، ثم هدأت حوالي الساعة الثالثة عصرًا. وعند غروب الشمس، هبت رياح شمالية شرقية خفيفة. في الصباح، تساقط ندى كثيف، وتشكل ضباب كثيف لم يتبدد إلا حوالي التاسعة والنصف صباحًا، ليتحول إلى مطر خفيف.

في الصباح، كانت السماء غائمة جزئيًا. وفي فترة ما بعد الظهر، هبت رياح جنوبية شرقية قوية. عند غروب الشمس، أصبحت السماء ملبدة بالغيوم تمامًا ومنذرة. في الخامسة والنصف مساءً، هطلت قطرات مطر وسمع صوت رعد في الجنوب الغربي. في السابعة مساءً، استمر الرعد في الجنوب الغربي والشمال الغربي مع رياح جنوبية شرقية قوية. في الثامنة، هطلت زخات خفيفة، واستمرت على فترات متقطعة خلال الليل. حوالي الساعة الثالثة صباحًا، توقف المطر

وأصبحت السماء صافية.

عند شروق الشمس، كانت السماء ضبابية قليلاً. حوالي التاسعة صباحًا، هبت رياح جنوبية غربية بقوة حتى الواحدة والنصف ظهرًا، مثيرةً الرمال ومسببةً عواصف رملية عنيفة. حوالي الساعة الثانية ظهرًا، خفت قوة الرياح، وهدأت تمامًا عند غروب الشمس، وظلت السماء صافية طوال الليل.

كان اليوم جميلاً، مع رياح جنوبية غربية خفيفة وسماء صافية.

كان الغطاء السحابي ربع السماء. في الصباح، تساقط ندى خفيف، وفي العاشرة صباحًا ظهرت سحب ركامية في الجنوب الغربي. أصبحت السماء ضبابية وظلت كذلك حتى غروب الشمس وطوال الليل. كان النهار جميلاً مع حرارة شديدة وسماء غائمة جزئيًا.

حوالي الساعة الرابعة والنصف فجرًا، تغطت السماء بالغيوم، ثم انقشعت الرؤية حوالي التاسعة والنصف صباحًا. وعند غروب الشمس، غطت السحب السماء بالكامل. في السابعة مساءً، هطلت بضع قطرات من المطر، وظلت السماء غائمة طوال الليل.

(جدول بيانات)

كان الغطاء السحابي نصف السماء. ثم أصبحت السماء مغطاة بالكامل. ثم أصبح الغطاء السحابي ربع السماء.

(جدول بيانات)

ظلت السماء غائمة طوال الليل والنهار. حوالي الساعة السادسة مساءً، هطلت أمطار غزيرة. ومن السابعة صباحًا، هبت رياح شمالية غربية خفيفة حتى العاشرة صباحًا، وكان الجو غائمًا ومنذرًا. ظل الجو غائمًا مع هطول أمطار غزيرة في أوقات مختلفة من الصباح. ومن الحادية عشرة صباحًا، هبت رياح جنوبية شرقية خفيفة (رياح الشهيلي) حتى الثالثة والنصف عصرًا، ثم هدأت تمامًا عند غروب الشمس. ومن السابعة مساءً، أصبح الجو غائمًا مع رياح شرقية خفيفة.

(جدول بيانات)

كانت السماء غائمة جزئيًا، مع تساقط زخات مطر الساعة السابعة مساءً. ظل الجو غائمًا طوال فترة ما بعد الظهر، مع حرارة شديدة ورطبة، وظهر برق في الشمال الغربي الساعة الثامنة مساءً. ظلت السماء صافية طوال الليل، وظهرت

سحب ركامية الساعة العاشرة صباحًا، ثم أصبح الجو غائمًا جزئيًا مع رياح شمالية غربية خفيفة بعد الظهر، وصفت السماء عند غروب الشمس.

(جدول بيانات)

في الصباح، تساقط ندى خفيف وكانت السماء صافية. كان اليوم جميلاً مع رياح شمالية شرقية خفيفة. كان اليوم جميلاً والسماء صافية، وحوالي السابعة مساءً أصبحت السماء ضبابية. كان اليوم جميلاً والجو دافئًا بعد الظهر. في السابعة مساءً، ظهرت سحب طبقية خفيفة، ثم تزايدت عند الظهيرة ليصبح الجو غائمًا جزئيًا. عند غروب الشمس، أصبح الجو غائمًا، وفي الثامنة مساءً هطلت قطرات مطر، وظلت السماء غائمة طوال الليل.

كان الغطاء السحابي نصف السماء، ثم أصبحت مغطاة بالكامل. هطلت قطرات مطر، ثم انقشعت السماء حوالي العاشرة صباحًا، لتعود وتصبح غائمة تمامًا عند غروب الشمس. هطلت قطرات مطر في السابعة مساءً، وظلت السماء منذرة طوال الليل.

(جدول بيانات)

صفت السماء. ظهرت سحب سمحاقية. في الصباح، تساقط ندى خفيف وكانت السماء صافية. هبت رياح شمالية غربية على ارتفاع 2000 متر حوالي الساعة العاشرة والنصف صباحًا، ثم هدأت عند غروب الشمس وكان المساء جميلاً.

ظهرت سحب سمحاقية طبقية. حوالي الثانية فجرًا، أصبحت السماء ملبدة بالغيوم، وظلت كذلك في السابعة صباحًا. حوالي العاشرة صباحًا، صفت السماء قليلاً، وهبت رياح جنوبية غربية خفيفة بعد الظهر. أصبحت السماء ملبدة بالغيوم تمامًا عند غروب الشمس، وفي الثامنة مساءً هطلت قطرات مطر خفيفة، وظل الجو غائمًا طوال الليل. كان الغطاء السحابي ثلاثة أرباع السماء. ومن الصباح، كان الجو غائمًا، ثم صفت السماء قليلاً في السابعة مساءً مع ظهور سحب ركامية عديدة. ظل الجو غائمًا طوال فترة ما بعد الظهر. عند غروب الشمس، هبت رياح شمالية غربية، ثم توقفت تمامًا حوالي الثامنة مساءً. في التاسعة، ظهر برق في الجنوب الشرقي.

(جدول بيانات)

في الصباح، تساقط ندى خفيف جدًا، وكان الجو دافئًا بعد الظهر مع رياح شمالية غربية ضعيفة وسماء صافية. كان اليوم جميلاً والسماء صافية. عند غروب الشمس، هبت رياح شمالية غربية خفيفة من الجنوب حتى الثامنة مساءً. أصبحت السماء ضبابية في السابعة صباحًا، وازدادت الغيوم في الثامنة. في الثانية ظهرًا، هبت رياح شمالية غربية مع هبات توقفت عند غروب الشمس. في المساء، ظهر برق في الشمال ثم الشمال الغربي مع رعد بعيد جدًا، وبرق في الجنوب الشرقي، واستمرت العاصفة الرعدية طوال الليل مع رعد عنيف جدًا وهدير طويل وزخات مطر متكررة. في الساعة الثالثة من فجر اليوم السابع، اشتدت العاصفة في الجنوب ومرت فوقنا، وظل الجزء الأكبر منها في الجنوب الغربي. ومن الساعة الثالثة صباحًا، هطلت أمطار غزيرة مع برق ورعد، ثم مرت العاصفة متجهة نحو الجنوب الشرقي.

كانت السماء صافية في الصباح. ومن التاسعة صباحًا، هبت رياح شمالية غربية اشتدت حوالي العاشرة، وهبت بقوة في فترة الظهيرة مثيرةً كميات كبيرة من الرمال، مما جعل الجو ضبابيًا. هدأت الرياح عند غروب الشمس، وظلت السماء ضبابية.

(جدول بيانات)

صفت السماء حوالي التاسعة صباحًا. هبت رياح شمالية غربية، مثيرةً رياحًا رملية خفيفة حوالي العاشرة صباحًا، واستمرت بنفس القوة حتى غروب الشمس حيث هدأت تمامًا، واستمرت الرمال بعد الظهر. تساقط ندى خفيف وكانت السماء صافية. هبت رياح شمالية غربية خفيفة منعشة حوالي الحادية عشرة صباحًا، مثيرةً رياحًا رملية خفيفة حتى الثالثة عصرًا (رمال مرتفعة)، ثم توقفت الرياح عند غروب الشمس. ظهرت غيوم سمحاقية خفيفة في الشمال الغربي، مع نسيم شمالي غربي خفيف ومتغير. عند الظهر، امتلأت السماء بالسحب الركامية الطبقية مع رياح غربية خفيفة، ثم صفت السماء عند غروب الشمس.

ظهرت سحب ركامية، وكان الغطاء السحابي ثلاثة أرباع السماء. كانت السماء صافية، وهبت رياح جنوبية شرقية خفيفة الساعة العاشرة صباحًا مع ظهور سحب ركامية خفيفة. عند غروب الشمس، ظهرت غيوم طبقية عديدة، وكانت السماء شبه غائمة. حوالي الساعة العاشرة مساءً، صفت السماء وظلت كذلك

طوال الليل.

(جدول بيانات)

كان اليوم جميلاً جدًا مع رياح شمالية غربية متقلبة وسماء صافية. كان اليوم جميلاً مع رياح شمالية غربية خفيفة متقلبة وسماء صافية. تكوّن صقيع خفيف مع رياح شرقية خفيفة وسماء صافية.

(جدول بيانات)

في الصباح، هبت رياح شمالية شرقية خفيفة ومنعشة، واستمرت حتى غروب الشمس، وكانت السماء صافية. لم يكن هناك ضباب. تساقط ندى خفيف، وعند شروق الشمس هبت رياح جنوبية شرقية خفيفة استمرت حتى غروب الشمس. في الخامسة مساءً، أصبحت السماء منذرة، وهبت رياح جنوبية شرقية قوية نسبيًا خلال الليل. في الثانية صباحًا، اشتدت الرياح وأصبحت السماء منذرة مع برق ورعد في الجنوب الغربي. في الرابعة صباحًا، هطلت زخات مطروهبت رياح شمالية غربية مصحوبة برعد وبرق في الشمال الغربي، وكان الضغط الجوي 714. استمر البرق والرعد حتى الثامنة صباحًا.

كان الغطاء السحابي نصف السماء. كانت السماء غائمة، وهبت رياح جنوبية شرقية معتدلة السرعة من الصباح، واشتدت حوالي العاشرة صباحًا مثيرةً الرمال. استمرت الأعشاب والرمال المتطايرة طوال فترة ما بعد الظهر. عند غروب الشمس، أصبحت السماء غائمة تمامًا. حوالي الثامنة مساءً، ظهر برق في الشمال والشمال الشرقي، وهطلت بضع قطرات من المطر حوالي التاسعة مساءً، ثم انقشعت السماء. حوالي الرابعة صباحًا، هطلت زخات مطروهبت رياح شمالية.

كانت السماء غائمة مع رياح شمالية خفيفة، وظلت كذلك طوال اليوم، ثم تحسن الطقس حوالي الخامسة مساءً. وفي العاشرة مساءً، أصبحت السماء ملبدة بالغيوم وظلت كذلك طوال الليل.

(جدول بيانات)

كانت السماء صافية مع رياح شمالية شرقية خفيفة ومنعشة. حوالي الحادية عشرة صباحًا، استمرت الرياح الشمالية الغربية حتى الثالثة عصرًا مع ظهور سحب ركامية كثيفة، ثم صفت السماء عند غروب الشمس. تساقط ندى خفيف وكانت السماء صافية مع رياح جنوبية شرقية طوال اليوم. كانت السماء صافية

مع رياح شمالية غربية باردة جدًا، اشتدت حوالي العاشرة صباحًا ثم هدأت عند غروب الشمس. كانت الليلة باردة جدًا مع رياح شمالية غربية باردة جدًا وسماء صافية. كانت الليلة باردة جدًا مع صقيع أبيض ورياح شمالية غربية ضعيفة أصبحت قوية جدًا ومتجمدة عند الظهر، ثم هدأت عند غروب الشمس وكانت السماء صافية. كانت الليلة باردة جدًا مع رياح شمالية غربية خفيفة طوال اليوم وسماء صافية. تكوّن صقيع شديد مع برد قارس ورياح متقلبة وسماء صافية. تكوّن صقيع مع رياح شرقية خفيفة وسماء صافية. تساقط ندى خفيف مع ريح شمالية خفيفة وسماء صافية، وعند غروب الشمس أصبحت السماء ضبابية. تكوّن صقيع مع ريح شمالية متقلبة وسماء صافية ومساء جميل. هبت رياح جنوبية شرقية خفيفة، وحوالي العاشرة صباحًا ظهرت سحب ركامية كثيفة وأصبحت السماء غائمة جزئيًا. هبت رياح جنوبية غربية خفيفة بعد الظهر، وصفت السماء عند غروب الشمس. في الصباح، هبت رياح جنوبية غربية اشتدت حوالي العاشرة صباحًا مع هبوب رياح رملية، واستمرت الرمال بعد الظهر، وكانت السماء صافية طوال اليوم، وفي الليل استمرت الرياح الجنوبية الغربية. هبت رياح جنوبية غربية خفيفة إلى معتدلة السرعة من التاسعة صباحًا، واشتدت في فترة ما بعد الظهر مع رمال ورياح وجو ضبابي، ثم هدأت تمامًا عند غروب الشمس وكانت السماء صافية.

ليلة باردة؛ نهار جميل جدًا؛ رياح جنوبية شرقية خفيفة بعد الظهر، وسماء صافية.

ليلة باردة؛ رياح شمالية غربية خفيفة طوال اليوم؛ سماء صافية.

نهار جميل جدًا؛ رياح شمالية شرقية خفيفة؛ حوالي الساعة السادسة صباحًا: رياح شمالية غربية خفيفة، وسماء صافية.

رياح شمالية غربية خفيفة طوال الليل؛ سماء غائمة جزئيًا؛ عند الساعة الثالثة صباحًا: هالة قمرية كبيرة؛

عند شروق الشمس: نسيم شمالي شرقي خفيف ينعش حوالي الساعة الثامنة صباحًا؛ بعد الظهر

: رياح شمالية شرقية قوية، رمال، وسحب طبقية عديدة في الشمال والشمال الغربي؛ عند الساعة السابعة مساءً:

رياح شمالية شرقية عاصفة، وسماء صافية.

رياح شمالية شرقية طوال الليل؛ من الساعة 7 صباحًا تهب رياح BB؛ في فترة ما بعد الظهر

تهب رياح شمالية شرقية بعنف، والرمال مرتفعة؛ طبقات رقيقة من السحب في الشرق؛

تنخفض الرياح تمامًا عند غروب الشمس؛ سماء صافية طوال الليل.

في الصباح حوالي الساعة 4 صباحًا، برق في الجنوب الشرقي؛ عند شروق الشمس، سماء ملبدة بالغيوم في الجنوب؛ رياح شمالية غربية BB، تهب بعنف حتى الساعة 6 مساءً؛ سماء غائمة، تصبح صافية عند غروب الشمس.

ضباب. رياح شمالية شرقية خفيفة عند شروق الشمس؛ رياح شمالية شرقية متوسطة السرعة عند الساعة 9 صباحًا، تهب بعنف حتى غروب الشمس؛ حوالي الساعة 7 صباحًا سماء ضبابية في الغرب؛ سحب ركامية في الشمال حوالي الساعة 10 صباحًا مع برق في ذلك الاتجاه؛ تصبح السماء صافية حوالي الساعة 11 مساءً.

(جدول بيانات)

يوم جميل؛ رياح شمالية خفيفة ومتغيرة؛ سماء صافية عند غروب الشمس؛

حوالي الساعة العاشرة مساءً، سحب ركامية شمالية وبرق في ذلك الاتجاه.

في الصباح، سماء صافية؛ 7 صباحًا، رياح جنوبية غربية خفيفة؛ ظهرًا، ضباب خفيف؛ حوالي الساعة الثانية صباحًا، السماء

ملبدة بالغيوم تقريبًا؛ تتجه الرياح إلى الشمال الغربي؛ 3 صباحًا، عاصفة، رياح شمالية غربية

مع هبات عنيفة، بضع قطرات من المطر، سماء مهددة، بارومتر743.3؛ 4:30 صباحًا،

عاصفة شمالية غربية عنيفة مصحوبة بأمطارودوامات رملية؛

تستمر هذه العاصفة حوالي 20 دقيقة فقط؛ تتحول الرياح إلى الجنوب الغربي، بارومتر741.8؛ في الساعة السادسة صباحًا، رياح جنوبية غربية

مع هبات عنيفة، بضع قطرات من المطر، سماء ملبدة بالغيوم؛ تنخفض الرياح عند غروب الشمس، سماء ملبدة بالغيوم.

حوالي الساعة الثانية صباحًا، تنقشع السماء تمامًا؛ في الثالثة صباحًا، تهبّ رياح جنوبية غربية خفيفة؛ وتصبح السماء

ضبابية في الجزء الجنوبي؛ ثم تنقشع عند شروق الشمس؛ في السابعة صباحًا، تهب رياح جنوبية غربية خفيفة

طوال فترة ما بعد الظهر؛ سماء ضبابية في الجنوب؛ في السابعة مساءً، يسود هالة ضبابية في الجزء الشمالي.

عند شروق الشمس، تكون السماء صافية، مع رياح شمالية؛ حوالي الساعة الواحدة صباحًا، تهبّ رياح جنوبية شرقية خفيفة، مع رياح شهيلي،

وحرارة شديدة بعد الظهر؛ عند غروب الشمس، تكون السماء صافية؛ حوالي الساعة الثامنة صباحًا، 2،1،

تتكاثف السحب في الجزء الجنوبي.

ضباب. ضباب. ضباب. ليلة صافية؛ يصبح ضبابيًا عند شروق الشمس، رياح شمالية خفيفة؛ حوالي الساعة الثانية صباحًا رياح جنوبية غربية؛ تشهيلي؛ مقياس الحرارة الساعة الثالثة صباحًا 38 درجة، سماء ضبابية طوال اليوم؛ رياح جنوبية غربية خفيفة عند غروب الشمس.

(جدول بيانات)

ستراتوس. نقي.

ضباب. سماء صافية عند شروق الشمس؛ رياح جنوبية غربية في فترة ما بعد الظهروهبوب رياح شهيلي؛ حوالي الساعة السادسة صباحًا، ضباب في الجنوب والغرب.

نقي.

سماء صافية؛ رياح شمالية خفيفة متغيرة؛ طبقة من السحب حوالي الساعة 10 صباحًا؛ ضباب خفيف عند غروب الشمس.

سحاب سمحاقي جنوبي. غطاء ربعي. ضباب. رياح شمالية خفيفة طوال الليل؛ سحاب سمحاقي في الجزء الجنوبي الساعة 7 صباحًا؛ رياح شمالية محملة بالرطوبة تُشبع الملابس برطوبة ملحوظة جدًا؛ حوالي الساعة 3 صباحًا، تُغطى السماء بضباب كثيف نسبيًا، وتصفو السماء حوالي الساعة 8 صباحًا من الجنوب. غائم. غائم. عند شروق الشمس، رياح جنوبية شرقية متوسطة، سماء

غائمة؛ حوالي الساعة 4 صباحًا، تتحول الرياح إلى جنوب غرب، مع هبات عنيفة؛ أمطار خفيفة حوالي الساعة 5 صباحًا؛ تنخفض الرياح عند غروب الشمس، وتتغير السماء تمامًا؛ الساعة 8 مساءً، بضع قطرات مطر. في الصباح، سماء غائمة؛ حوالي الساعة 6 صباحًا، رياح شمالية غربية متوسطة قوية طوال اليوم؛ طبقات ركامية في الشمال الشرقي والشرق.

مُغَطًّى. مُغَطًّى. 2/1 غطاء.

مُغَطًّى. مُغَطًّى. 2/1 غطاء.

غائم طوال الليل؛ الساعة 7 صباحًا غائم ورياح شمالية غربية خفيفة حوالي الساعة 10 صباحًا؛ غائم طوال اليوم؛ صفاء خفيف حوالي الساعة 6 مساءً؛ نسيم شمالي غربي قوي طوال الليل.

مرادف عربي/لاتيني للنباتات الموجودة

أدجيرم	Anabasis articulata (نوع).
أليندا	Ephedra alata.
أليندا (صغيرة)	Ephedra fragilis.
آنا	نبتة من منطقة طاسيلي (لم تُحدد بعد).
بوس البجرة (أوسعد)	Cyperus conglomeratus (نوع Arenarius).
حارة	Diplotaxis Duveyrierana (والعديد من النباتات الصليبية الأخرى).
حنا الجمل	Heliotropium undulatum (سابقًا Henophytum saharae).
حلمة	Plantago ovata.
دْجداري	Rhus oxyacanthoides.
دْجل	Salsola soda.
دْرين	Arthratherum pungens.

دِس	Ampelodesmos tenax; Imperata cylindrica.
زيتا	Limoniastrum guyonianum.
سار (أو سوغ)	Echinops spinosus.
سبوت (أو سبيت)	Arthratherum pungens (عندما يكون صغيرًا وأخضر).
سدرة (أو سدر)	Ziziphus lotus (شجرة العناب).
سعد (أو بوس البجرة)	Cyperus conglomeratus (نوع Arenarius).
سعدان	Neurada procumbens.
سفار	Arthratherum pungens (سابقًا Aristida pungens).
سمهري	Helianthemum sessiliflorum.
شابريك (أو شابريج)	Zilla macroptera.
شاليات	Sisymbrium irio.
شيح	Artemisia herba-alba (الشيح الأبيض).
طرفة	Tamarix gallica (وأنواع أخرى مختلفة) .
طرسوس	Phelipaea violacea (نوع).
طورفاس	Terfezia leonis (وأنواع أخرى من الكمأة).
عرفج	Rhanterium adpressum.
هِيبيلي	عشب يشبه إلى حد كبير Arthratherum plumosum.
تاسيكرا	نبات شوكي ذو أوراق متنوعة من منطقة العرق.

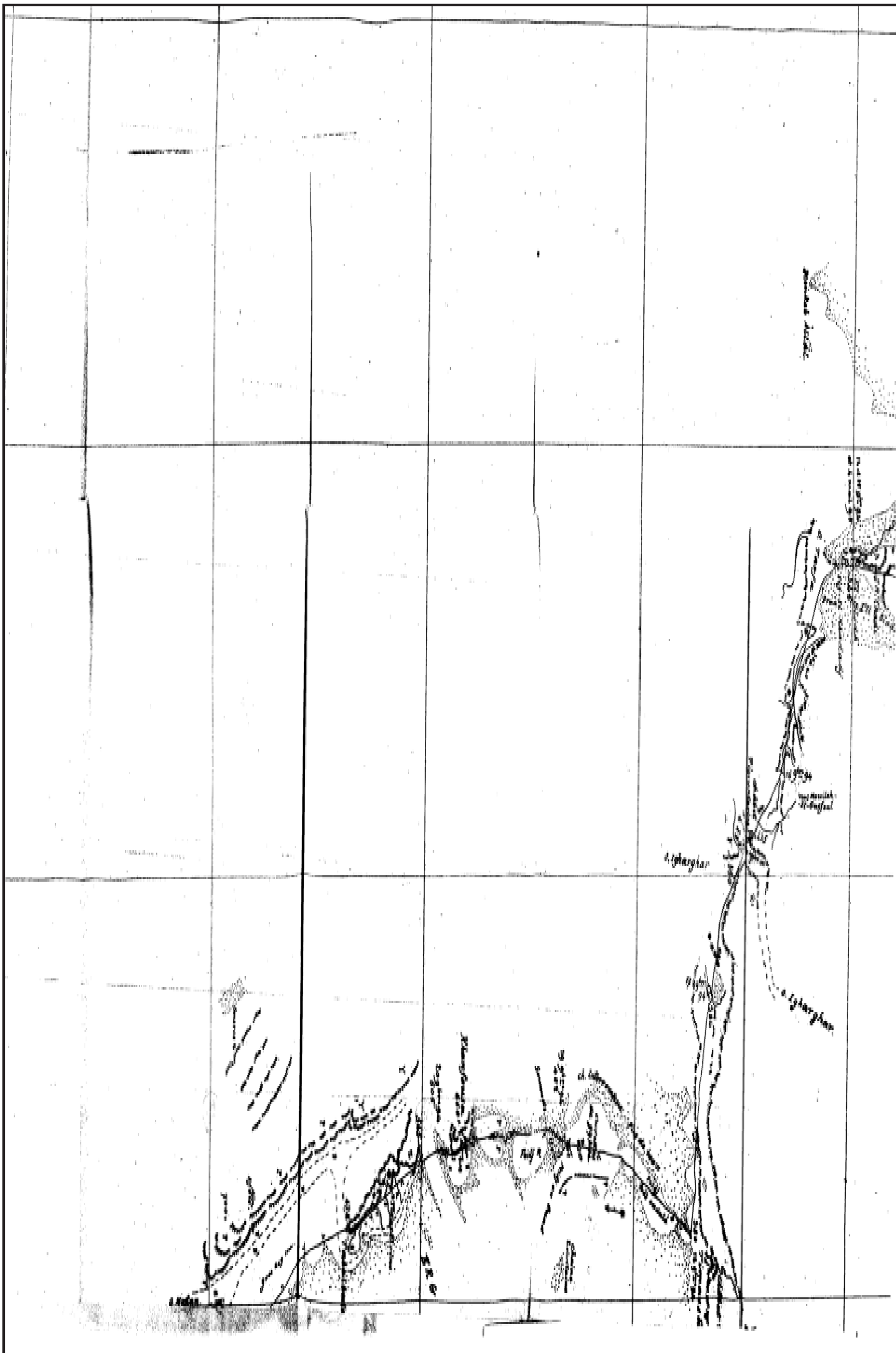
مسرد المصطلحات الجغرافية العربية	
أديب	تلة صغيرة ذات منحدرات لطيفة، وصخرية بشكل عام.
أريج (مفرد)، إرج (جمع)	كتلة من الكثبان الرملية.
أوديجي	حدود منطقة العرق الرملية.
أوغلا (مفرد)، أوغلات (جمع)	نقطة تتجمع فيها عدة آبار، ويكون الماء فيها قريبًا جدًا من سطح الأرض.
باتن	جانب منحدر بلطف من جبل أو تل أو كثيب رملي.
بخباخة	أرض إسفنجية مكونة من غبار الجبس، يغوص فيها الإنسان والحيوان بضعة سنتيمترات.
تِلماس (بربري)	نقطة تحتجز مياه الأمطار تحت طبقة رملية، وتوجد دائمًا في مجاري الأنهار.
تينيت (أوتينيا، تسينيا)	ممر أو طريق منخفض ومتعرج يعبر سلسلة من التلال بين القمم.
حصبة	حصى أو حطام صخري ناعم غير مصقول .
حيشات	أرض رملية جبسية شديدة التموج، مع تلال صخرية صغيرة ومغطاة بنباتات كثيفة .
حمادة	هضاب مسطحة أو متموجة، مليئة بالصخور.
حركة	حملة مسلحة بهدف النهب أو الانتقام.
خلدج	مجرى ضيق ضمن مجرى النهر الرئيسي، يتميز بضفافه المنخفضة والنباتات التي تغطيه.

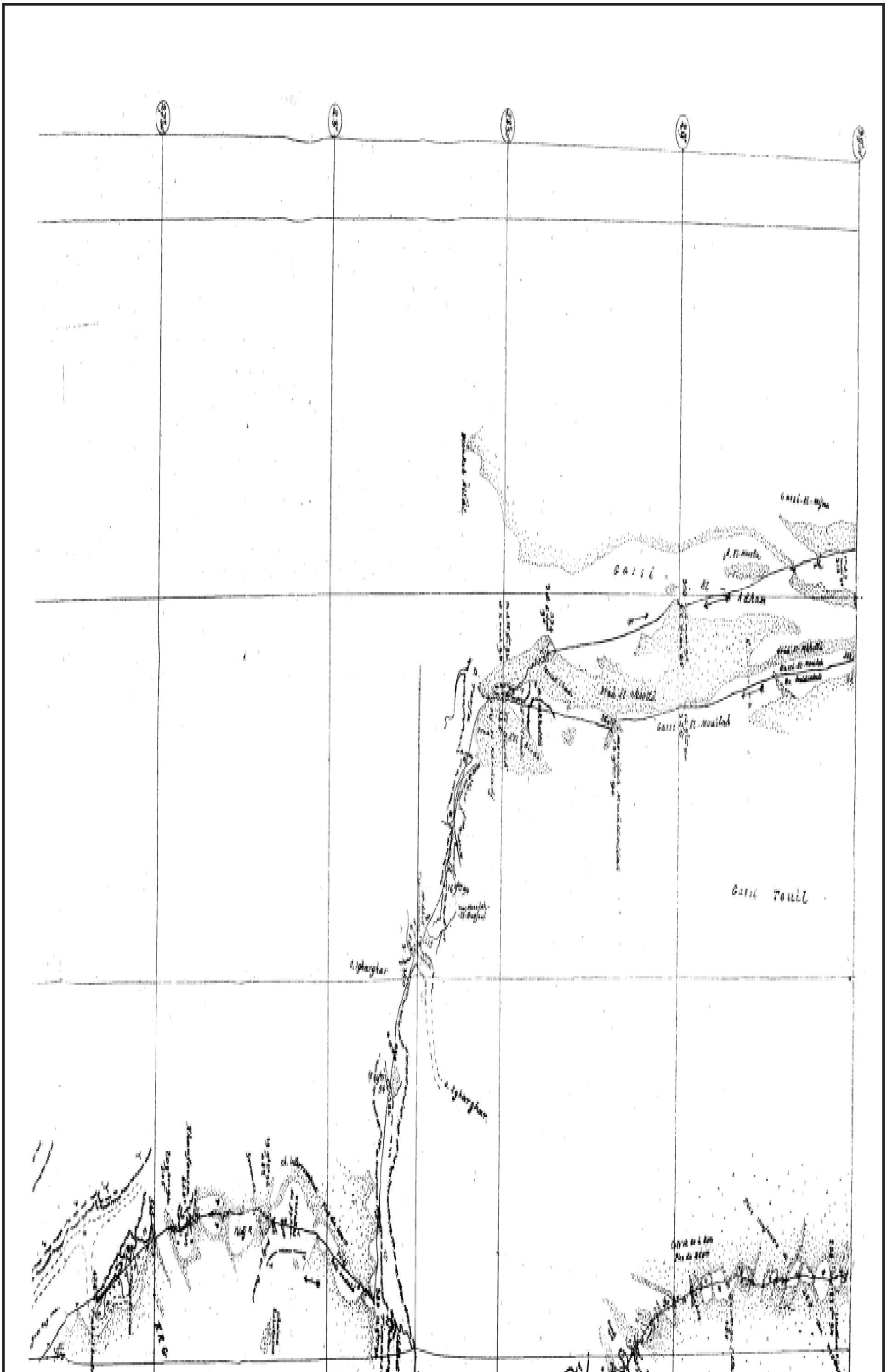
دايا (أو دايات)	منخفض صغير بلا ضفاف تتجمع فيه مياه الأمطار.
دبدبة	تربة صخرية جبسية رمادية، جرداء ومتجانسة.
دْجدار	نقطة مراقبة على الطرق، مبنية عادةً من بقايا الصخور.
درعة	سلسلة من التلال، وخاصة الكثبان الرملية، ليست سميكة جدًا وطويلة نوعًا ما.
ريدجيم	نقطة مراقبة على الطريق.
ريج	أرض مستوية وصلبة، تتكون من حصى صغيرة مدلفنة، وعادة ما تكون خالية من النباتات.
زريبة (مفرد)، زرايب (جمع)	كوخ مبني بأعمدة مغطاة بنبات الدرين، ويستخدم كمسكن صيفي للبدو.
سبخة	أرض منخفضة ذات تربة مالحة ورطبة.
سعد	أرض منخفضة مغطاة بالنباتات، أو مصب نهر يتسع فيه مجرى الوادي.
سنيغا	حوض عميق أو قمع في الكثبان الرملية.
سوبا	شلال.
سهل	أرض مستوية خالية من الصعوبات.
سهاني	حوض صغير ذو ضفاف غير بارزة.
سيف (مفرد)، سيوف (جمع)	خطوط متعرج

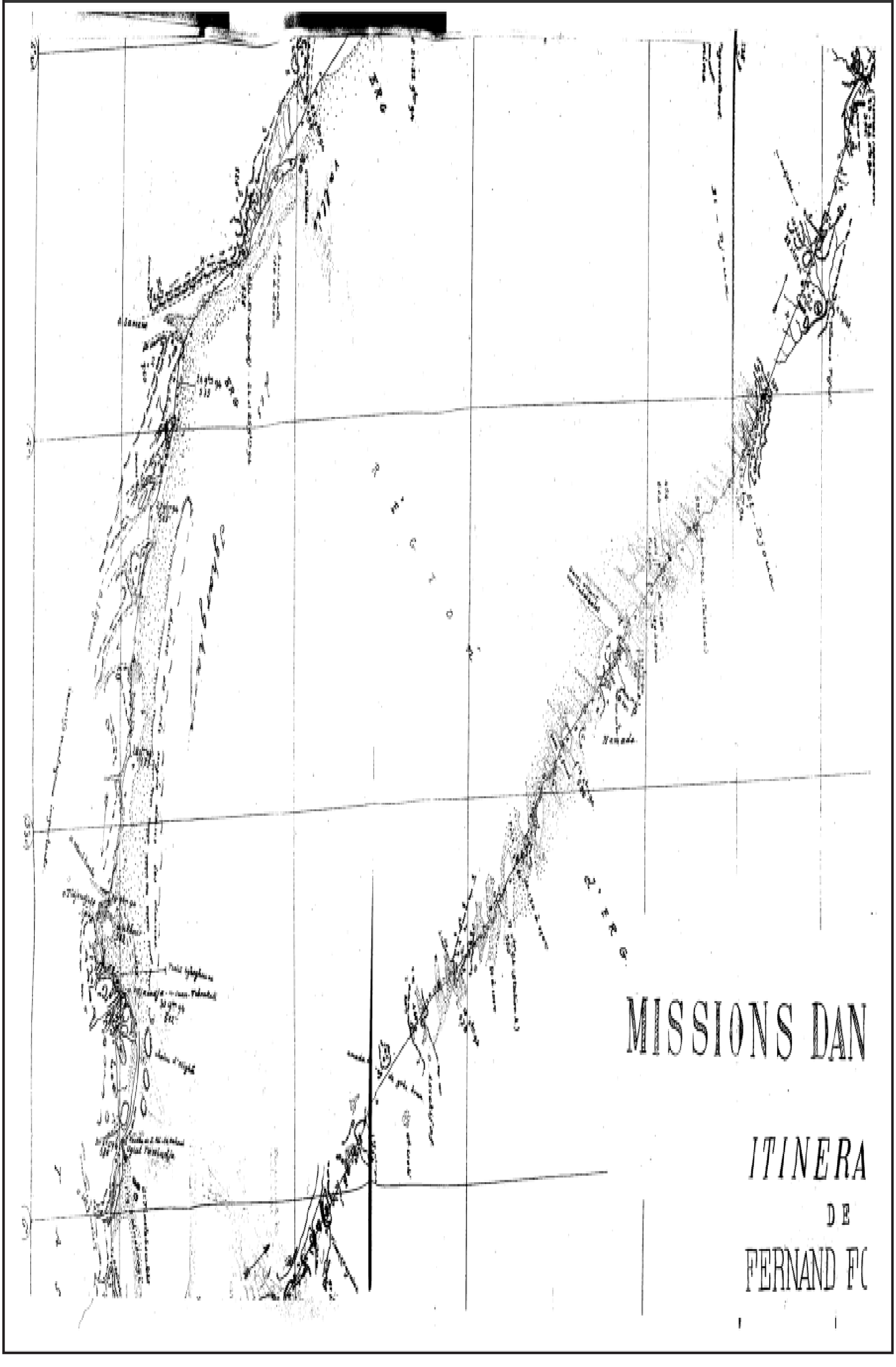
نموذج من الجداول

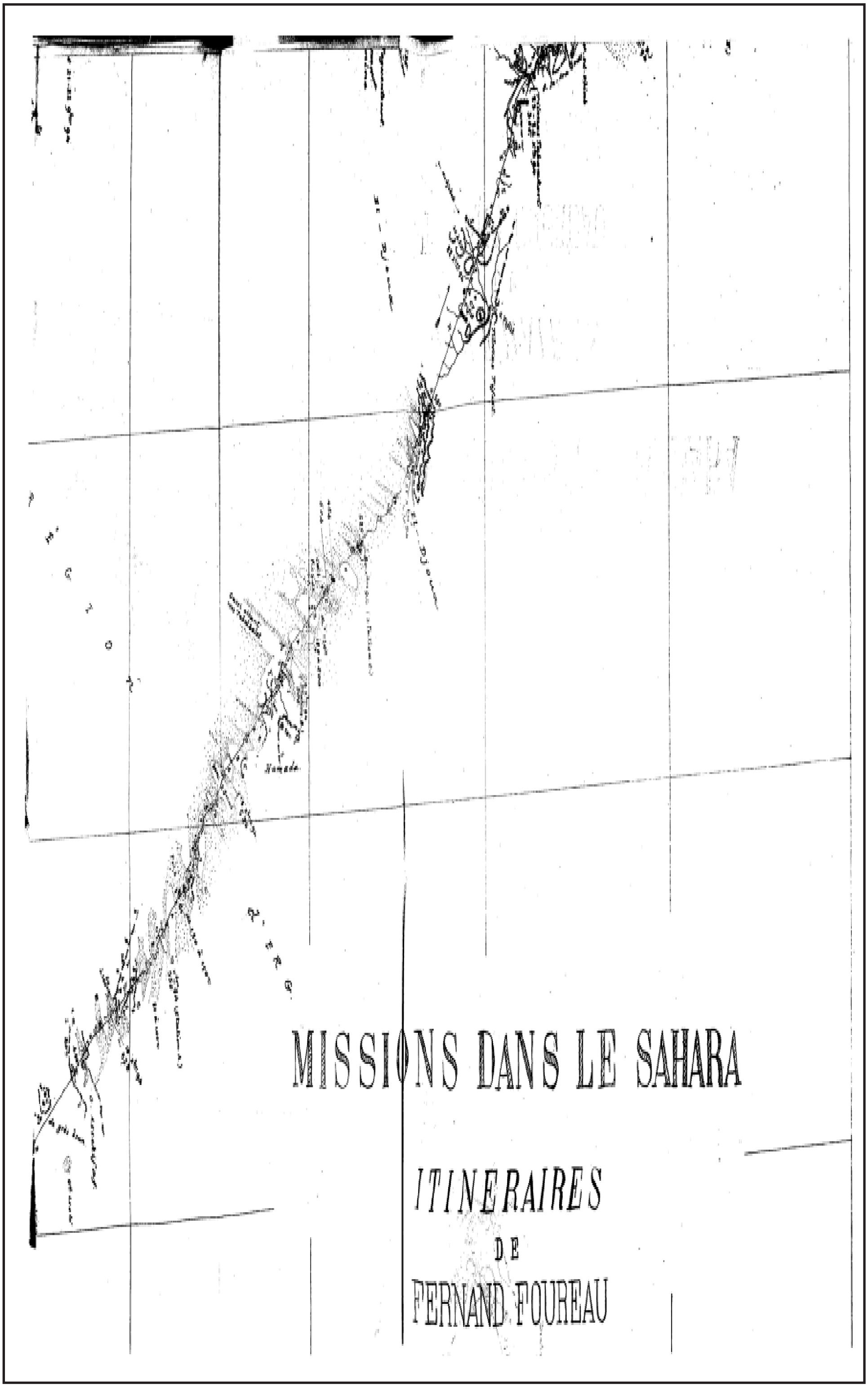
ملحق الخرائط

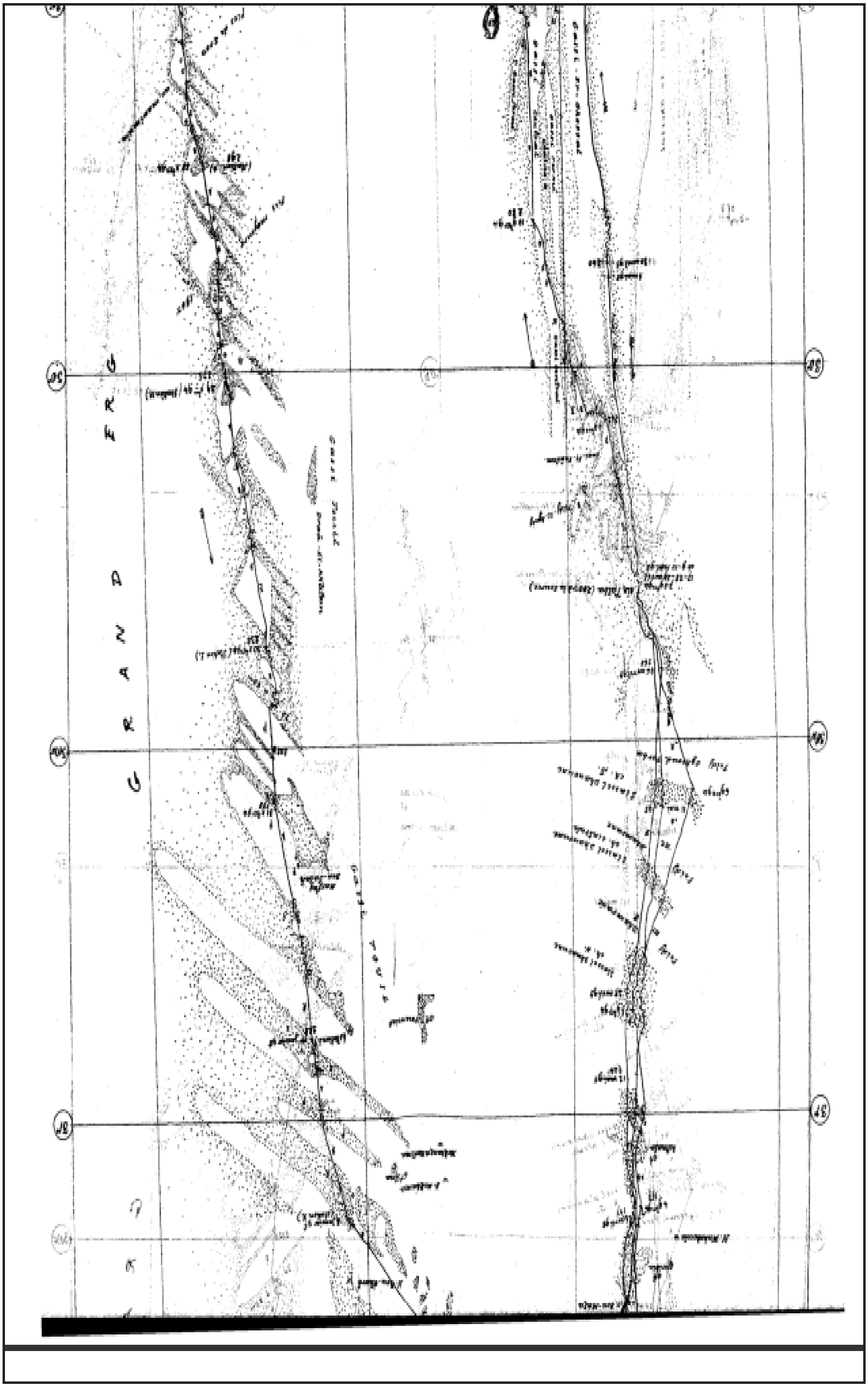
JOUR	LIEU	THERMOM. CENTIG.				Baromètre réduit à Zéro			VENT			CIEL			OBSERVATIONS
		à minima	7 h. m.	12 h.	7 h. s.	7 h. m.	12 h.	7 h. s.	7 h. m.	12 h.	7 h. s.	7 h. s.	12 h.	7 h. s.	
1	4 k. au N. de H. Tarfaia.	14°5	15°9	23°8	19°5	750 8	751 8	753	N. E. fai.	N. E. fai.	N. E. fai.	Stratus.	Ciro-Str.	Pur.	Belle journée ; le ciel brumeux dans la journée devient pur au coucher du soleil ; vers 11 h. du soir le ciel se recouvre de nouveau ; vers 3 h. du matin éclairs dans le N. ; le ciel reste nuageux toute la nuit.
2	Au S. de Hassi Smihri.	16 5	18	25	19	751	753	750 2	N. E. fai.	N. E. BB.	Nul.	Pur.	Pur.	Pur.	Le ciel se dégage complètement au coucher du soleil ; vent de N. E. faible ; vers 9 h. 1/2 le vent augmente de force, souffle bonne brise jusqu'à 2 h. tombe complètement au coucher du soleil ; ciel pur.
3	Près Hassi Mjeira.	11	13 8	»	19	748 7	»	752 3	E. à p. s.	E. faible.	E. faible.	Pur.	Pur.	Pur.	Ciel pur toute la nuit ; très belle journée ; léger vent d'Est.
4	Près Hassi Retmaia.	6 5	17	25	19	750	751 5	752	Nul.	S. varia.	Nul.	Pur.	Pur.	Pur.	Ciel pur toute la nuit ; journée très belle ; vent de Sud variable ; ciel pur.
5	Slassel Dhanoun.	8 5	11 5	24 5	18 5	748	747	746 5	S. E. faib.	S. E. fai.	Nul.	Pur.	Pur.	Pur.	Au matin, légère humidité ; très belle journée ; vent de S. E., tombe au coucher du soleil.
6	Slassel Dhanoun, br. méridion.	9 3	13 5	26	19	746	748 8	748 2	E. à p. s.	E. N. E. fai.	N. v. fai.	Pur.	Pur.	Pur.	Ciel pur toute la nuit ; journée tempérée ; vents variables.
7	Aïn Taiba.	5 5	6	25	16	746 5	748	749 2	S. faible.	S. E. fai.	Nul.	Pur.	Pur.	Pur.	Journée chaude ; vent de S. E. ; chihili jusqu'à 3 h., devient nul au coucher du soleil.
8	Aïn Taiba.	6	13 5	23	17	745 2	748	748 7	Nul.	E. faible.	Nul.	Pur.	Pur.	Pur.	Très belle journée ; vent d'Est très faible ; ciel pur toute la journée.
9	Gassi El-Khâdem.	9 2	15	23 5	18	747	744 2	741	S. O. BB.	N. O. BB.	Nul.	Pur.	Stratus.	Br. au N.	Au lever du soleil vent de S. O. soufflant B B vers 7 h. ; vers 10 h. ce vent hâle le N. O. et s'y établit ; vers 11 h. 1/2 souffle avec la même force jusqu'au coucher du soleil, tombe complètement à cette heure ; brumes épaisses dans le N. disparaissent vers 11 h. du soir ; ciel pur le reste de la nuit.
10	Gassi Central.	11 2	13 8	23	18	739 5	742	742	N. O. fai.	N. N. O. fai	Nul.	Pur.	Pur.	Pur.	Ciel pur toute la nuit ; journée très belle ; vent de N. O. faible, variable.
11	Tête du Gassi El-Mouilah, br. oc.	8 2	10 5	22 8	20	740 5	742	740 5	S. à p. s.	N. O. fai.	N. E. fai.	Pur.	Pur.	Pur.	Très belle journée ; petits vents variables ; ciel pur.
12	Gassi El-Mouilah.	9 3	11 5	23 5	17 4	739 5	740	738 2	Nul.	S. E. fai.	S. E. à p. s.	Pur.	Pur.	Pur.	Ciel pur toute la nuit ; journée très belle ; au coucher du soleil le S. et l'O. se couvrent de brumes assez épaisses, ces brumes se dissipent vers 8 h. du soir.
13	Mouilah-Maâtallah.	11 3	13	23	20 5	736 8	737 3	736 2	N. faible.	O. faible.	Nul.	Nuageux.	1/2 couv.	Couvert.	Vers 2 h. du matin, le ciel se charge ; 5 h. grand halo lunaire ; dans la journée le ciel est parsemé de petits nuages ; au coucher du soleil, les nuages augmentent ; ciel complètement couvert vers 7 h. du soir ; quelques gouttes de pluie vers 8 h. du soir.
14	El Biodh.	11 6	14 8	25	20 5	733 2	735	735 3	N. O. fai.	S. E. fai.	Nul.	Couvert.	1/4 couv.	Couvert.	Ciel couvert toute la nuit ; au matin légère humidité ; 7 h. ciel couvert ; vers 9 h. 1/2 petites éclaircies ; midi ciel en partie découvert, chaleur lourde et humide tout l'après-midi ; au coucher du soleil le ciel se couvre complètement ; vers 8 h. petite pluie ; 9 h. petit vent d'Est ; ciel couvert toute la nuit.
15	El Biodh.	12 8	16 7	23	13	732	733	734	E. fort.	N. fort.	N. O. fai.	Couvert.	1/2 couv.	Beau.	Vers 11 h. du soir le vent d'E. augmente et souffle toute la nuit par rafales ; 7 h. du matin même vent, même force ; ciel couvert et menaçant ; vers 11 heures le vent tourne au S. O. ; vers midi le vent se fixe au N. O. soufflant B B. ; le ciel se dégage vers 3 h. de l'après-midi ; le vent tombe et le ciel devient beau au coucher du soleil ; la température s'abaisse brusquement ; vers 7 h. les derniers nuages se dissipent ; ciel pur toute la nuit.
16	Rav. du Tinghert N. O. de Zaouia.	4 5	5 2	19 3	15 8	734 5	735 3	730 5	N. E. fai.	E. BB.	N. E. fai.	Pur.	Pur.	Pur.	Belle journée un peu fraîche ; vers 10 h. vent d'E. B B., ce vent tombe vers 3 h. de l'après-midi ; au coucher du soleil petit vent N. E. Au matin très forte rosée, brouillard intense ne se dissipant que vers 9 h. 1/2, se résoud en pluie très fine.
17	Ravin au N. de Timassinine.	7 5	9	24 8	18	729	730 5	726 5	E. faible.	S. E. BB.	S. E. BB.	3/4 couv.	3/4 couv.	Menaç.	Au matin ciel en partie couvert ; dans l'après-midi vent de S. E. B B ; au coucher du soleil le ciel se couvre complètement, devient menaçant ; 5 h. 1/2 gouttes de pluie et tonnerre dans le S. O., 7 h. du soir dans le S. O. et le N. O. ; vent de S. E. B B ; 8 h. légère averse ; dans la nuit averses à différentes reprises ; vers 3 h. du matin la pluie cesse, le ciel s'éclaircit.
18	Timassinine.	8 3	10	22	16 8	724 5	727	728 5	S. faible.	S. O. t. fort	S. E. fai.	Brum.	Brum.	Pur.	Au lever du soleil, ciel légèrement brumeux ; vers 9 h. vent de S. O. soufflant très fort jusqu'à 1 h. 1/2 ; chihili violent et sable en quantité ; vers 2 h. le vent diminue de force, tombe complètement au coucher du soleil ; ciel pur toute la nuit.
19	34 kil. au S. de Timassinine.	7 3	10 5	22	15 8	726 3	727 3	727	S. E. fai.	S. O. fai.	S. O. à p. s.	Pur.	Pur.	Pur.	Belle journée ; vent de S. O. faible ; ciel pur.
20	Près du Khanfousa au S.	6 5	9 8	22	15	725 8	729 8	727 3	Nul.	S. E. fai.	Nul.	Pur.	Cirrus.	1/4 couv.	Au matin faible rosée ; à 10 h. cirrus dans le S. O. ; le ciel devient brumeux, reste en cet état jusqu'au coucher du soleil et toute la nuit.
21	Tabalbalet.	8 5	13	21 3	17	728 3	729 7	729 6	N. E. fai	S. faible.	Nul.	Cirrus.	Ciro-str.	1/2 couv.	Belle journée ; chaleur lourde ; ciel en partie nuageux.
22	Tabalbalet.	9 6	12 3	22 5	20	729 4	730 5	729 5	Nul.	S. E. fai.	S. E. fai.	Couv.	1/4 couv.	Couvert.	Vers 4 h. 1/2 du matin le ciel se couvre ; éclaircies vers 9 h. 1/2 ; au coucher du soleil le ciel se recouvre complètement ; à 7 h. quelques gouttes de pluie ; le ciel reste couvert toute la nuit.
23	Près des Gour Tikbaben.	15 8	16 3	22 7	21 5	727 5	726 8	726 5	Nul.	N. faible.	N. O. BB.	Couv.	Couvert.	Couvert.	Ciel couvert toute la nuit et toute la journée ; vers 6 h. du soir gouttes de pluie ; 7 h. vent de N. O. BB jusqu'à 10 h. du soir ; ciel couvert et menaçant.
24	Aïn El-Hadjadj.	15 2	16	22 6	19	726 8	725 2	724	N. faible.	S. E. BB.	E. faible.	Couv.	Couvert.	Couvert.	Ciel couvert ; gouttes de pluie à différentes reprises dans la matinée ; 11 h. vent de S. E. BB ; chihili jusqu'à 3 h. 1/2 ; ce vent tombe complètement au coucher du soleil ; 7 h. ciel couvert, léger vent d'E.
25	Aïn El-Hadjadj.	13	15	20 5	16	722 8	723 8	722 5	Nul.	S. E. fai.	S. O. fai.	Couv.	Couvert.	1/2 couv.	Ciel couvert, gouttes de pluie à 7 h. du matin ; ciel couvert tout l'après-midi ; chaleur lourde et humide ; 8 h. du soir éclairs dans le N. O. ciel demi-couvert.
26	Vallée des Igharghâren.	8 5	10	24 5	17 6	724	724 8	723 6	Nul.	N. O. fai.	S. E. à p. s.	Pur.	Pur.	Pur.	Ciel pur toute la nuit ; 10 h. cumulus, ciel demi-couvert ; après-midi chaud ; faible vent de N. O. ; ciel pur au coucher du soleil.
27	Embouch. de l'Oued Idjerane.	6 7	11	24	17 5	722 8	724	723 3	E. à p. s.	N. E. fai.	Nul.	Pur.	Pur.	Pur.	Au matin faible rosée, ciel pur ; belle journée, faible vent de N. E.
28	Théonthélémoun.	4 4	9 5	23 6	17	724	724 2	714 5	Nul.	S. E. fai.	Nul.	Pur.	Pur.	Brum.	Belle journée, ciel pur ; vers 7 h. ciel brumeux.
29	Menkhour.	5 3	10	24	18	714 5	713	712	E. faible.	Nul.	Nul.	Stratus.	1/4 couv.	Couvert.	Belle journée ; après-midi chaud ; 7 h. du matin légers stratus ; midi les nuages augmentent, ciel au quart couvert ; au coucher du soleil ciel couvert ; 8 h. du soir gouttes de pluie ; ciel couvert toute la nuit.
30	Oued Adjanadja.	13 5	17	23 2	19 5	713	710 5	709	N. E. fai.	S. O. fai.	Nul.	Couv.	1/2 couv.	Couvert.	Ciel couvert ; gouttes de pluie ; éclaircies vers 10 h. ; le ciel se recouvre complètement au coucher du soleil ; 7 h. gouttes de pluie ; ciel menaçant toute la nuit.

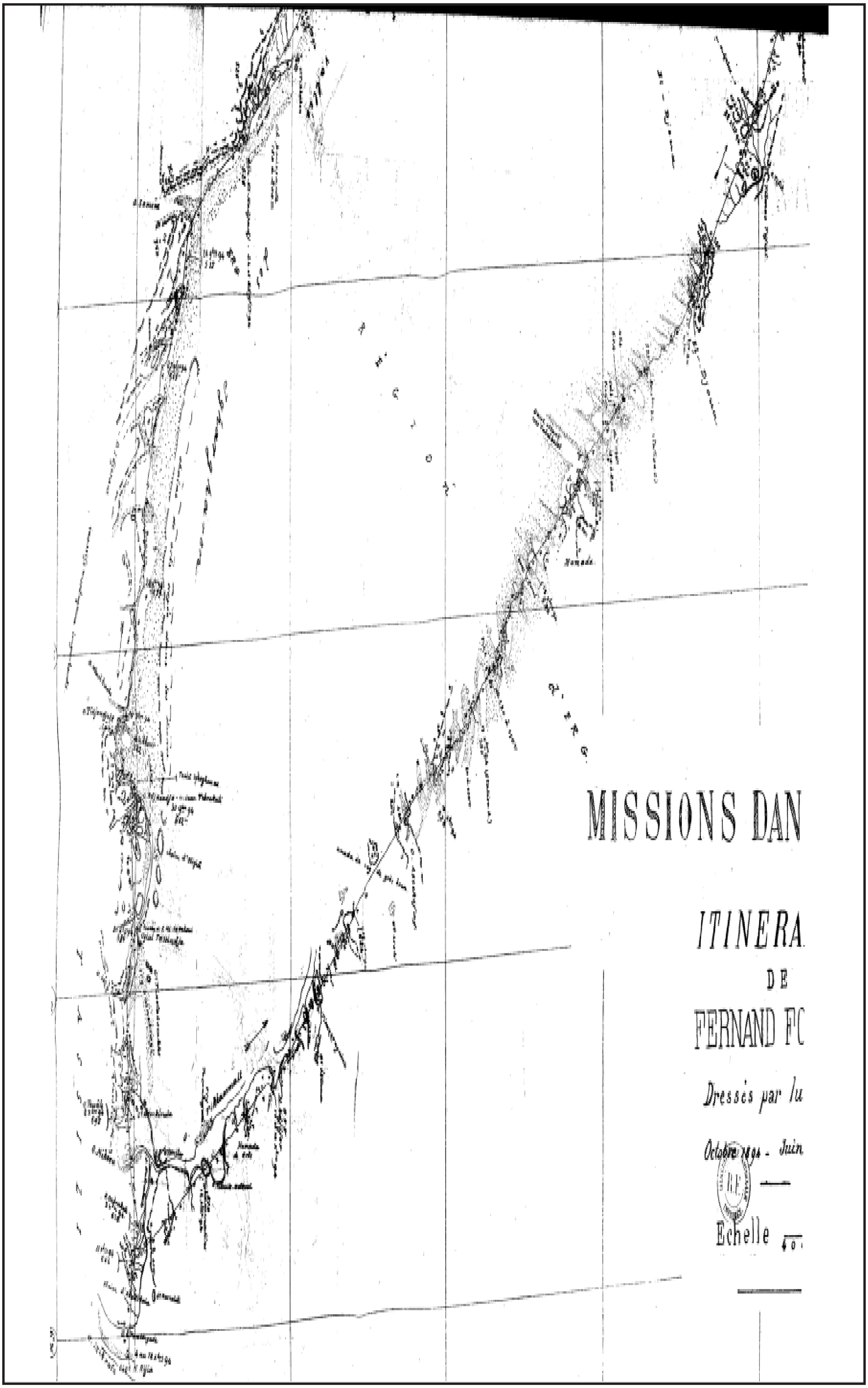


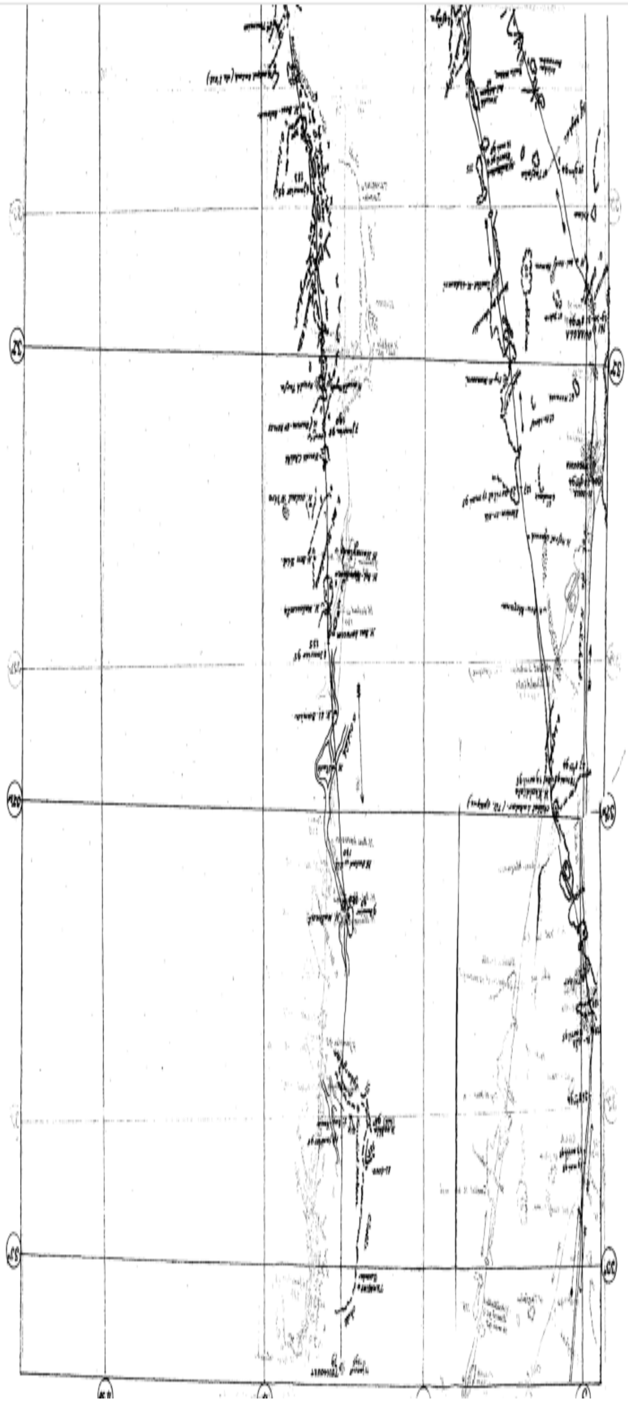

Gassi Touil

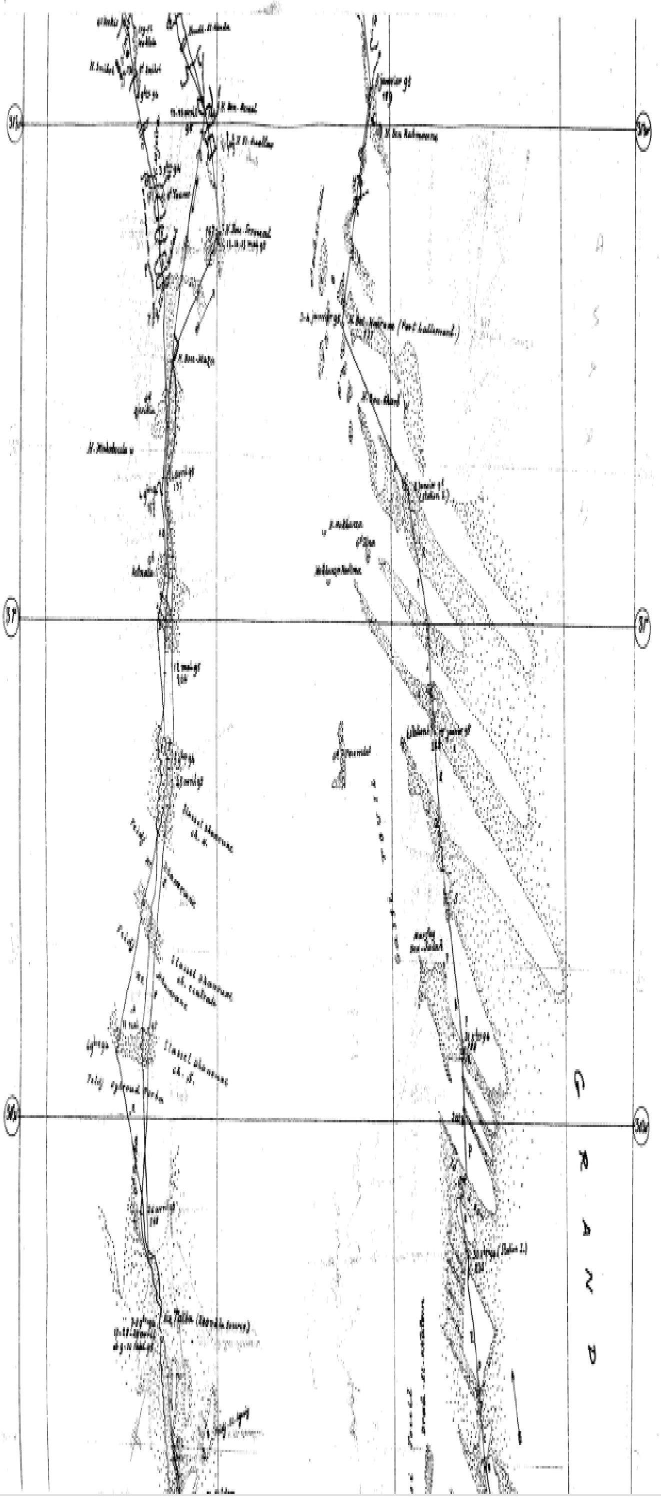

MISSIONS DAN
ITINERA
DE
FERNAND F

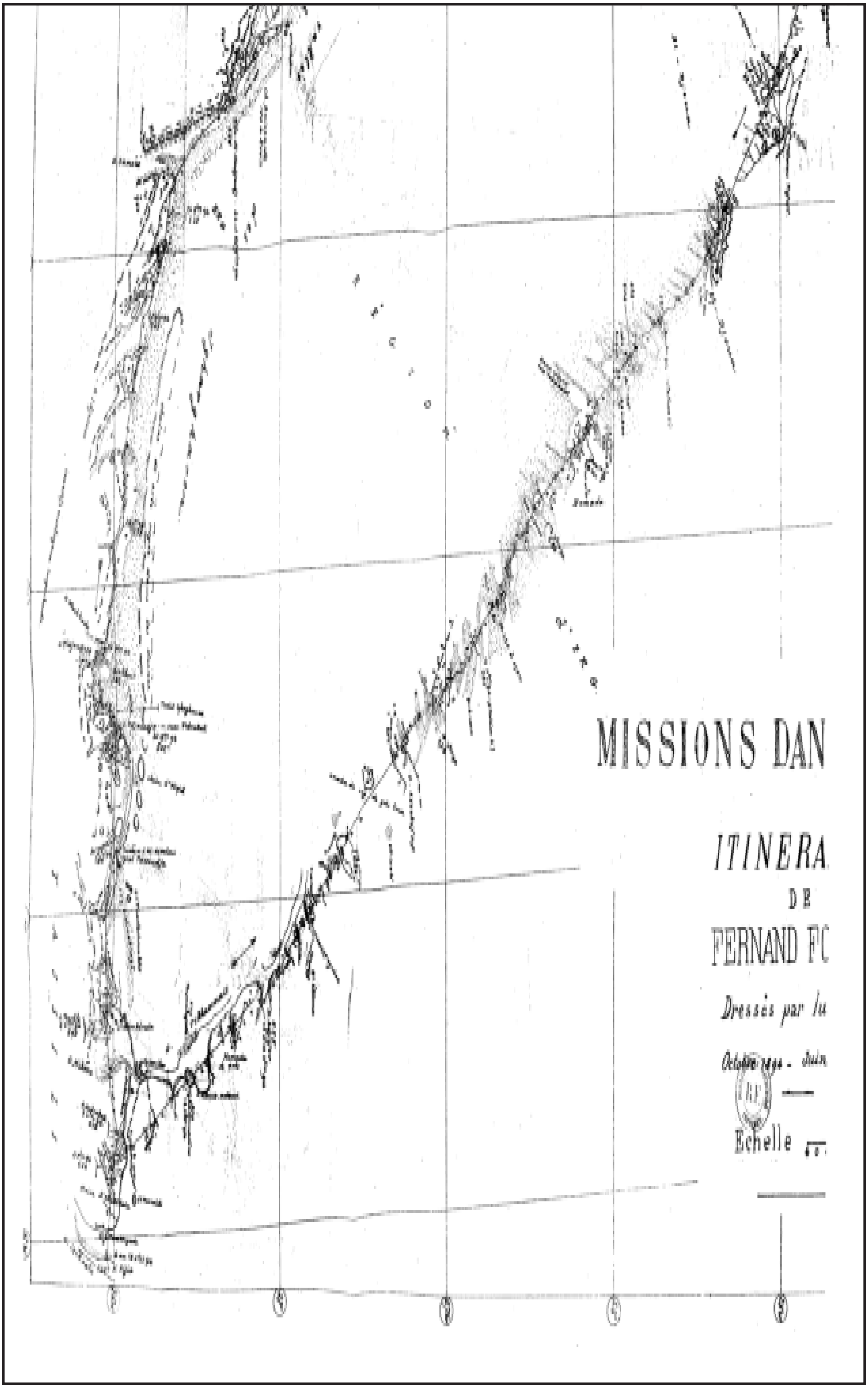

MISSIONS DANS LE SAHARA
ITINERAIRES
DE
FERNAND FOUREAU

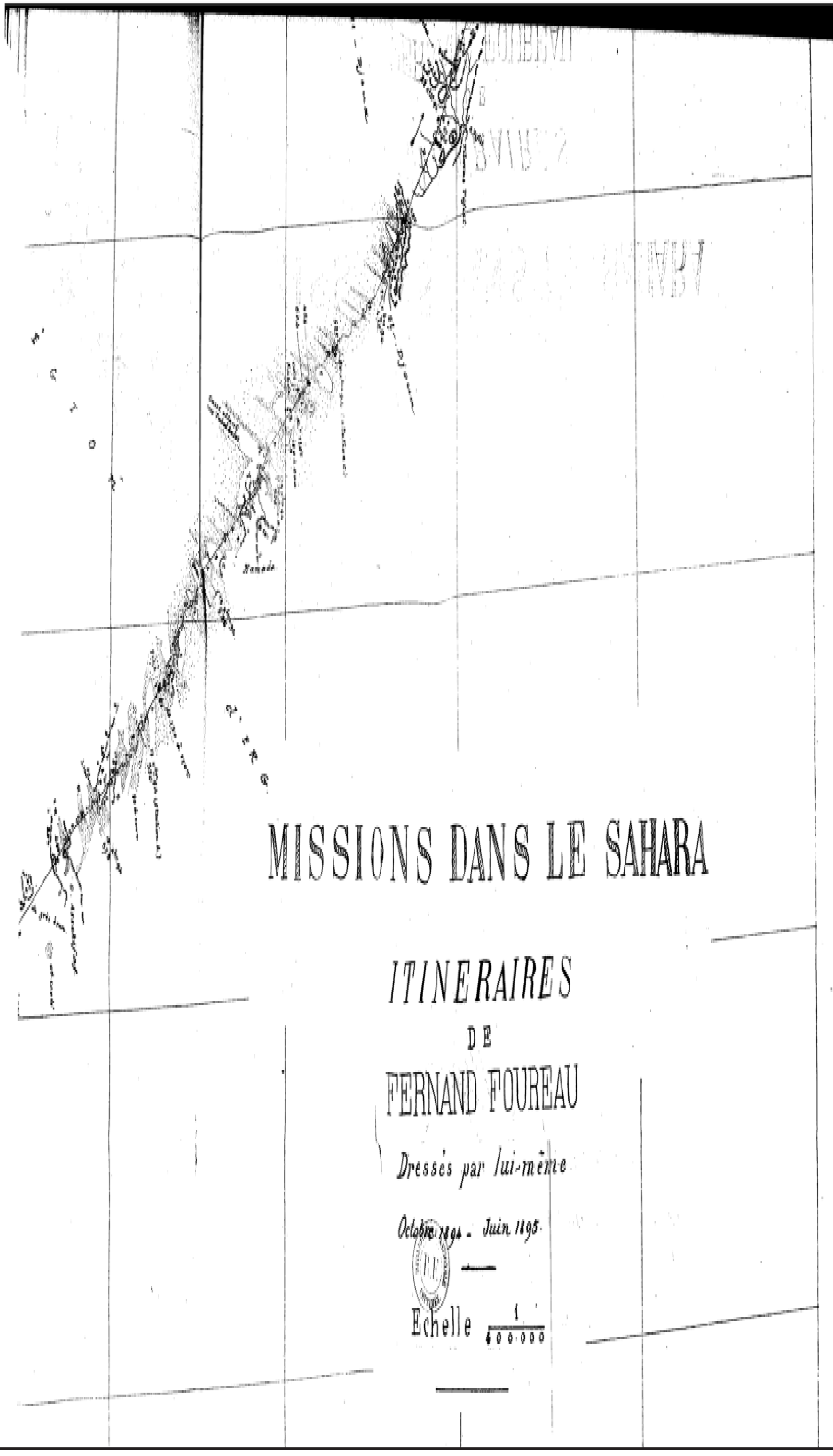



MISSIONS DAN
ITINERA
DE
FERNAND FC
Dressés par lu
Octobre
Juin
Echelle






MISSIONS DAN
ITINERA
DE
FERNAND FO
Dressés par lu
Echelle


MISSIONS DANS LE SAHARA
ITINERAIRES
DE
FERNAND FOUREAU
Dressés par lui-même
Octobre 1894 - Juin 1895
Echelle 1/400.000

تمت ترجمة الكتاب بحمد اللّٰه تعالى

الكشاف العام

1. الأعلام (الأفراد)

إبراهيم (أخو الحاج مبارك) 29
إبراهيم بن الشيخ 147، 152
إبراهيم بن زغاي 156
إخنوخن (محمد بن الحاج، زعيم أزجر) 10، 11، 17، 52، 60، 61، 62، 63، 64، 66، 67، 68، 70، 71، 74، 78، 80، 152، 153، 159
أحمد (سي، أحد أقارب ابن عتابي) 31
أحمد بن جبور 95
أحمد بن حكموم 147، 152
أحمد بن هكوم 13
أغ يمة (محمد) 130
أمغيدي 59، 71، 75
أناكروف بن خلالة (زعيم أزجر) 10، 66، 130، 159
أوان جيدسن (زعيم أزجر) 10
باروخ (السيد، مترجم) 81
بخا بن محمد 55، 56، 78، 91
بشيرولد أما 51
بلجندي 52، 67، 78
بن بوجمعة (الشيخ) 152
بن جرجي 112
بن خطخات 153، 154
بن نجيب (أما) 147، 152، 155
بوجات (النقيب) 157، 158، 163
بوعمامة (الشيخ) 140، 147، 151، 152، 154، 156، 159، 160
توفيق عياد الشقروني (المترجم) 1، 2

الحاج (عبد الحكيم بن الشيخ، قائد الموكب) 13، 27، 30، 36، 37، 51، 59، 61، 62، 63، 68، 69، 130، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 155

دا مومن 67، 79

دوفيرييه (Henri Duveyrier) ، 60 ،69، 98

دي لا روك (الجنرال) 11، 129، 130

زوبير (رسول) 157

طالب عبد القادر125

عبد الرحمن بن دعاء 95

علي بن دوبلة 30

علي معطى الله 125

عمار بوخشبة 154

فلاترز (بول، العقيد) 17، 25، 30، 43، 60، 68، 82، 130، 160

فرناند فوريو (المؤلف) 1، 2، 4، 60، 129، 130، 159، 162

فريدل (قائد السرب) 129

فيلات (بحارومرافق) 13، 130، 149، 155، 156، 166

كارنو (رئيس الحكومة الفرنسية) 68

كُويْدِربن يونس 59

لوروي (إم إل) 130

مبارك بن الهيب 147، 152، 154

محمد المهدي بن محمد عبد الله (الشريف) 66، 67، 69، 72، 73، 74، 75، 81

مختار (الترجي) 79

موالي (أغ خداج، زعيم أزجر) 10، 11، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 68، 69، 71، 74، 82، 129، 130، 159

مونتييل (القائد) 87

ولد الحاج الهايد 147، 152

ولد شاشوك 152، 154

وان غيداسن (زعيم أزجر) 66، 129، 130

2. القبائل والجماعات والمجموعات العرقية

أزجر (توارق) 10، 11، 16، 60، 66، 74، 80، 81، 82، 83، 130، 161
الأهقار (توارق) 16، 17، 52، 57، 60، 68، 74، 76، 79، 84، 85، 161
إيساكمارين 82، 83، 153، 154، 155
إيفوغاس 16، 51، 58، 59، 130، 132، 161
إيمانغاساتن 60، 161
الباحماوين 140
البدو الجزائريون 26
التبو 52، 84، 85
التوارق (بشكل عام) 10، 11، 16، 17، 27، 28، 30، 34، 41، 42، 43، 47، 52، 57، 60، 61، 62، 63، 64، 66، 68، 69، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 80، 83، 84، 87، 88، 112، 125، 129، 130، 131، 132، 136، 139، 140، 145، 150، 151، 154، 157، 158، 160، 161
الجرامنة 152، 153، 160
الجواد (طبقة النبلاء) 82
الشعانبة 13، 16، 26، 30، 52، 60، 66، 130، 152، 159، 160
الزوا 152، 153، 160
المخادمة 152، 153
أولاد با حمو 15، 26، 152، 153، 160
أولاد بحبح 13
أولاد زيت الغولية 152
أولاد فرج 10، 70
أولاد مختار 15
يادهانارن 76، 77 ---

3. المدن والقرى والمناطق الجغرافية

آير (منطقة) 11، 62، 70، 130، 159
باريس 129، 130، 165، 166
بسكرة 13، 129، 130، 156، 157، 158

بلحيران 84، 132، 156
البيوض 26، 131، 146، 153
تاكيت (عين الحجاج) 10، 130
تبلبالة 164
تقرت 11، 15، 128، 129، 130
توات 14، 34، 51، 52، 60، 61، 66، 154، 160، 161
تيماسانين (تيماسنين) 13، 16، 30، 31، 36، 77، 91، 110، 112، 114
تيديكلت 14، 34، 51، 52، 60، 154، 160، 161
الجزائر 10، 11، 70، 74، 81، 129، 160، 162
درج 76
دزيوة 13
غدامس 16، 28، 52، 79، 85، 130، 160
غات 85، 128
الغَوْلِيَّة 14
فرنسا 60، 69، 71، 80، 160، 161، 162
قسنطينة 11، 81، 129
المغرب 60، 161
منخور 31، 51، 52
ورقلة 13، 14، 59، 74، 84، 94، 112، 128، 136، 150، 159 ---

4. الأودية، الأنهار، والمسطحات المائية

وادي أجنادجا 51
وادي إدجران 47، 51
وادي إزكراط 69
وادي إيغرغار 29، 91، 99، 126
وادي إيتل 13
وادي تيخمالت (تخاملت) 60، 63، 78، 79، 91، 92
وادي ليزي 51، 54، 55
وادي ورقلة 15

نهر إيثيل 47، 53، 92 ---

5. الآبار والعيون

آبار بوكلوة 127

بئر البيوض 26، 153

بئر حاسي بوسرول 136

بئر حاسي بن نمل 158

عين الحجاج (تاكيت) 17، 26، 36، 43، 163

عين صالح 15، 16، 28، 35، 55، 68، 85، 154، 160

عين طيبة 131، 132، 140، 156

عين تيوسكيرين 26، 34، 36، 38، 163 ---

6. التضاريس والمواقع الجغرافية المحددة

العرق (بحر الرمال) 45، 46، 53، 89، 90، 117، 118، 120، 121، 122، 123، 124، 126، 131، 132، 138، 140

الطاسيلي 51، 69، 70، 98، 152

فيدج (منخفض) 19، 20، 22، 31، 32، 89، 90، 117، 118، 121، 122، 123، 131

الحمادة (هضبة صخرية) 18، 25، 28، 29، 31، 42، 90، 92، 93، 102، 104، 105، 107، 111، 113، 114، 131، 132، 146

غار/غور (كثيب) 15، 16، 18، 20، 22، 27، 31، 34، 35، 40، 49، 90، 107، 109، 111

قاسي (ممر) 15، 22، 23، 24، 41، 45، 49، 56، 73، 89، 90، 91، 95، 99، 100، 101، 103، 104، 106، 107، 108، 117، 119، 123، 143، 144

السبخة 23، 177

جبل تينيت شادي 155

هضبة قاسي الأدهم 155

جبل القناطر 134

سيف ماعت الله 156، 158

7. المصطلحات، الأدوات، والنباتات

أ. المصطلحات والتعاريف العامة

غيزي (Ghazi) فرقة منظمة للغارات والنهب. 14، 27، 28، 76، 85، 86، 140، 145، 153، 154، 156، 160

سباهي (Spahis) وحدات فرسان محلية في الجيش الفرنسي. 28

رماة (Tirailleurs) جنود مشاة محليون في الجيش الفرنسي. 28

الغوم (Goum) وحدات ميليشيا نظامية محلية. 14

مادر (Madir) مجرى مائي واسع أو مستجمع مياه مؤقت. 47

النبكة (Nebka) تلة رملية تتكون حول النباتات. 16، 19، 20، 23، 45، 119، 121، 122، 123

النيصي (Neçi) مناطق صحراوية مغطاة بنباتات متفرقة. 23، 24، 45، 119، 121، 122

منهير (Menhir) حجر قائم ضخم لأغراض طقوسية. 115

الأمغاد (Imghad) طبقة اجتماعية تابعة للنبلاء عند التوارق. 53، 55، 57، 60، 62، 82، 83

المرابطون جماعات دينية، ويُطلق الاسم على بعثة داتانو. 52، 60، 68، 161

الشريف لقب ديني يدل على النسب النبوي. 66، 67، 69، 72، 73، 75

خاتدو: مصطلح تارقي (لم يترجمه المؤلف). 31

أدا (حق المرور) ضريبة أو إتاوة تُفرض للمرور. 52، 73

سغوغون (أشباح) كائنات خيالية أو أوهام ليلية. 41

ب. الأدوات، الأسلحة، والملابس

بنادق غراس: نوع من البنادق الفرنسية. 17، 22، 30، 154

بنادق وينشستر: نوع من البنادق الأمريكية. 13، 30

بنادق ليبل: نوع من البنادق الفرنسية. 154

المحارة: وعاء أو أداة (لم يتم تفصيلها). 29

البرنس: لباس خارجي تقليدي. 148

العصيدة: طعام أساسي عند التوارق. 87، 88

القندورة: لباس واسع وفضفاض. 83

الشاشية: غطاء للرأس. 83

الحولي: نوع من العباءات أو الأغطية. 83

سيكلوغرافي: نوع من الكاميرات. 13

كرونومتر: ساعة دقيقة لتحديد المواقع الفلكية. 162، 165

سدس (Sextant): أداة فلكية لقياس الزوايا. 162، 165

مزواة: أداة للمسح وقياس الزوايا. 62، 165

ج. النباتات

أزال: نبات صحراوي. 16، 22، 24، 32، 43، 44، 53، 56، 121، 124، 126

إيثيل (الأثل): شجرة صحراوية. 24، 47، 53، 54، 92، 122، 177

درين: نبات صحراوي يستخدم للرعي. 20، 22، 24، 32، 33، 34، 41، 42، 53، 98، 107، 121، 124، 126، 134

طرفاء: شجرة تنمو في المناطق الرطبة. 24، 92، 94، 126

صفار: نبات رعوي. 15، 16، 19، 20، 53، 121، 126

كورونكا: شجيرة يطلق عليها التوارق "توريهة". 46، 56

هاد: نبات صحراوي. 19، 22، 103، 107، 121

هاملّا: نبات رعوي. 22، 107، 121، 131، 134

الحد: نبات صحراوي. 32، 33، 100، 121، 122، 124

السبوت: نبات رعوي. 32، 107، 124

أليندا: نبات (Ephedra). 15، 22، 127

باغول: نبات رعوي. 15، 124، 127، 134

شالياط: نبات (Sisymbrium irio). 41

الحرطة: نبات رعوي. 41، 42، 59، 92

الرتيم: نبات صحراوي. 16

النيجي: نبات صحراوي. 20، 22، 25

الضمّر: نبات صحراوي. 15، 20، 127

اللوْل: بذور نبات الدرين. 136

8. الحيوانات

الغزال 21، 45، 77، 86، 87، 107، 133، 136، 140، 158
الظبي 25، 26، 77، 107، 109
الأفعى المقرنة 13
الجربوع: حيوان صحراوي يؤكل. 85
الجرذان: حيوان صحراوي يؤكل. 85
السحالي الرملية: تؤكل في أوقات الشدة. 85
الجراد: يؤكل في بعض المناطق. 94
ابن آوى 156

تتميز جميع أدوات التوارق تقريبًا بكونها مزينة بزخارف أو منحوتة من الخشب، ويشمل ذلك الملاعق، وقمم أعمدة الخيام، وأواني حفظ الحليب والماء، والأقماع المستخدمة لملء القرب، وكذلك الأعمدة المخصصة لدعم الهودج على الجمال. وينطبق هذا الاهتمام بالزخرفة حتى على أدوات تحريك العصيدة البسيطة؛ وهي عبارة عن قطعة خشبية مستقيمة يتراوح طولها بين 40 و50 سنتيمترًا، يكون نصفها العلوي (الذي يُمسك باليد) مغطى بنقوش زخرفية. تُستخدم هذه الأداة لمزج السميد بالماء الساخن لضمان تجانس الخليط، وصولاً إلى مرحلة الطهي الكامل لهذا الحساء الكثيف الذي يسميه العرب «العصيدة»، وهو الطبق الأساسي في مطبخ التوارق.

LIBYAN WORD BRIDGE Translation

الجمعية الليبية للدراسات الأمازيغية